

معوقات النفير في سبيل الله

للشيخ
أبي البراء الإبي

بيت المقدس



1442 هـ 2021 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

معوقات النفير

في سبيل الله

للشيخ أبي البراء الإبي (رحمه الله)

بيت المقدس

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ولي الصالحين، ومذل الشرك والكافرين، والصلاة والسلام على نبي المرحمة والملحمة إمام المجاهدين وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه الطاهرين ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد : فإن الله تعالى فرض علينا الجهاد في سبيله تعالى كمثل فرض الصلاة والصوم والحج

قال الله تعالى { كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون } [البقرة:216].

إذا كرهتم القتال والجهاد لما يترتب عليه بعض الجراحات والآلام ، لكن فيه الخير الكثير باعتبار المآل والثمرات، لما يترتب عليه من حفظ الدين والحرمات ولما فيه من عزة المسلمين ، فالجراحات والشهداء الذين نقدمهم لا يمكن تقابل بالمصالح الكثيرة والعظيمة التي تتحصل بسبب الجهاد لعموم الأمة .

وعسى أن تحبوا شيئاً من الراحة والركون إلى الدنيا والسلامة من أتعاب الجهاد من قتل وتشريد وجروح ، لكن وراء هذا شر كبير باعتبار النتائج الأليمة التي تحصل من وراء هذه الراحة من ذل المسلمين واستعبادهم وتقوي الكافرين عليهم وإذلالهم .

ضريبة الجهاد وتكاليفه مهما عظمت، وكيفما كانت فهي كلها خير وبركة، فالمجاهد شأنه دائماً أن يتقلب من نصر إلى نصر، ومن عز إلى عز؛ إما عزٌّ ونصر في ميادين

الجهاد والقتال، وإما نصرُ الظفر بالشهادة والفوز بالنعيم وجنان الخلد.. وكلاهما خير .

بينما ضريبة الذل والهوان يقدمها الإنسان من دينه، وعرضه، وماله، وأرضه، وعزته وكرامته، والطاغوت يريد منه المزيد من البذل ودفع الضرائب .

لذا مهما عظمت محنة القتل والقتال والجروح والاستشهاد فإنه يهون أما فتنة وفساد الشرك، كما قال تعالى {والفتنة أشد من القتل} ، وقال تعالى {والفتنة أكبر من القتل}، أي فتنة الكفر والشرك أشد وأكبر من القتل والقتال وما يترتب عليه من جراحات وآلام.

قال ابن كثير في التفسير: (ولما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتل الرجال نبه تعالى على أن ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به، والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأطم من القتل، ولهذا قال: {والفتنة أشد من القتل} قال أبو العالية، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والضحاك، والربيع بن أنس في قوله{والفتنة أشد من القتل} يقول: الشرك أشد من القتل) اهـ.

وقال تعالى { فقاتل في سبيل الله لا تُكَلَّفُ إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى اللهُ أن يكفَّ بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً }[النساء: 84].

قال القرطبي في تفسيره : قال الزجاج: أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالجهاد وإن قاتل وحده؛ لأنه قد ضمن له النصرة . قال ابن عطية: هذا ظاهر اللفظ، إلا أنه لم يجئ في خبر قط أن القتال فُرض عليه دون الأمة مدة ما؛ فالمعنى والله أعلم أنه خطاب له في اللفظ، وهو مثال ما يقال لكل واحدٍ في خاصة نفسه؛ أي أنت يا مُحَمَّد وكل واحد من أمتك القول له { فقاتل في سبيل الله لا تُكلف إلا نفسك } ، ولهذا

ينبغي لكل مؤمن أن يجاهد ولو وحده ؛ ومن ذلك قول النبي - ﷺ - :" والله لأقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي ". وقول أبي بكر وقت الردة: ولو خالفتني يميني لجاهدتها بشمالي" اهـ .

ويقول الله تعالى {وَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ، وَقالُوا: ذَرْنا نَكُنْ مَعَ الْقاعِدِينَ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ وَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ * لكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولئِكَ لَهُمُ الْخَيْراتُ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ، خالِدِينَ فِيها، ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: 86-88].

يقول سيد قطب رحمه الله :" إنهما طبيعتان.. طبيعة النفاق والضعف والاستخذاء. وطبيعة الإيمان والقوة والبلاء. وإنهما خطتان..

خطة الالتواء والتخلف والرضى بالدون. وخطة الاستقامة والبذل والكرامة.

فإذا أنزلت سورة تأمر بالجهاد جاء أولوا الطول، الذين يملكون وسائل الجهاد والبذل. جاءوا لا ليتقدموا الصفوف كما تقتضيهم المقدرة التي وهبها الله لهم، وشكر النعمة التي أعطاها الله إياهم، ولكن ليتخاذلوا ويعتذروا ويطلبوا أن يقعدوا مع النساء لا يذودون عن حرمة ولا يدفعون عن سكن. دون أن يستشعروا ما في هذه القعدة الذليلة من صغار وهوان، مادام فيها السلامة، وطلاب السلامة لا يحسون العار، فالسلامة هدف الراضين بالدون:

«رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ» ..

«وَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ» ..

ولو كانوا يفقهون لأدركوا ما في الجهاد من قوة وكرامة وبقاء كريم، وما في التخلف من ضعف ومهانة وفناء ذميم.

«إن للذل ضريبة كما أن للكرامة ضريبة. وإن ضريبة الذل لأفدح في كثير من الأحايين. وإن بعض النفوس الضعيفة ليخيل إليها أن للكرامة ضريبة باهظة لا تطاق، فتختار الذل والمهانة هرباً من هذه التكاليف الثقال، فتعيش عيشة تافهة رخيصة، مفزعة قلقة، تخاف من ظلها، وتفرق من صداها، يحسبون كل صيحة عليهم، ولتجدنهم أحرص الناس على حياة.. هؤلاء الأذلاء يؤدون ضريبة أفدح من تكاليف الكرامة. إنهم يؤدون ضريبة الذل كاملة. يؤدونها من نفوسهم، ويؤدونها من أقدارهم، ويؤدونها من سمعتهم، ويؤدونها من اطمئنانهم، وكثيراً ما يؤدونها من دمائهم وأموالهم وهم لا يشعرون ومن هؤلاء أولئك الذين {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ} ا هـ .

أهل الإيمان الحق لا يعتذرون عن الجهاد بالأموال والأنفس مهما بلغ الحال، بخلاف الخوالف فربما يتعذر أحدهم بالخوف أو عدم الاستطاعة أو بأعذار واهية كما سنذكرها إن شاء الله ، كما قال تعالى في وصف المؤمنين {لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} [التوبة: 44]، وهذا حال المؤمنين الصادقين، قال تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحجرات: 15].

ها أنا أحاول أذكر لك جمعا من المعوقات والأعذار التي يعتذر بها المتقاعسون ويتعلل بها المخلفون القاعدون عن النفير ، ومهما تعللوا بأي علة فلا ينفعهم أي

عذر ما لم يكن عذرا شرعياً ، إنما يتعللوا بعلل واهية أوهى من خيوط العنكبوت ، وحجج ساقطة، كاذبين على أنفسهم، مخادعين لضمائرهم .

إن التبرير للنفس بالقعود عن النفير في سبيل الله، وإن تعليل النفس بعلل تخدر مشاعرها فترضى بالقعود عن القتال في سبيل الله لهو ولعب، بل اتخاذ دين الله لهوا ، ولعبا ونحن أمرنا بالإعراض عن هؤلاء بنص القرآن (وذر الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا...).

إن التعلل بالآمال دون الإعداد لهو شأن النفوس الصغيرة التي لا تطمح أن تصل إلى القمم ولا أن ترقى إلى الذرى:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت من مرادها الأجسام

وعلينا أن نجعل نصب أعيننا هذه الآية وهي قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[التوبة: 38-39] .

قال الإمام ابن العربي رحمه الله في أحكام القرآن : "في هذه الآية فيها مسألتان :

المسألة الأولى : هذا تهديد شديد ، ووعيد مؤكد ، في ترك النفير : ومن محققات مسائل الأصول أن الأمر إذا ورد فليس في وروده أكثر من اقتضاء الفعل ؛ فأما العقاب عند الترك فلا يؤخذ من نفس الأمر ، ولا يقتضيه الاقتضاء ؛ وإنما يكون العقاب بالخبر عنه ، كقوله : إن لم تفعل كذا عذبتك بكذا ، كما ورد في هذه

الآيـة؛ فوجـب بمقتضـاها النفـير للجهـاد ، والخـروج إلى الكفـار لمقـابلتهم علـى أن تكـون كلمة الله هي العليا .

المسألة الثانية : في نوع العذاب : قال ابن عباس : هو حبس المطر عنهم .

فـإن صـح ذلـك فهـو أعلـم مـن أيـن قالـه، وإلا فالعـذاب الألـيم هـو الـذي في الـدنيا باسـتيلاء العــدو علــى مــن لم يســتول عليــه، وبالنــار في الآخــرة، وزيادة علــى ذلــك استبدال غيركم ، كما قال الله سبحانه :(وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم) " ا هـ .

وقـال العلامـة الطـاهر بـن عاشـور رحمـه الله في تفسـيره : "والعقـوبات الدنيويـة مصـائب تترتّـب علـى إهمـال أسـباب النجـاح، وبخاصّـة تـرك الانتصـاح بنصـائح الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام ، كمـا أصـابهم يـوم أُحـد ، فالمقصـود تهديـدهم بأنّهـم إن تقاعـدوا عـن النفير هاجمهم العدوّ في ديارهم فاستأصلوهم وأتى الله بقوم غيرهم " ا هـ .

أسـأل الله أن يرفـع عنّـا هـذا الـذلّ الـذي طـال أمـده ، وأن يرفـع عـن قلـوب المسـلمين الـرّان والغفلـة ، وأن يوفـق الجميـع للجهـاد ودفـع العـدو الصـائل علـيهم ، وأن يعلـي رايـة الجهـاد ، وأن يقمـع أهـل الزيـغ والفسـاد ، وأن يرفـع عـن هـذه الأمـة البأسـاء و الضـراء، و أن يعجل لها نصرا يعز به عباده، و يذل به أعدائه، إنه القادر على ذلك وحده.

العائق الأول/ الآباء والأمهات

مـن معوقـات الجهـاد في هـذا الزمـان الـذي يتعلـل بـه الـبعض إذن الوالـدين، والكثـير يسأل عن تفصيل حكم إذن الوالدين في الجهاد؟

الجهـاد إذا تعـين كمـا هـو الحـال في زماننـا الحاضـر لمداهمـة العـدو لأرض المسـلمين، ففـي هذه الحالة سقط شرط إذن الأبوين للجهاد، فيخرج الولد بغير إذنهما بالإجماع .

مـاذا علـى الآباء لـو دفعـوا بأحـد أبنـائهم ليشـب في مصـانع الأبطـال وميـادين الرجـال وسـاحات النـزال؟ وليهـب أحـدهم أن الله خلقـه عقيمـا ، فمـن شـكر النعمـة أن يـؤدي زكاة أولاده شكرا لربه.

مـاذا علـى الأمهـات لـو قـدمت الواحـدة منهن أحـد أبنائهـا في سـبيل الله يكـون عـزا لهـا في الدنيا وذخرا لها في الآخرة بالشفاعة؟

قـال شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة رحمـه الله في الفتـاوى الكـبرى : " وإذا دخـل العـدو بـلاد الإسـلام فـلا ريـب أنـه يجـب دفعـه علـى الأقـرب فـالأقرب إذ بـلاد الإسـلام كلهـا بمنزلـة البلـدة الواحـدة وأنـه يجـب النفـير إليـه بـلا إذن والـد ولا غـريم ونصـوص أحمـد صـريحة بهـذا وهـو خـير ممـا في المختصـرات لكـن هـل يجـب علـى جميـع أهـل المكـان النفـير إذا نفـر إليـه الكفايـة كـلام أحمـد فيـه مختلـف وقتـال الـدفع مثـل أن يكـون العـدو كثـيرا لا طاقـة للمسـلمين بـه لكـن يخـاف إن انصـرفوا عـن عـدوهم عطـف العـدو علـى مـن يخلفـون مـن المسـلمين فهنـا قـد صـرح أصـحابنا بأنـه يجـب أن يبـذلوا مهجهـم ومهـج مـن يخـاف علـيهم في الـدفع حـتى يسـلموا ونظيرهـا أن يهجـم العـدو علـى بـلاد المسـلمين وتكـون

المقاتلة أقل من النصف فإن انصرفوا استولوا على الحريم فهذا وأمثاله قتال دفع لا قتال طلب لا يجوز الانصراف فيه بحال ووقعة أحد من هذا الباب" أ هـ

قال الحافظ ابن حجر في الفتح : " قَالَ جُمْهُور الْعُلَمَاء : يَحْرُم الْجِهَاد إِذَا مَنَعَ الْأَبَوَانِ أَوْ أَحَدهمَا بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَا مُسْلِمَيْنِ ، لِأَنَّ بِرّهمَا فَرْض عَيْن عَلَيْهِ وَالْجِهَاد فَرْض كِفَايَة ، فَإِذَا تَعَيَّنَ الْجِهَاد فَلَا إِذْن . وَيَشْهَد لَهُ مَا أَخْرَجَهُ اِبْن حِبَّانَ مِنْ طَرِيق أُخْرَى عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو " جَاءَ رَجُل إِلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنْ أَفْضَل الْأَعْمَال ، قَالَ : الصَّلَاة . قَالَ ثُمَّ مَهْ ؟ قَالَ الْجِهَاد . قَالَ فَإِنَّ لِي وَالِدَيْنِ ، فَقَالَ آمُرك بِوَالِدَيْك خَيْرًا . فَقَالَ وَالَّذِي بَعَثَك بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَأُجَاهِدَنَّ وَلَأَتْرُكَنَّهُمَا قَالَ فَأَنْتَ أَعْلَم " وَهُوَ مَحْمُول عَلَى جِهَاد فَرْض الْعَيْن تَوْفِيقًا بَيْن الْحَدِيثَيْنِ " ا هـ .

وقال الشوكاني في نيل الأوطار 40/8 "قوله (فإن أذنا لك فجاهد) فيه دليل على أنه يجب استئذان الأبوين في الجهاد وبذلك قال الجمهور وجزموا بتحريم الجهاد إذ منع منه الأبوان أو أحدهما لأن برهما فرض عين والجهاد فرض كفاية، فإذا تعين الجهاد فلا إذن" ا هـ .

حال بعض الأمهات كما قال الشيخ عبدالله عزام : " والله خالتي قلت لها: يا خالة ابنها ذهب الى الجهاد بالله عليك لو دخل الكفار مكة المكرمة هل تسمحين لأولادك أن يخرجوا للقتال؟! قالت: لا والله لأضعنهم في غرفة وأغلق عليهم.

إذن متى يصبح الجهاد فرض عين؟!.. إذن من يجاهد..؟!.. كيف يجاهد الناس..؟!.. إذا كانت تقول: إذا وصل العدو الحرم أنا لا أسمح لأبنائي أن يخرجوا، وهذا فعلا واقع، لأنه نحن الان بإمكاننا أن نقاتل روسيا، أما إذا دخل عندنا اليهود الضفة الغربية... الآن لا أحد يسمح لابنه أن يقاتل، يقول له: ستخرب بيتي، أنا

الآن لا أؤثر على والدي ولا يؤثر واحد فيكم على تجارة أبيه ولا على أرضه ولا على عرضه، إن قتل يقتل بنفسه، لكن عند اليهود، إذا أمسكوا به يزجون بأهله في السجون، يصادرون ممتلكاته، يهدمون بيته.. إذا معنى ذلك: لن يجاهد أحد لأن الأمهات لا يسمحن لأبنائهن أن يخرجوا.

جاء رجل لاحقا ابنه من الجزيرة فقلت له: كم ولدا لك بالله عليك؟ قال: سبعة، قلت له: أعطاك سبعة ألا تعطيه واحدا - واحدا لله- يبقى لك ستة، وبعد نقاش طويل، قال: والله لو عندي مائة ما أسمح لواحد.. معنى ذلك؛ سيضيع الدين وتضيع البلاد وتضيع الأعراض، ونحن ننتظر استئذان الوالدين " أ هـ.

وقال أيضاً : " الشيخ ابن باز قال: الجهاد الآن في أفغانستان فرض عين، ولكن يجب استئذان الوالدين، فقلت له: يا شيخنا ما سبقك بهذا أحد من الفقهاء، كل الفقهاء يقولون: إنه في فروض العين لا يوجد استئذان، قال: يا شيخ عبد الله الحديث (ففيهما فجاهد) [جزء من حديث رواه البخاري]. قلت له: الحديث الآخر: (والذي بعثك بالحق لأتركنهما وأجاهد، قال: أنت أعلم) [رواه ابن حبان، انظر فتح الباري جزء 2 ص141]. قال: الحديث الأول أقوى.

والحديثان جمع بينهما ابن حجر في فتح الباري في شرح البخاري، يقول: الحديث الاول في فرض الكفاية والحديث الثاني في فرض العين، يعني: لا يستأذن في فرض العين، وفي فرض الكفاية يستأذن، وأنا في الحقيقة استحييت أن أواصل معه النقاش، رجل كوالدنا، فقال: يا شيخ عبد الله، أنت اثبت على فتواك وأنا أثبت على فتواي...

قال لي أحد الشباب: إن أمي غاضبة علي بسبب مجيئي وقالت: أنا سأغضب عليك إذا لم ترجع، قلت له: كلما غضبت كلما رضي الرحمن، لأنك خرجت ابتغاء مرضاة الرحمن وعصيت أمك، وهي من الإنسان، وفصحيحين:

(إنما الطاعة في المعروف)، قلت له: لم يقل أحد من العلماء، على أنه يجب الاستئذان في فروض الأعيان، بل حتى أمير المؤمنين، ولو كان عمر بن عبد العزيز.

فالمهم; لا استئذان من الوالدين في فروض الأعيان، فروض الأعيان ليس فيها استئذان أبدا " ا هـ .

فإن قالوا: أمك تبكي عليك! فقل لها:

أماه ديني قد دعاني للجهاد وللفِدا

أماه إني ذاهب للخلد لن أتَرَدّدا

أماه لا تبكي عليَّ إذا سقطْتُ مُمَدَّداً

وقل لها: أماه إن سحَّت دموعُكِ أو تذَكَّرْتِ اللقاء

وعَدَت عليك الذكرياتُ وهَيَّجَت فيك البكاء

فَتَجَلَّدِي بالصبر حيناً ثم جُودي بالدعاء

يقول الله تعالى { قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشَون كَسَادَها ومَسَاكنُ تَرْضَونها أَحَبَّ إليكم من الله ورسوله وجِهَادٍ في سبيله فَتَرَبَّصُوا حتى يأتيَ الله بِأَمرِهِ والله لا يهدي القوم الفاسقين} [التوبة: 24].

العائق الثاني/ الأبناء

الأولاد فتنة قد يكونون عوناً لك على الجهاد وقد يكونون بلاءً وفتنة ومعوقا عن الجهاد قال رسول الله ﷺ (إن الولد مَبْخَلة مَجْهلة مَجْبنة).

ومعناه أن الولد يجعل الوالد يبخل ليدخر لولده، ويوقعه في الجهل لشَغْلِه عن طلب العلم، ويجعله يجبن لإحجامه عن الجهاد خشية القتل وضياع الولد من بعده.

وقال الله تعالى {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [الأنفال: 28].

قال سيد قطب رحمه الله : "الحياة التي يدعو إليها رسول الله- ﷺ- حياة كريمة، لا بد لها من تكاليف، ولا بد لها من تضحيات.. لذلك يعالج القرآن هذا الحرص بالتنبيه إلى فتنة الأموال والأولاد فهي موضع ابتلاء واختبار وامتحان ، وبالتحذير من الضعف عن اجتياز هذا الامتحان ومن التخلف عن دعوة الجهاد وعن تكاليف الأمانة والعهد والبيعة. واعتبار هذا التخلف خيانة لله والرسول، وخيانة للأمانات التي تضطلع بها الأمة المسلمة في الأرض، وهي إعلاء كلمة الله وتقرير ألوهيته وحده للعباد، والوصاية على البشرية بالحق والعدل.. ومع هذا التحذير التذكير بما عند الله من أجر عظيم يرجح الأموال والأولاد، التي قد تُقعد الناس عن التضحية والجهاد:

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. وَاعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} " ا هـ .

قال العلامة السعدي رحمه الله: "ولما كان العبد ممتحناً بأمواله وأولاده، فربما حملته محبته ذلك، على تقديم هوى نفسه، على أداء أمانته، أخبر الله تعالى أن الأموال والأولاد فتنة يبتلي الله بهما عباده، وأنهما عارية، ستؤدى لمن أعطاها، وترد لمن استودعها" ا هـ .

وقال الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[التغابن: 14].

قال ابن النحاس في مشارع الأشواق : " وإن تذكرت ولدك الكريم وحنوت عليه حنو الأب الشفيق الرحيم، فقد قال الله تعالى { إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم } .

وتالله لله أرحم بالولد من أبيه وأمه، وأخيه وعمه، وكيف لا وهو قد رباه قبلهم بثدي رحمه، في ظلمات الأحشاء، وقلبه بيد لطفه ورأفته في أرحام الأمهات وأصلاب الآباء، فأين كانت شفقتك عليه إذ ذاك، وحنوك وبعدك عنه ودنوك، وكيف يقعدك عن دار النعيم، وجوار الرب الكريم، ولد إن كان صغيرا فأنت به مهموم، أو كبيرا فأنت به مغموم، أو صحيحا فأنت عليه خائف، أو سقيما فقلبك لضعفه واجف، إن أدبته غضب وشرد، أو نصحته حرد وحقد، مع ما تتوقعه من العقوق المعتاد، من كثير من الأولاد، إن أقدمت جننك، وإن سمحت بخلك، وإن زهدت رغبك، عظمت به الفتنة، وأنت تعدها منة، وعم به البلاء، وأنت تراه من النعماء، تود سروره بهمك، وفرحه بحزنك، وربحه بخسرانك، وزيادة درهمه وديناره بخفة ميزانك، تتكلف من أجله ما لا تطيق، وتدخل بسببه في كل مضيق، ألقه يا هذا عن بالك إلى من خلقك وخلقه وتوكل في رزقه بعدك على الذي رزقك ورزقه، أسلمت إلى

الله تـدبيره في الملـك والملكـوت، ولا تسـلم إليـه تـدبير ولـدك بعـدما تمـوت، وهـل إليـك مـن تـدبيره قليـل أو كثـير { ولله ملـك السـموات والأرض ومـا بينهمـا وإليـه المصـير } [المائـدة: 18]، والله لا تملـك لـه ولا لنفسـك نفعـا ولا ضـرا، ولا مـوتا ولا حيـاة ولا نشـورا، ولا تسـتطيع أن تزيـد في عمـره يسـيرا، ولا في رزقـه نقـيرا، وقـد تفترسـك المنيـة بغتـة، فتمسـي في قـبرك صـريعا وبعملـك أسـيرا، ويصـبح ولـدك العزيـز بعـدك يتيمـا، ويقسم مالك وارثك عدوا كان أو رحيما، ويفترق عيالك ظاعنا ومقيما.

وتقـول يا ليتـني كنـت مـع الشـهداء فـأفوز فـوزا عظيمـا، فيقـال لـك : هيهـات هيهـات، فـات مـا فـات، وعظمـت الحسـرات، وخلـوت بمـا قـدمت مـن حسـنات أو سـيئات، ألا واسمـع قـول الله العزيـز الغفـور، محـذرا لـك مـا أنـت فيـه مـن الغـرور { يا أيهـا النـاس اتقـوا ربكـم واخشـوا يومـا لا يجـزي والـد عـن ولـده ولا مولـود هـو جـاز عـن والـده شـيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور } [لقمان: 33].

هـذا وإن كـان ولـدك مـن السـعداء، فسـتجمع بينـك وبينـه الجنـان، وإن كـان مـن الأشـقياء، فلـيكن مـن الآن، لا يجتمـع أهـل الجنـة مـع أهـل النـار، ولا الأخيـار مـع الأشـرار، ولعـل الله يرزقـك الشـهادة فتشـفع فيـه، وتكـون بفراقـك لـه سـاعيا في أن تنجيـه، احـرص علـى مـا ينجيـك مـن العـذاب، واجهـد فيـه، فغـدا { يفـر المـرء مـن أخيـه وأمـه وأبيـه وصـاحبته وبنيـه لكـل امـرئ مـنهم يومئـذ شـأن يغنيـه} إن هـذا لهـو البيـان العظيم { والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم }" ا هـ .

قـال القاضـي عيـاض رحمـه الله: (« في لـزوم محبتـه ﷺ » قـال تعـالى {قُـلْ: إِنْ كـانَ آباؤُكُـمْ وَأَبْنـاؤُكُمْ وَإِخْـوانُكُمْ وَأَزْواجُكُـمْ وَعَشِـيرَتُكُمْ، وَأَمْـوالٌ اقْتَرَفْتُمُوهـا، وَتِجـارَةٌ تَخْشَـوْنَ

كَسادَها، وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها.. أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ.. فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ}.

فكفى بهذا حضًّا وتنبيها ودلاله وحُجَّة على إلزام محبته، ووجوب فرضها وعِظَم خَطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرَّع تعالي من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى: (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره).

ثم فسَّقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله.) (الشفا) .

العائق الثالث/ الأخوة

قال الله تعالى {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَإِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ} [التوبة: 23-24].

وهذه الآية يسميها بعض العلماء آية الأعذار الثمانية، وسماها البعض آية إبطال الأعذار الثمانية، فلم يقبل الله تعالى هذه الأعذار للقعود عن الجهاد ، وسمى الله تعالى المعتذر بهذه الأعذار فاسقا، وتَوَعَّده سبحانه وتعالى بالضلال في قوله {وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِين} .

قال سيد قطب رحمه الله :" إن هذه العقيدة لا تحتمل لها في القلب شريكاً فإما تجرد لها، وإما انسلاخ منها. وليس المطلوب أن ينقطع المسلم عن الأهل والعشيرة والزوج والولد والمال والعمل والمتاع واللذة ولا أن يترهبن ويزهد في طيبات الحياة.. كلا إنما تريد هذه العقيدة أن يخلص لها القلب، ويخلص لها الحب، وأن تكون هي المسيطرة والحاكمة، وهي المحركة والدافعة. فإذا تم لها هذا فلا حرج عندئذ أن يستمتع المسلم بكل طيبات الحياة، على أن يكون مستعداً لنبذها كلها في اللحظة التي تتعارض مع مطالب العقيدة.

ومفرق الطريق هو أن تسيطر العقيدة أو يسيطر المتاع وأن تكون الكلمة الأولى للعقيدة أو لعرض من أعراض هذه الأرض. فإذا اطمأن المسلم إلى أن قلبه خالص

لعقيدته فلا عليه بعد هذا أن يستمتع بالأبناء والإخوة وبالزوج والعشيرة ولا عليه أن يتخذ الأموال والمتاجر والمساكن ولا عليه أن يستمتع بزينة الله والطيبات من الرزق ، في غير سرف ولا مخيلة ، بل إن المتاع بها حينئذ لمستحب، باعتباره لوناً من ألوان الشكر لله الذي أنعم بها ليتمتع بها عباده، وهم يذكرون أنه الرازق المنعم الوهاب" أ.ه.

قال ابن النحاس في مشارع الأشواق : " وإن قلت : يشق على فراق الأخ والقريب، والصديق والحبيب، فكأنك بالقيامة وقد قامت على الخلق أجمعين : {الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين }، فإن كانت الصداقة لله، فستجمع بينكما عليون، في نعيم أنتم فيه خالدون، وإن كانت الصحبة لغير الله، فالفراق الفراق، قبل أن يحشر الرفاق مع الرفاق، لأن المرء في الآخرة مع محبوبه، لمشاركته إياه في مطلوبه، فإن كان من الأتقياء نفعه أخاه، وإن كان من الأشقياء، ضره وأراده، مع ما يتوقع في هذه الدار من الأقرباء والأصدقاء من الجفاء، والصد وقلة الوفاء، وكثرة الكدر وعدم الصفاء، وتغيّرهم لديك، وتلونهم عليك، وإساءتهم إليك، وهجرهم إياك، عند فوات الأغراض، وما تَجُنُّهُ قلوبهم من العلل والأمراض، إن وقعت في شدة تخلوا عنك، أو واقعت زلة تبرؤوا منك، إخوان السراء وأعداء الضراء، صداقتهم مقرونة بالغنا، وصحبتهم مشحونة بالعناء إن قل مالك مَلُّوك، وإن حال حالُك، فما أخوك أخوك وإن شككت في شيء من هذا البيان، فسيظهر لك يقينا عند الامتحان، وإن ظفرت يدك منهم، بأخ من إخوان الصفا ! وأين ذاك، أو خِل من خِلّان الوفا، وما أراك، فأنتما غدا كما قال أصدق القائلين : { ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين } .

ولا يقعدك يا هذا عن الجهاد حبيب أو قريب، فربما افترقتما قبل المغيب، ففاتك الثواب العظيم، وبان عنك الصديق الحميم، وحرمت ما ترومه من الدرجات، وندمت فلم يغنك الندم على ما فات .

وفي الحديث : إن جبريل عليه السلام قال للنبي يا مُحَمَّد إن الله يقول لك : عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به .

فانظر ما اشتملت عليه هذه الكلمات اليسيرة، من ذكر الموت وفراق الأحبة، والجزاء على الأعمال أبعد هذا الإنذار إنذار { إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار }" ا هـ .

العائق الرابع/ الزوجة

قال الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [التغابن: 14].

قال عطاء بن يسار : نزلت سورة التغابن كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات : نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد ، وكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه فقالوا : إلى من تدعنا ؟ فيرق فيقيم ، فنزلت : الآية كلها بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي .

وروى الترمذي : عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية قال : هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النبي ﷺ ، فلما أتوا النبي ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله تعالى الآية. حسنه الألباني في صحيح الترمذي .

ومعنى عداء الزوجة والأولاد أن يكونوا سبباً في ركون الإنسان إليهم والقعود عن الجهاد. كما أن هناك تحذيراً تنبه فيه النبي ﷺ إلى محاولة الشيطان في التصاق الإنسان ببيته وربطه بأهله، عن سبرة بن أبي فاكه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن الشيطان قعد لابن آدم بطريق الإسلام فقال له : تسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فأسلم فغُفِرَ له فقعد له بطريق الهجرة فقال له : تهاجر وتذر أرضك وسماءك فعصاه فهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال له : تجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتُقتل فتُنكح المرأة ويُقسم المال فعصاه فجاهد فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن

يدخله الجنة أو قُتِلَ كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وَقَصَتْهُ دابَّةٌ كان حقا على الله أن يدخله الجنة).

ولا تنسى قوله ﷺ : " إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ – وَفِي رِوَايَةٍ: لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ –، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ " .

قَالَ الإِمامُ أبُو زَكَرِيَّا النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : "وَمَعْنَى "فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ" : تَجَنَّبُوا الِافْتِتَان بِهَا وَبِالنِّسَاءِ، وَتَدْخُلُ فِي النِّسَاءِ الزَّوْجَاتُ وَغَيْرُهُنَّ، وَأَكْثَرُهُنَّ فِتْنَةً الزَّوْجَاتُ، لِدَوَامِ فِتْنَتهنَّ وَابْتِلَاءِ أَكْثَرِ النَّاسِ بِهِنَّ " .

أرسل بعض الخلفاء إلى الفقهاء بجوائز فقبلوها؛ وردها الفضيل، فقالت له امرأته: ترد عشرة آلاف، وما عندنا قوت يومنا؟! فقال: مثلي ومثلكم كقوم لهم بقرة يحرثون عليها، فلما هرمت ذبحوها، وكذا أنتم أردتم ذبحي على كبر سني، موتوا جوعا قبل أن تذبحوا فضيلا .

قال الشيخ رفاعي سرور في بيت الدعوة : " ولهذا كان لابد من تحديد الأصول التي يعيش بها الداعية في مسكنه، ويتعامل بها مع زوجته دون أن ينسى آخرته ودعوته. وأول هذه الأصول هي ممارسة إرادة الخروج في سبيل الله، ولو في أيسر الصور والمهام مثلما كان يفعل الرسول ﷺ عند خروجه إلى الصلاة كما تقول عائشة: (كان رسول الله في خدمة أهله فإذا سمع المؤذن قام كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه) ، هذا إذا كان مستيقظاً أما إذا كان نائماً (قام وكأنه في فزع).

وهذا السلوك هو الذي يحقق إرادة الخروج، لأن التأخير ولو لحظة عن الخروج عند الضرورة هو الذي يسبب القعود، وهذا موقف وضحت فيه آثار التأخير عن

الخروج، وهو موقف كعب ابن مالك، حيث لم يكن ينقصه نية الخروج ولا إمكانياته، لكنه وهو واثق بإمكانية اللحاق بالجيش لم يتمكن من ذلك وكان من المخلفين، وعندما سأل رسول الله ﷺ عنه في الميدان كان رد أحد الصحابة يوضح كيف كان الانتباه إلى هذا الأمر، وكيف كانت دقه التصور عنه، إذ قال: (يا رسول الله، شغله برديه، والنظر في عطفيه) ، فإن نظرة من الإنسان إلى حياته بإعجاب أو لحظه أمل في الدنيا من الممكن أن تسبب قعوده، ولذلك كان الأمر بأن يعتزل كعب امرأته تربية له، إما الصاحبيان اللذان تخلفا مع كعب طلباً من رسول الله بقاء زوجاتهما في البيت لخدمتهما فأذن لهما دون معاشرتهن.

وهذا يعني أن مشاعر العلاقة الاجتماعية الكامنة في كيان الإنسان بطبعه الاجتماعي لابد أن تخضع لمقتضيات الدعوة.

فعندما كانت المقاطعة في قصة كعب أمراً واجباً كان توجيه تلك المشاعر نحو الزوجة أمراً ضرورياً كمقدمة للمقاطعة الكاملة.

ولكن عندما يكون قيام العلاقة الاجتماعية بين المسلم والمسلمين في الوضع الطبيعي أمراً واجباً كضرورة للدعوة يكون الحذر من التقصير في قيام تلك العلاقة الاجتماعية الواجبة، وتوجيه تلك المشاعر نحو العلاقة الزوجية، لأن هذا ينشئ انفصالاً بين الفرد والجماعة ويسبب الركون إلى الزوجة.

وهذا موقف آخر يعطينا نموذجاً لإرادة الخروج والحذر من التأخر، وهو موقف (حنظلة بن أبي عامر) الذي يسمع نداء الجهاد (أن يا خيل الله اركبي)، وهو يغتسل من الجنابة فلا يتم الاغتسال ويخرج ونتتبعه من لحظة خروجه، فتراه يصل إلى قمة التضحية، حيث استُشهد فقال النبي ﷺ: (لقد رأيت الملائكة تغسله) .

وتبرز حقيقة عظيمة من موقف حنظلة وهي أن تحقُّق قمة التضحية لن يكون إلا من منطلق التجرد الكامل " ا هـ .

قال ابن النحاس في مشارع الأشواق : " وإن قلت : لا تطيب نفسي بفراق زوجتي وجمالها، وأنسي بقربها، وسروري بوصالها، فهب أن زوجتك أحسن النسوان، وأجمل أهل الزمان، أليس أولها نطفة مذرة وآخرها جيفة قذرة، وهي فيما بين ذلك تحمل العذرة، حيضها يمنعك شطر عمرها، وعقوقها لك أكثر من برها، إن لم تكتحل تعمشت عينها، وإن لم تتزين ظهر شَيْنُها، وإن لم تمتشط شعثت شعورها، وإن لم تدهن طفى نورها، وإن لم تطيب تفلت، وإن لم تتطهر نتنت، كثيرة العلل، سريعة الملل، إن كبرت أيست، وإن عجزت هرمت، تحسن إليها جهدك، فتنكر ذلك عند السخط.

كما قال : لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت : ما رأيت منك خيرا قط".

تروم منها أقذر ما فيها، وتخاف هجرها، وتخشى تجافيها، يحملك حبها على الكد والتعب، والشقاء الشديد والنصب، توردك الموارد المهلكة، وترضى في أدنى هواها بهلاكك وما أوشكه، تودك لمرادها منك، فإن فات أعرضت عنك، وهجرتك وطلبت سواك، وملتك وأظهرت قلاك ، وقالت بلسان حالها، إن لم تفصح بمقالها، واصلني وأنفق، أو فارقني وطلق، وبالجملة لا يمكن أن تستمتع بها إلا على عوج، ولا تدوم صحبتك إياها إلا مع ضيق وحرج، يالله العجب، كيف يقعدك حب هذه، عن وصال من خلقت من النور، ونشأت في ظلال القصور، مع الولدان والحور، في دار النعيم والسرور، والله لا يجفُّ دم الشهيد حتى تلقاه، وتستمتع

بشهود نورها عيناه، حوراء عيناء، جميلة حسناء، بكر عذراء، كأنها الياقوت ، لم يطمثها إنس قبلك ولا جان، كلامها رخيم، وقدُّها قويم، وشعرها بهيم وقدرها عظيم، جفنها فاتر ، وحسنها باهر، وجمالها زاهر، ودلالها ظاهر ، كحيل طرفها، جميل ظرفها، عذب نطقها، عجب خلقها، حسن خلقها، زاهية الحلى، بهية الحلل، كثيرة الوداد، عديمة الملل، قد قصرت طرفها عليك، فلم تنظر سواك، وتحبب إليك، بكل ما وافق هواك، لو برز ظفرها لطمس بدر التمام، ولو ظهر سوارها ليلا، لم يبق في الكون ظلام، ولو بدا معصمها لسبى كل الأنام، ولو اطلعت بين السماء والأرض، لملأ ريحها ما بينهما، ولو تفلت في البحر المالح، عاد كأعذب الماء، كلما نظرت إليها ازدادت في عينك حسنا، وكلما جالستها زادت إلى ذلك الحسن حسنا، أيجمل بعاقل أن يسمع بهذه ويقعد عن وصالها، كيف وله في الجنة من الحور العين أمثال أمثالها " ا هـ .

كان الأنبياء وأتباعهم يخافون من فتنة الزوج والولد، لذلك عندما جاء الخليل متفقداً ولده إسماعيل بمكة ولم يجده، ووجد زوجه، وشعر أن عندها ميلاً إلى الدنيا وقلة قناعة، قال لها: أقري زوجك مني السلام وقولي له: غيِّر عتبة بابك؛ كناية عن طلاقها.

ولذات السبب يقول بعض العلماء أن عمر بن الخطاب ﷺ طلب من عبد الله ابنه أن يطلق زوجة له خشي أن تشغله عن الغزو والجهاد، فأبى، فشكاه إلى الرسول ﷺ فأمره بطلاقها فطلقها.

العائق الخامس/ القبيلة

قد يقول قائل كيف تكون العشيرة أو القبيلة عائقاً من عوائق الجهاد ؟

فأقول كان في الماضي القبيلة تمنع الواحد من الدخول في الإسلام أو من الهجرة ، أما اليوم فالقبيلة تكون عائقا من جهات ، منها أنه يخشى أن يدخل الضرر على القبيلة كأن تداهم ، أو أن يحلق الطيران فوق رؤوسهم ، أو أن تفجر بيوتهم ، أو تكون القبيلة داخلة في حزب الحاكم فلا يحب أن تشوه هذه القبيلة عند هذا الحاكم ، أو تكون القبيلة ممن بينها وبين الجماعة المجاهدة خصومة أو حروب لوقوفها بجانب الطاغوت فحاله يقول :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت، وإن ترشد غزية أرشد!

قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله :" وروسيا توزع أموال ضخمة بينهم على زعيم القبيلة حتى يعرقلوا سير المجاهدين، فترسل لزعيم القبيلة مثلا أموال، فهذا زعيم القبيلة... يعرقل سير المجاهدين، كذلك هي تضرب أحيانا الحدود الباكستانية حتى تقتل بعض أبناء القبائل حتى تثور القبائل في وجه من؟ الجهاد الأفغاني ووجه الحكومة التي تسمح للمجاهدين الأفغان" ا هـ .

العائق السادس/ المال

قال الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [التوبة: 38-39].

قال سيد قطب رحمه الله : " إنها ثقلة الأرض ، ومطامع الأرض ، وتصورات الأرض .. ثقلة الخوف على الحياة ، والخوف على المال ، والخوف على اللذائذ والمصالح والمتاع .. ثقلة الدعة والراحة والاستقرار .. ثقلة الذات الفانية والأجل المحدود والهدف القريب .. ثقلة اللحم والدم والتراب .. والتعبير يلقي كل هذه الظلال بجرس ألفاظه :

«اثاقلتم» وهي بجرسها تمثل الجسم المسترخي الثقيل، يرفعه الرافعون في جهد فيسقط منهم في ثقل! ويلقيها بمعنى ألفاظه : «اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ» .. وما لها من جاذبية تشد إلى أسفل وتقاوم رفرفة الأرواح وانطلاق الأشواق.

إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض ، وارتفاع على ثقلة اللحم والدم وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان ، وتغليب لعنصر الشوق المجنح في كيانه على عنصر القيد والضرورة وتطلع إلى الخلود الممتد ، وخلاص من الفناء المحدود ..." اهـ .

وفي الحديث عن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قيل يا رسول الله:

فمن قلة يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل يجعل الوهن في قلوبكم وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت) رواه أبو داود وغيره وصححه الألباني .

وقوله تعالى {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانكُمْ وَأَزْوَاجكُمْ وَعَشِيرَتكُمْ وَأَمْوَال اِقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَة تَخْشَوْنَ كَسَادهَا وَمَسَاكِن تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّه وَرَسُوله وَجِهَاد فِي سَبِيله فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِي اللَّه بِأَمْرِهِ وَاَللَّه لَا يَهْدِي الْقَوْم الْفَاسِقِينَ} [التوبة: 24].

قال الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله :" وكانت قضية الإنسانية أعظم من أن يقوم لها أفراد متنعمون، لا يتعرضون لخطر ولا لخسارة ولا لمحنة، لهم النعيم الحاضر والغد المضمون !، إنما تحتاج هذه القضية إلى أناس يضحون بإمكانياتهم ومستقبلهم في سبيل خدمة الإنسانية وأداء رسالتهم المقدسة، ويعرضون نفوسهم وأموالهم ومعائشهم وحظوظهم من الدنيا للخطر والضياع، وتجاراتهم وحرفهم ومكاسبهم للتلف والكساد ويخيبون آمال آبائهم وأصدقائهم فيهم، حتى يقولوا للواحد منهم كما قال قوم صالح (قالوا يا صالح لقد كنت فينا مرجواً قبل هذا).

إنه لا بقاء للإنسانية ولا قيام لدعوة كريمة بغير هؤلاء المجاهدين، وبشقاء هذه الحفنة من البشر .كما يعتقد كثير من معاصريهم .تنعم الإنسانية وتسعد الأمم، ويتحول تيار العالم من الشر إلى الخير. ومن السعادة أن يشقى أفراد وتنعم أمم، وتضيع أموال وتكسد تجارات لبعض الأفراد وتنجو نفوس وأرواح لا يحصيها إلا الله من عذاب الله ومن نار جهنم..... إن العالم لا يسعد وخيرة الشباب في العواصم العربية عاكفون على شهواتهم، تدور حياتهم حول المادة والمعدة لا يفكرون في غيرهما، ولا يترفعون

عن الجهاد في سبيلهما ولقد كان شباب بعض الأمم الجاهلية الذين ضحوا بمستقبلهم في سبيل المبادئ التي اعتنقوها أكبر منهم نفساً وأوسع فكراً، بل كان الشاعر الجاهلي " امرؤ القيس" أعلى منهم همة إذ قال:

ولو أني أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليلاً من المال.

ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي.

إن العالم لا يمكن أن يصل إلى السعادة إلا على قنطرة من جهاد ومتاعب يقدمها الشباب المسلم. إن الأرض لفي حاجة إلى سماد وسماد أرض البشرية التي تصلح به وتنبت زرع الإسلام الكريم هي الشهوات والمطامع الفردية؛ التي يضحي بها الشباب في سبيل علو الإسلام وبسط الأمن والسلام على العالم، وانتقال الناس من الطريق المؤدية على جهنم إلى الطريق المؤدية إلى الجنة.

إنه لثمن قليل جدا لسلعة غالية جدا" ا هـ .

وقال ابن رجب رحمه الله : "ومن أعظم ما حصل به الذل من مخالفة أمر الرسول ﷺ ترك ما كان عليه من جهاد أعداء الله فمن سلك سبيل الرسول ﷺ عز، ومن ترك الجهاد مع قدرته عليه ذل.

وقد سبق حديث : (إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه من رقابكم حتى تراجعوا دينكم)، ورأى النبي ﷺ سكة الحرث فقال : (ما دخلت دار قوم إلا دخلها الذل).

فمن ترك ما كان عليه النبي ﷺ من الجهاد مع قدرته واشتغل عنه بتحصيل الدنيا من وجوهها المباحة حصل له من الذل فكيف إذا اشتغل عن الجهاد بجمع الدنيا من وجوهها المحرمة" ا هـ . (الحكم الجديرة بالإذاعة).

وقال الله تعالى (وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ) [التوبة: 86].

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره :" يقول تعالى في بيان استمرار المنافقين على التثاقل عن الطاعات، وأنها لا تؤثر فيهم السور والآيات . (وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ) يؤمرون فيها بالإيمان بالله، والجهاد في سبيل الله. (اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ) يعني : أولي الغنى والأموال، الذين لا عذر لهم. وقد أمدهم الله بأموال وبنين، أفلا يشكرون الله ويحمدونه، ويقومون بما أوجبه عليهم، وسهل عليهم أمره. ولكن أبوا إلا التكاسل، والاستئذان في القعود (وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ).

قال تعالى (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) كيف : رضوا لأنفسهم، أن يكونوا مع النساء المتخلفات عن الجهاد. هل معهم فقه أو عقل، دلهم على ذلك؟. أم (طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) فلا تعي الخير، ولا يكون فيها إرادة لفعل ما فيه الخير والفلاح ؟. فهم لا يفقهون مصالحهم. فلو فقهوا حقيقة الفقه، لم يرضوا لأنفسهم بهذه الحال، التي تحطمهم عن منازل الرجال" ا هـ .

العائق السابع/ الترف

الأمة المترفة لا تكون أمة مجاهدة، والتاريخ أكبر دليل على ذلك، فقد فتح المسلمون الأوائل الدنيا وهم فقراء، فلما أصابهم داء الترف؛ وقفت الفتوحات، فلما اشتد بهم هذا الداء؛ بدأت دولتهم تتقلص، وبدأوا يتراجعون. فهذه الأندلس كانت يضرب بها المثل فيما وصلت إليه من ترف، فماذا كانت نتيجة ذلك؟ تناحرت ملوكها، وتقاعس أهلها عن الجهاد، فابتلعها الصليبيون. وحدث مثل ذلك لبغداد عاصمة الخلافة العباسية التي بلغ فيها الترف مبلغه، فلم تستطع أن تقف في وجه التتار، وقس على ذلك...

قال تعالى { وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا } [الإسراء:16].

وقال تعالى { وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (11) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (12) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (13) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (14) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (15) } [الأنبياء].

قال الشوكاني رحمه الله عند قوله (تعالى) :" ؟ إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ؟ : (وخصص المترفين تنبيهاً على أن التنعم هو سبب إهمال النظر) .

إن هؤلاء المترفين هم الذين يصرون على كفرهم، ويعارضون دعوة الأنبياء والمرسلين، ويحذرون أيضاً الناس من ذلك كما قال الله تعالى { وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ } وهم أيضاً سبب هلاك الأمم والشعوب وذلك لأنهم يكفرون ويتسلطون كما قال الله عز وجل { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً }.

«بَلْ مَتَّعْنا هؤُلاءِ وَآباءَهُمْ حَتَّى طالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ. أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها؟ أَفَهُمُ الْغالِبُونَ؟» " ا هـ .

قال سيد قطب رحمه الله : " فهو المتاع الطويل الموروث الذي أفسد فطرتهم. والمتاع ترف. والترف يفسد القلب ويبلد الحس. وينتهي إلى ضعف الحساسية بالله ، وانطماس البصيرة دون تأمل آياته. وهذا هو الابتلاء بالنعمة حين لا يستيقظ الإنسان لنفسه ويراقبها ، ويصلها دائما بالله ، فلا تنساه " ا هـ .

{ وَقالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ } [المؤمنون 33-34].

قال سيد قطب رحمه الله : " والترف يفسد الفطرة ، ويغلظ المشاعر ، ويسد المنافذ، ويفقد القلوب تلك الحساسية المرهفة التي تتلقى وتتأثر وتستجيب. ومن هنا يحارب الإسلام الترف ويقيم نظمه الاجتماعية على أساس لا يسمح للمترفين بالوجود في الجماعة المسلمة ، لأنهم كالعفن يفسد ما حوله ، حتى لينخر فيه السوس ، ويسبح فيه الدود! ثم يزيد المترفون هنا إنكار البعث بعد الموت والبلى ويعجبون من هذا الرسول الذي ينبئهم بهذا الأمر الغريب " ا هـ .

{وَما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها : إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ} [سبأ: 34].

قال سيد قطب رحمه الله : "فهي قصة معادة ، وموقف مكرور ، على مدار الدهور. وهو الترف يغلظ القلوب ، ويفقدها الحساسية ويفسد الفطرة ويغشيها فلا ترى دلائل الهداية فتستكبر على الهدى وتصر على الباطل ، ولا تتفتح للنور.

والمترفون تخدعهم القيم الزائفة والنعيم الزائل ، ويغرهم ما هم فيه من ثراء وقوة ، فيحسبونه مانعهم من عذاب الله ، ويخالون أنه آية الرضى عنهم ، أو أنهم في مكان أعلى من الحساب والجزاء " ا هـ .

قال ابن خلدون في المقدمة : " فإذا حصل الملك أقصروا عن المتاعب التي كانوا يتكلفونها في طلبه وآثروا الراحة والسكون والدعة، ورجعوا إلى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمساكن والملابس، فيبنون القصور، ويجرون المياه، ويغرسون الرياض، ويستمتعون بأحوال الدنيا، ويؤثرون الراحة على المتاعب، ويتأنقون في أحوال الملابس والمطاعم والأنية والفرش ما استطاعوا، ويألفون ذلك ويورثونه من بعدهم من أجيالهم. ولا يزال ذلك يتزايد فيهم إلى أن يتأذن الله بأمره، وهو خير الحاكمين، والله تعالى أعلم " أ هـ.

قال ابن القيم في الفروسية : " التنعم يخنث النفس ويكسبها الأنوثة والكسل ويكون صاحبه أحوج ما يكون إلى نفسه وما آثره من أفلح ... الرجل قد يحتاج إلى نفسه فيجد عنده خشونة وقوة وصبرا ما لا يجدها صاحب التنعم والترفه بل يكون العطب إليه أسرع " ا هـ .

وقـال مُحَمَّد قطـب في مفـاهيم : " وقـام المسـلمون المعاصـرون يتحضـرون ! قـاموا ينفضـون عـن أنفسـهم غبـار التخلـف ، ويحـاولون أن يعوضـوا في سـنوات مـا تخلفـوه خـلال عـدة قرون !

" يتحضرون " على النهج الغربي ، منسلخين أو نافرين من منهج الله .

قـاموا يأخـذون بـبعض أسـباب القـوة المادية – علـى فتـور ظـاهر وتقـاعس – بينمـا يغرقـون في الـترف الغـربي إلى أذقـانهم ، في صـورة بيـوت حديثـة ، وفـراش وثـير ، وسـيارات وطـائرات ، وأفـران وثلاجـات ، وملابـس مزوقـة .. وخمـر وميسـر ، وفوضـى جنسية تسمى " الانطلاق " " ا هـ .

وقال مُحَمَّد قطب أيضاً في مفاهيم :" وحين يبدأ الترف يبدأ الانهيار ..

وتجـيء الأخطـار والأمـة لاهيـة في ترفهـا ، مشـغولة بمتـاع الأرض القريـب ، غـير مقـدّرة للخطـر الـذي يقـترب منهـا ، مخدوعـة بقوتهـا ، أو مسـتنيمة لهواتـف الراحـة والسـلامة والإخلاد إلى الأرض ، مبعدة عنها صوت النذير !

وتمضي السنة الربانية بتدمير المترفين " ا هـ .

العائق الثامن/ الاستضعاف

الله وصف المستضعفين من المؤمنين؛ بأنهم يسعون جاهدين ويدعون الله مخلصين أن يخرجهم من بين الكفار، ولا يطمئنون لواقع الاستضعاف، أو يتخذونه ذريعة وعذراً لبيع الدين بالدنيا ، كما هو حال من يتعذر به اليوم من المفتونين، فقال تعالى {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا} [النساء: 75] .

ثم قال الله تعالى بعدها في نفس السورة {إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً}، فلم يعذر الله سبحانه وتعالى بعذر الاستضعاف إلا من لا يستطيع حيلة في الخروج والفرار إلى الله من صف الكفار، كأن يكون جريحاً أو عاجزاً أو مقيداً أو مأسوراً أو لا يهتدي طريقة وسبيل الهجرة والفرار إلى الصف المسلم، كأن يكون امرأة أو صبياً أو شيخاً أو ضعيفاً .

قال الشيخ أبو يحيي الليبي رحمه الله : "فمثل هذه الآية والأحاديث التي جاءت في الطائفة المنصورة وبيان صفتها، تنفي مزاعم الاستضعاف العام الذي يحاول البعض أن ينحت الصخر لإثباته وغرسه في قلوب الأمة وإقناعها به بكل وسيلة وحيلة، وتثبت أن الأمة أمة قتال وجهاد وظهور ومقابلة لأعدائها في جميع الأعصار ، وعلى مختلف الظروف، فكان الواجب على وثيقة الترشيد – إن كانت تريده كما تزعم – أن تحث الأمة على البحث عن الطائفة المنصورة، وأن تؤكد لها تأكيداً

قاطعاً بوجودها ووجوب مناصرتها والوقوف معها وتقوية صفوفها، بدلاً عن جذبها إلى هاوية الخور وتعزيز معاني الاستكانة، وتهويل أمر أعدائها في أعينها، فهذا هو الترشيد وهو الرشاد الذي يجب أن يقوم به الناصح "المحرض" إن كان يريد التحريض والله المستعان " ا هـ .

وقال أيضاً :" أما أن يرى المسلم ديار الإسلام مغتصبة، وأحكام الشريعة معطلة، وسجون الكفرة تكتظ بإخوانه الأسرى، وأعراض المسلمات تنتهك جهاراً نهاراً، وأموال المسلمين تنهب ويتقوى بها أعدؤهم، ثم ينهمك في أمور الدنيا وكأن أمر الإسلام لا يعنيه، وبعد ذلك يتكئ على أريكته ويقول إننا عاجزون مستضعفون فلا إثم علينا ولا حرج، ولا يسعى سعياً حقيقياً ويجتهد اجتهاداً صادقاً لإزالة عجزه والخروج من استضعافه فهذا من علامات النفاق وليس من أسباب سقوط الإثم كما قال الله تعالى {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} [التوبة: 46].

قال العلام السعدي رحمه الله :" يقول تعالى مبيناً أن المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأن أعذارهم التي اعتذروها باطلة، فإن العذر هو المانع الذي يمنع إذا بذل العبد وسعه، وسعى في أسباب الخروج، ثم منعه مانع شرعي، فهذا الذي يعذر.

(و) أما هؤلاء المنافقون فـ (لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأعَدُّوا لَهُ عُدَّةً) أي: لاستعدوا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب، ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج " ا هـ .

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ : من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق . رواه مسلم

وليس المقصود بتحديث النفس بالجهاد، هو دغدغتها بالأماني، وإرسال أعنة الخيال تسرح هنا وهناك، بل لا بد من ظهور آثار ذلك التحديث، من الأخذ بالأسباب المؤدية إلى تحقيقه، والمعينة على القيام به، وإعداد العدة وأخذ الأهبة التي يتحصل بها، فعندها يسلم المسلم من هذا الوعيد الغليظ وينجو من الالتصاق بشعبة من شعب النفاق ، قال الملا علي القاري -رحمه الله- : [والمعنى لم يعزم على الجهاد، ولم يقل: يا ليتني كنت مجاهداً، وقيل معناه: ولم يرد الخروج وعلامته في الظاهر إعداد آلته قال تعالى : (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) ويؤيده قوله : (مات على شعبة من نفاق)، أي: نوع من أنواع النفاق، أي: من مات على هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد ومن تشبه بقوم فهو منهم](مرقاة المفاتيح) " .

قال الشيخ أبو يحيى الليبي في التنديد : " إن سقوط الجهاد بسبب عدم القدرة وفقدان الاستطاعة، لا يعني سقوط وجوب التحريض عليه وحث الأمة على إحيائه، وتعريفها بحقيقة أعدائها، وشدة كيدهم وعظيم مكرهم بها، وأن مخرجها من عجزها وضعفها إنما يكون ببذل كل الوسع لإقامة علمه، وهو الاتجاه الصحيح الذي يجب على مجموع الأمة أن تسير إليه سيراً حثيثاً.

أما تعليم الأمة فقه الاستضعاف، ومفاهيم العجز، والخضوع للأمر الواقع، واستلال أي حرج يمكن أن يقع في نفوسها من جراء تقصيرها، فهذا مخالفٌ للأمر الشرعي الذي جاء في قول الله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} ، وقوله

عـز وجـل {فَقَاتِـلْ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّـفُ إِلَّا نَفْسَـكَ وَحَـرِّضِ الْمُـؤْمِنِينَ عَسَـى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا}

قـال الـرازي رحمـه الله : "(وَحَـرِّضِ المـؤمنين) والمعـنى أن الواجـب علـى الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام إنمـا هـو الجهـاد وتحـريض النـاس في الجهـاد، فـإن أتـى بهـذين الأمـرين فقد خرج عن عهدة التكليف وليس عليه من كون غيره تاركا للجهاد شيء " ا هـ

ويقـول الأسـتاذ مُحَّد قطـب رحمـه الله في كِتَابِـه «لا إِلَـهَ إِلاَّ الله عَقِيْـدَةً، وشَـرِيْعَةً» : «وقَـدْ أبَاحَ الله لِلْمُسْـلِمِيْنَ في حَالَـةِ الاسْتِضْـعَافِ ألاَّ يُظْهِـرُوا العَـدَاوَةَ لأعْـدَائِهم، ولَكِنَّـه لَمْ يُـبِحْ لَهُـم قَـطُّ أنْ يُوَالُـوْهُم، ... فَعَـدَمُ إظْهَـارِ العَـدَاوَةِ شَـيءٌ، والمـوَالاةُ شَـيءٌ آخَـرُ ... المـوَالاةُ الَّـتي تَشْـمَلُ مَـوَدَّةَ القَلْـبِ، والتَّنَاصُـرَ، والمحَبَّـةَ ... هَـذِه لا تَكُـوْنُ إلاَّ بَـيْنَ المؤْمِنِيْنَ بَعْضِـهِم لـبَعْضٍ . " لا يتخـذ المؤمنـون الكـافرين أوليـاء مـن دون المـؤمنين، ومـن يفعـل ذلـك فلـيس مـن الله في شـيء إلا أن تتقـوا مـنهم تقـاة، ويحـذركم الله نفسـه وإلى الله المصـير" ، نَعَـمْ، يُحَـذِّرُكم الله نَفْسَـه، وهُـوَ المطَّلِـعُ علـى دَخَائِـلِ نُفُوْسِـكم، وعلـى مَـدَاخِلِ الشَّـيْطَانِ إلَيْهـا، أنْ يَـدْخُلَ إلَـيْكم مِـنْ بَابِ الاسْتِضْـعَافِ، والخَـوْفِ فَيَقُـوْلَ لَكُـم : لا عَلَـيْكم أنْ تُوَالُـوا الكُفَّـارَ لِتَـأتَمِنُوهُم، وتَصْـرِفُوا شَـرَّهُم عَـنْكم! كَـلاَّ! لا وَلاءَ! حَـتَّى في الاسْتِضْـعَافِ لا وَلاءَ! إنَّمـا هُـوَ فَقَـطُ عَـدَمُ إظْهَـارِ العَـدَاوَةِ لَهُـم، وعَـدَمُ اسْتِفْزَازِهم للاعْتِدَاءِ عَلَيْكم، وأنْتُم لا تَسْتَطِيْعُونَ رَدَّ بَأسِهِم .

أمَّـا الـوَلاءُ القَلْـبِيُّ فَغَيْـرُ جَـائِزٍ؛ لأنَّـه يُـنْقِضُ «لا إِلَـهَ إلاَّ الله»، ولأنَّـه يُـذِيْبُ الحَـاجِزَ النَّفْسِـيَّ الَّـذِي يَفْصِـلُ المؤْمِنَ عَـنْ أعْـدَاءِ الله، فَيَمِيْـلَ إلَـيْهم، فَيَنْسَـى دِيْنَـه، ويُصْـبِحَ مِـثْلَهُم : الـذين يتخـذون الكـافرين أوليـاء مـن دون المـؤمنين أيبتغـون عنـدهم العـزة فـإن العـزة لله جميعـا * وقـد نـزل علـيكم في الكتـاب أن إذا سمعـتم آيات الله يكفـر بهـا

ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إنَّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا "[النساء139-140]، هَـذَا في وَلاءِ القَلْبِ ... فَكَيْفَ بالتَّعَاوُنِ مَعَهُم، لا على البِرِّ والتَّقْوَى! ولَكِنْ على حَرْبِ الإِسْلامِ، والمسْلِمِيْنَ؟! تِلْكَ كُلُّهَا نَوَاقِضُ لِـ«لا إلَـهَ إلاَّ الله«، يَقَعُ فيها كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ في وَقْتِنا الحَاضِرِ دُوْنَ أنْ يَدْرُوا» انْتَهَى

وقال الشيخ ناصر الفهد في التنكيل : " أن ترك الجهاد وقت الضعف إنما هو لعدم الاستطاعة ، كباقي الواجبات تماماً ، وذلك لأن الله تعالى يقول (فاتقوا الله ما استطعتم) ، وكما في المتفق عليه مرفوعا (إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم) ، فجاء سقوط الجهاد مع عدم القدرة على وفق قاعدة الشريعة (لا واجب مع العجز ولا محرم مع الضرورة ، وليس هذا لأننا في (فترة مكية) كما يزعم البعض ! ؛ فإن التشريع قد اكتمل والنعمة قد أتمها الله سبحانه ، ولم يمت النبي ﷺ إلا وقد بين كل شيء نحتاجه في أمور ديننا ، ويلزم من قولهم إننا في (الفترة المكية) لوازم منها :

أولاً : أن يزعم أننا أمرنا بكف الأيدي مطلقاً ، حتى عن جهاد الدفع ، ودفع الصائل ، لأن الصحابة في (الفترة المكية) أمروا بكف الأيدي ، وجهادهم في مكة – لو كان – إنما هو عن أنفسهم ، وهذا لم يقله أحد على حسب علمي ، ولا أظن أحداً ممن يقول إننا في فترة مكية يقول بهذا! .

ثانياً : أن يزعم أن جميع المسلمين في جميع البلدان مأمورون بكف الأيدي أيضاً ، بما فيهم من في (فلسطين) و (الشيشان) و (كشمير) وغيرها من بلاد الإسلام التي يجاهد فيها المسلمون المعتدين ؛ لأن الضعف عام في المسلمين ، ولا أظن أحداً يقول بهذا ! .

ثالثاً : أن يجوز لنا أن نلغي تشريع الجهاد وننكره !! لأنه لم يشرع في مكة ونحن في فترة مكية ، وهذا باطل .

رابعاً : أن تكون أحكامنا (مكية) فلا صلاة أو زكاة أو صوم أو حج ، ولا تحريم خمر ، ولا وجوب حجاب على النساء ، وغيرها من الأحكام التي فرضت في المدينة.

المسألة الثانية :

أن الذي يسقط لعدم القدرة عليه زمن الاستضعاف هو (جهاد اليد) ، أما (جهاد اللسان) فإنه باق لا يسقط ، وقد كان هو جهاد النبي ﷺ في مكة وغيرها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فكان النبي ﷺ في أول الأمر مأموراً أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده ؛ فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتي هي أحسن ويجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً ، قال تعالى في سورة الفرقان وهي مكية (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً) ، وكان مأموراً بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك ، ثم لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان أذن له في الجهاد ، ثم لما قووا كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم ؛ لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار ، فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ، ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره الله تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت وأمره بنبذ العهود المطلقة فكان الذي رفعه ونسخه ترك القتال ، وأما مجاهدة الكفار باللسان فما زال مشروعاً من أول الأمر إلى آخره". " ا هـ .

قال الشيخ رفاعي سرور في متابه أصحاب الأخدود : " ويجب ألا يمنع الاستضعاف ضرورة المواجهة بين الدعوة والحكم الظالم وليس في تلك المواجهة دون

اعتبار للإمكانيات المادية أي تهور، ولهذا بين الرسول ﷺ أن سيد الشهداء من يقوم إلى حاكم ظالم يأمره وينهاه، وهو يعلم أنه سيقتله فقال : (سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام ظالم فأمره ونهاه فقتله) لأنه أكد ما يؤكده الشهداء بقتالهم الكافرين أصحاب القوة والسلطان ويزيد عليهم أن الشهداء كانوا يقاتلون باحتمال النصر أو الشهادة وهو يواجه باحتمال واحد وهو الشهادة " ا هـ .

العائق التاسع/ البيوت

قال الله تعالى {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَإِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ، وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها، وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ} [التوبة: 23-24]

ينبغي أن تكون دار المسلم بسيطة، فلا يسرف في بنائها وتزيينها، فهذا بيت رسول الله ﷺ كان حُجَرًا من جريد مطلي بالطين، وبعضها مبني بالطوب اللبن، وكانت منازل المسلمين في عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين غاية في البساطة. فالهدف من بناء المسلم للبيوت هو أن يبني ما يستره من المطر والحر ويستر عورة أهله.

ومع هذا فالبساطة في البناء على سبيل الاستحباب وليس فرضًا، فالإسلام لم يحرم تحسين بناء البيوت وتزيينها، ولكن ذلك يكون بشرط ألا يبعد هذا البناء المسلم عن هدفه الحقيقي وهو إرضاء الله، والفوز في الآخرة، وإعلاء كلمة الله ، وهذا هو ما حذَّر منه النبي ﷺ (لا تتخذوا الضِّيَعَة، فترغبوا في الدنيا (والضيعة هي المنازل الفخمة)) [الترمذي].

نعم أحيانا يكون البيت جميلاً فيعز على صاحبه مفارقته فيثبطه هذا البيت الجميل عن النفير في سبيل الله .

قال ابن النحاس في مشارع الأشواق : "وإن قلت : يشق علي فراق قصري وظله، وبنائه المشيد وعلو محله، وحشمي فيه وخدمي، وسروري ونعمي، فليت شعري هل

هـو إلا بيـت مـن طـين وحجـر وتـراب، ومـدر وحديـد وخشـب، وجريـد وقصـب، إن لم يكـنس كثـرت فيـه القمامـة، وإن لم يسـرج فمـا أشـد ظلامـه، وإن لم يتعاهـد بالبنـاء فمـا أسـرع انهدامـه، وإن تعاهدتـه فمآلـه إلى الخـراب، وعـن قليـل يصـير كـالتراب، يتفـرق عنـه السكان، وتنتقل عنه القُطَّان، ويعفو أثره ويندرس خبره، ويمحى رسمه، ويُنسى اسمه.

وقـد روي : أن الله عـز وجـل لمـا أهـبط آدم عليـه السـلام إلى الأرض قـال : ابـن للخراب ولد للفناء .

وفي الخبر: إن لله ملكا ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب .

استبدل أيهـا المغـرور، قصـرك مـع سـرعة فنائـه، بـدار باقيـة قصـورها عاليـة . وأنوارهـا زاهية، وأنهارها جارية ، وقطوفها دانية ، وأفراحها متوالية .

إن سـألت عـن بنائهـا، فلبنـة فضـة، ولبنـة ذهـب، ولا تعـب فيهـا، كـلا ولا نصـب، وإن سألت عن ترابها، فالمسك الأذفر.

وإن سألت عن حصبائها، فاللؤلؤ والجوهر.

وإن سألت عن أنهارها، فأنهار من لبن، وأنهار من عسل، ونهر الكوثر .

وإن سـألت عـن قصـورها، فالقصـر مـن لؤلـؤة مجوفـة، طولهـا سـبعون مـيلا في الهـواء، أو مـن زمـردة خضـراء، باهـرة السـنا، أو ياقوتـة حمـراء، عاليـة البنـاء، وللمـؤمن في كـل زاويـة من زواياها أهل وخدم، لا يبصر بعضهم بعضا لسعة الفنا. . . .

وإن سألت عن فروشها فمن استبرق بطائنها ، فما ظنك بظهائرها.

وهـي مرفوعـة بـين الفراشـين أربعـين سـنة، ولـيس عليهـا نـوم ولا سـنة، بـل هـم عليهـا متكئون مقبل : { بعضهم على بعض يتساءلون } .

وإن سألت عن أكلها، فموائدها موضوعة، وأكلها على الدوام، وثمارها لا ممنوعة ولا مقطوعة لطول المقام، بل (فاكهة) نضيجة، {مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون } ويسقون فيها: { من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون } .

لا يتغوط أهلها، ولا يبلون، ولا يبصقون، ولا يمتخطون، أكلهم يرشح من جلودهم كالمسك ريحا، ولونا كالجمان، فإذا البطن قد ضمر، كما كان .

وإن سألت عن خدمها، فالولدان المخلدون : { إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا، وإذا رأيت ثَمَّ رأيت نعيما وملكا كبيرا عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا } .

وبالجملة فكل ما ذكرت لك، هو كما جاء في الخبر، وإلا ففي الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وإن سألت عن مدة بقائهم في هذا النعيم العظيم، والمقام الكريم الجسيم، فهم أبدا فيه خالدون، أحياء لا يموتون، شباب لا يهرمون، أصحاء لا يسقمون، فرحون لا يحزنون، راضون لا يسخطون، من خوف القطيعة والطرد أبداً آمنين .

في مقام أمين : { دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين } فقس بعقلك ما بين هذا الملك العظيم الخطير، وبين قصرك ذي العمر القصير، والقدر اليسير، وانظر إذا فارقته بالشهادة إلى ماذا تصير، إن المقام فيما أنت فيه لغرور، { ولا يُنَبِّئُكَ مثل خبير } " ا هـ .

العائق العاشر/ الدَين

قال الشيخ عبدالله عزام رحمه الله : " وهنا يرد سؤال : إذن أيهما أولى للمدين ، أينفر في سبيل الله أم يعمل حتى يسد الدين ثم ينفر؟ .

وهنا نقول وبالله التوفيق : إنه إذا وطيء شبر من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين ، وهنا يخرج المدين دون إذن دائنه والولد دون إذن والده« وهذا محل اتفاق بين سلف الأمة وخلفها .

وينظر المدين : فإن لم يكن معه سداد (قضاء) دينه فإنه ينفر ولا ينتظر قضاء الدين ، وإن كان مع المدين وفاء دينه فإنه ينظر فإن كان يظن أن الدائن لو استوفى دينه فإنه يستعمل المال في الجهاد فالواجب أداء الدين له – وفاؤه – لتحصيل المصلحتين : الوفاء والجهاد . هكذا أفتى ابن تيمية في الفتاوى الكبرى 183/4 .

وقال أيضاً :" يأتي ويقول لك: أنا علي دين، وهل الدين يمنع من الجهاد؟ يخرج المدين دون إذن دائنه، وما رأينا أحدا من الصحابة منعه الدين عن الجهاد أبدا ، وكل الصحابة معظمهم مدينون.

الرسول ﷺ لقي ربه ودرعه مرهونة عند يهودي على شعير، هل كان هذا يمنعه من الخروج لتبوك وللخندق ولخيبر ولغيرها؟ أي عذر هذا الذي يعتذرون به؟.

لقد سئل ابن تيمية، قالوا له: رجل استنفر للقتال وعليه دين ماذا يفعل؟ قال: إن كان عنده سداد; إن كان عنده وفاء للدين، فهذا أولا يجهز نفسه من الدين; لا يسد دينه، يجهز نفسه ويترك لأهله وأولاده نفقة، وبعد ذلك إذا بقي شيء لا يسده

للدائنين إلا إذا كان الدائنون الذين يقبضون هذا المال ينفقونه في الجهاد، فإذا كانوا لا ينفقونها في الجهاد لا يسدهم.. اسمعوا فتوى ابن تيمية.. هل سمعتم؟!.

أما الذي ليس عنده مال يسد فهذا- من باب الأولى- لا يستأذن دائنه .

قالوا لابن تيمية: رجل عنده مال يريد أن يتصدق به وأمامه الجهاد وأمامه الفقراء; إن أعطى المال للجهاد مات الفقراء من الجوع؟ قال: أعطوا الجهاد وليمت الجياع " ا هـ .

أحسن من فصل في هذه المسألة الشيخ عبد الله بن ناصر الرشيد حيث قال : أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي عبد الرحمن الحُبُلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "يُغفر للشهيد كل ذنبٍ إلا الدين" .

والحديث لم يتناول بمنطوقه حكم الخروج إلى الجهاد لمن عليه دين، ولهذا قال الشوكاني في نيل الأوطار: "وذلك لا يستلزم عدم جواز الخروج إلى الجهاد إلا بإذن من له الدين، بل إن أحب المجاهد أن يكون جهاده سببًا لمغفرة كل ذنب استأذن صاحب الدين في الخروج، وإن رضي بأن يبقى عليه ذنب واحد منها جاز له الخروج بدون استئذان".

وما ذهب إليه الشوكاني ضعيف، والصواب ما ذهب إليه جماهير الفقهاء استنباطًا من هذا الحديث، وبقاء ذنب الدَّين دون الذنوب العظيمة إنَّما كان لما فيه من حقّ الآدميّ، وحقُّ الآدميِّ الواجب لا يُقدَّم عليه ما ليس بفرضٍ من الجهاد ولا من غيره، وتقديم أثر الدينِ من الإثم الذي لا يُغفر بالشهادة على أثر الجهاد من مغفرة سائر الذنوب دليلٌ على تقديم هذا الواجب على هذا الواجب، وإذا حُمل الحديث

على الجهاد الذي لم يتعيَّن كما يأتي ازداد الحكم ظهورًا إذ لا يُمكن تقديم ما ليس بواجب على الواجب القطعيِّ.

وليس في الشريعة أن يحبَّ الرجل أن يبقى عليه ذنبٌ واحدٌ يقدم على الله به، بل إنَّما يُتجاوز عن الذنوب الماضية بالتوبة والاستغفار أمَّا الإصرار على الذنب وتفويتُ حق المسلم وكون ذلك في سبيل قربةٍ إلى الله، فهذا لا يكون في دين الله.

ووجه قول الجماهير بوجوب استئذان صاحب الدين القاعدة المتفق عليها: ما تولَّد عن المأذون غير مضمونٍ، فالأصل ما في الحديث من بقاء الإثم على المدين، ويُستثنى منه ما إذا أذن الغريم لأنَّ الحقَّ له، فإذا نتج عن جهاده استشهاده بعد الإذن لم يكن عليه شيءٌ من جهة خروجه للجهاد مع وجود الدين، وإن كانت المطالبة بالدين باقيةً دون الإثم لترتّب الإثم على التفريط، والتفريط منتفٍ بإذن الغريم.

والدَّينُ الذي يجبُ فيه الاستئذان إنَّما هو الدين الحالُّ على الغنيّ القادر على الأداء: أمَّا الدين المؤجَّل الذي لم يحلَّ أجله فلا تتوجَّه المطالبةُ به قبل الأجل، والإذن إنَّما هو فرعٌ على المطالبة، وهذا هو الصحيح من قولي أهل العلم، وأمَّا المعسر فإنَّما حقُّه الإنظار كما قال تعالى: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ) فهو كالدين المؤجَّل الذي لم يحلَّ أجله، وبهذا أفتى النووي وابن تيمية.

وكذلك من ترك وفاءً لدينه وأقام به كفيلاً أو علم وجود من يقوم به من بعده، فإنَّه لا يدخل في المسألة بالاتفاق لقصة عبد الله بن عمرو بن حرامٍ والد جابر بن عبد الله ﷺ، فقد استشهد في أحد وعليه دينٌ كثيرٌ، ولم يُذكر فيه ما يمنع مغفرة ذنب

الدين، بل ذكر النبي ﷺ أن الله كلمه كفاحًا وقال له تمنَّ يا عبدي، فتمنَّى أن يعود إلى الدنيا فيُقتل في الله ثانيةً، ولم يذكر الدينَ ولا أثره من الذنب.

وإذا كان الجهاد فرض عينٍ سقط إذن الغريم، فإنَّ من الحقوق ما يُقدَّم على الدَّين كالنفقات سواء منها الضروري وما زاد عن حد الضرورة من المعتاد في نفقة مثله، والجهاد مقدَّم على النفقة الزائدة عن الضرورة بلا ريب فثبتَ تقديمه على الدين بثبوت تقديمه على ما هو أولى من الدين، وهذا مأخوذ من فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله: "سُئلتُ عمن عليه دين وله ما يوفيه وقد تعين الجهاد ؟ فقلت: من الواجبات ما يقدم على وفاء الدين: كنفقة النفس والزوجة والولد، ومنها ما يقدم وفاء الدين عليه: كالعبادات من الحج والكفارات، ومنها ما لا يُقدَّم عليه إذا خوطب به كصدقة الفطر؛ فإن كان الجهاد المتعين لدفع الضرر كما إذا حضره العدو أو حضر هو الصف قدم على وفاء الدين كالنفقة وأولى".

وقد اعتذر المنافقون وغير المنافقين من النبي ﷺ في غزواته ولم يُنقل عن أحد منهم بإسنادٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ أنَّه اعتذر بالدَّينِ، ولولا صراحةُ حديث عبد الله بن عمرو لقيل بسقوط الاستئذان في الجهاد المتعيّن وغير المتعيّن.

ويمكن أن يُخرَّج سقوط إذن صاحب الدين في الجهاد المتعيّن على أحد قولَي أهل العلم في تزاحم الحقوق في التركة استدلالاً بقول النبي ﷺ: "اقضوا الله فالله أحقُّ بالوفاء".

إذا عُلم هذا فإنَّ الأصل سقوط الاستئذان في الجهاد المتعيّن، وقد استثنى شيخ الإسلام ابن تيمية صورتين من ذلك:

الصورة الأولى: أن يكون الغريمُ يريد الجهاد بالمال الذي يطلبه من المدين، فيجب الأداء ولو كان الجهاد فرض عينٍ لتحصيل مصلحتين: مصلحة أداء الدين، ومصلحة الجهاد، قلتُ: ينبغي تقييد ذلك بما إذا كان الغريم لا يستطيع الجهاد إلاَّ بالمال الذي يطالب به، ويدلُّ على ما ذهب إليه شيخ الإسلام أنَّه مالٌ استويا في الحاجة إليه لأجل الجهاد، والغريم أحقُّ به، ولا يصحُّ أن يُقدَّم المدين لمصلحة الجهاد مع اشتراكهما فيه، إلاَّ إن كان بالمسلمين حاجةٌ إلى المدين بخصوصه فهو مقدَّم لحاجة المسلمين ومصلحة الإسلام.

والصورة الثانية: أن يكون الجهاد باستنفار الإمام، فذهب شيخ الإسلام إلى تقديم حقِّ الغريم، لأنَّ الأصل بقاء الدين ووجوب الأداء، وحقُّ الغريم مقدَّم على حقِّ الإمام في الاستنفار، قلت: حقُّ الغريم حق مالك، وحق ولي الأمر حق مَلِك، ولا شكَّ أنَّ الأوَّل مقدَّم ولكنَّ هذا على التسليم بأنَّ الأمر في النفير حقٌّ للإمام، وإنَّما هو حقٌّ لله عز وجلَّ كما في دفع الصائل، وليس للإمام إلا النظر في المصلحة وتقدير الحاجة، والشارع علَّق تعيُّن الجهاد بأمره حين يرى حاجة المسلمين إلى ذلك، فمن هنا كان الاستنفار كدفع الصائل في التقديم على الدين من جهة أنَّه تقديم لحق الله الواجب في حقِّ المعين على حق الغريم، والإمام أعلم بالعدوِّ وحاجة المسلمين وما قد يفجؤهم أو يقطع طريقهم دون العدو الذي يقصدون إليه، فوجب تسليم النظر في ذلك إليه، وأيضًا فقد خرج المسلمون مع النبي ﷺ في غزوة العسرة وقد تعيَّنت باستنفاره ﷺ ولم يُعذر أحد ولم يعتذر أحد بالدين.

والصُّور المستثناة من فرض العين ليست مستثناة بإطلاقٍ، بل هي ملحقة بفرض الكفاية في أحكامه، فما سقط فيه الاستثناء في فرض الكفاية، لحقت به هذه الصور في ذلك.

وإذا كان الجهاد فرض كفاية؛ فالأصل وجوب استئذان الغريم على ما قدَّمنا إلاَّ في صور:

الصورة الأولى: أن يكون العدو قريبًا بحيث لا يحتاج إلى نفقةٍ في الوصول إليه وقتالِه، كحال أهل الثغور المقيمين بها، لأنَّ الغريم إنَّما وجب استئذانه في الجهاد لتقديم حقه في المال على نفقة الجهاد، فحيث لم تكُن نفقة فلا استئذان.

الصورة الثانية: أن يحتاج المسلمون إلى أحدٍ بعينه، فهذا يكون الجهاد في حقه فرض عينٍ وإن كان الجهاد لعموم الناس فرض كفايةٍ، فهو ملحقٌ بفرض الكفاية، فهذه الصورة ليست مستثناة من استئذان الغريم، وإنما هي مستثناة من أحكام فرض الكفاية عمومًا للحوقها بفرض العين.

الصورة الثالثة: استثناها بعض أهل العلم، وهي ما إذا كان الغريم كافرًا، لقول الله تعالى: (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً)، وكأنهم ألحقوها باستئذان الوالدين الكافِرَينِ، ولا يصح هذا والله أعلم، واستئذان الغريم ليس من بابة استئذان الوالدين والزوج والأمير ونحوهم، إذ استئذان هؤلاء متفرع على ولايتهم أو وجوب طاعتهم، أما الغريم فاستئذانه لأجل حقه الواجب تقديمه، فهو استئذان لإسقاط حقِّه، وثبوت هذا الاستئذان فرعٌ على ثبوت الحق المالي، وحيثُ قلنا بحفظ حق الغريم الكافر، فالاستئذان بعض الحقِّ الذي حُكم بحفظه، وليس في هذا ولاية ولا تحكُّمٌ منه في مسلم، بل هو احتياط مشروع له في حفظ حقه والمطالبة به، وإنما يكون هذا في الكافر الذمي أو المعاهد أو المستأمن ممن يُحكم بحفظ ماله.

فتلخَّص مما سبق في حكم استئذان الغريم:

1- أن استئذان الغريم يسقط ولا يجب أن يُستأذَن في هذه الصور:

- إذا كان الدين مؤجلاً لم يحلَّ أجله، سواء كان الجهاد فرض كفاية أو فرض عين.

- إذا كان المدين معسرًا، لأنَّ دينه يتأجل إلى ميسرةٍ، فيُلحق بالدين الذي لم يحلّ.

- إذا كان الجهاد فرض عينٍ، فيما عدا الصور المستثناة.

- إذا تعيَّن الجهاد باستنفار الإمام على الأصح في المسألة، فيكون حكمه حكم سائر صور تعيُّن الجهاد.

- إذا لم يحتج الجهاد إلى نفقةٍ، وذلك في فرض العين وفرض الكفاية.

- إذا احتاج إليه المسلمون بعينه، لتعيُّنه في حقِّه وإن كان فرض كفايةٍ في حقِّ العُموم.

2- أن استئذان الغريم واجبٌ لا يجوز الخروج إلا بعد إذنه في هذه الصور:

- إذا لم يتعيّن الجهاد، فيما عدا الصور المستثناة.

- إذا أراد صاحب الدين أن يجاهد بعين المال الذي يطلبه من المدين، ولم يكن الدائن يستطيع الجهاد بدون هذا المال، إلا إن احتاج المسلمون إلى المدين بخصوصه فيقدَّم" أ هـ.

العائق الحادي عشر / باب المصلحة

قال الوزير ابن هبيرة رحمه الله: (إن من مكائد الشيطان أن يقيم أوثانا في المعنى تعبد من دون الله،، مثل أن يتبين له الحق فيقول: ليس هذا مذهبنا، تقليدا لمعظم عنده قد قدمه على الحق).

نعم المصلحة اليوم أصبحت صنما تعبد من دون الله كثيرا ما جلست مع بعض الذين يقولون المصلحة تقتضي كذا سواء عدم النفير أو عدم مواجهة الطواغيت أو غيرها من أعمال الجهاد ، لما دققت فيما يقولون وجدت أن المصلحة التي يتحدثون عنها هي مصلحة أنفسهم مراكزهم ' أموالهم ، كروشهم ، عروشهم .

المصلحة لا يعمل بها إلا إذا لم تعارض نصا شرعياً قال الشاطبي رحمه الله : " إن كل أصل شرعي لم يشهد له نص معين ، وكان ملائماً لتصرفات الشرع ، ومأخوذاً معناه من أدلته ؛ فهو صحيح يبنى عليه ...ويدخل تحت هذا ضرب الاستدلال المرسل [يعني المصالح المرسلة] الذي اعتمده مالك والشافعي ؛ فإنه وإن لم يشهد للفرع أصل معين ، فقد شهد له أصل كلي " ا هـ .

وقد قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً} [الأحزاب:36].

قال ابن كثير رحمه الله: (فهذهِ الآية عامّةٌ في جميعِ الأمور، وذلكَ أنه إذا حكمَ اللهُ ورسولُه بشيءٍ فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد ههنا، ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} ، ولهذا شدَّدَ في خلافِ ذلك فقال

{وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً} [الأحزاب:36]، وقوله تعالى {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} اهـ.

إن أعظم مصلحة ينظر إليها ، مصلحة الحفاظ على الدين .

قال الشاطبي رحمه الله : " إن المنافع الحاصلة للمكلف مشوبة بالمضار عادة ، كما أن المضار محفوفة ببعض المنافع ، كما نقول : إن النفوس محترمة محفوظة ومطلوبة الإحياء ، بحيث إذا دار الأمر بين إحيائها وإتلاف المال عليها ، أو إتلافها وإحياء المال ؛ كان إحياؤها أولى ، فإن عارض إحياؤها إماتة الدين ؛ كان إحياء الدين أولى وإن أدى إلى إماتتها ، كما جاء في جهاد الكفار ، وقتل المرتد ، وغير ذلك " ا هـ .

قال الشيخ أبو مُحَمَّد المقدسي :" ورحم الله سفيان الثوري يوم قال وهو يوصي بعض أصحابه ويحذرهم من مداهنة السلاطين والدخول عليهم ـ مع أنّ سلاطينهم كانوا يحكّمون شرع الله إلاّ أنّهم أظهروا بعض المعاصي فكيف بسلاطين الكفر والشرك اليوم ؟ قال رحمه الله: "إياك والأمراء أن تدنوا منهم أوتخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تخدع ويقال لك لتشفع أو تدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة فإنّ ذلك خديعة إبليس اتّخذها فجّار القرّاء سلّماً..." .

أجل إنّها خديعة إبليس التي يسمّونها اليوم بمصلحة الدعوة يهدمون بها التوحيد أعظم مصلحة في الوجود ويلبسون الحق بالباطل .

وقد صدق سيد قطب يوم وصفها بأنها أمست عند كثير من الدعاة مزلّة وصارت صنماً يعبدونه من دون الله.

ولشيخ الإسلام رحمه الله تعالى في ذلك فتوى سُئل فيها عن رجل من أهل السنّة سمع بمجموعة من قطّاع الطرق الذين يجتمعون على قصد الكبائر وقطع الطريق والقتل وفعل الفواحش والمنكرات، وأنّه قصد إلى هدايتهم فلم يتمكّن من ذلك بزعمه ، إلا بأن عمل لهم سماعاً بدف بغناء مغني غير فاحش حتى اهتدى منهم خلق ، وصار الذين كانوا لا يتورّعون عن الكبائر يتورّعون عن الصغائر والشبهات فهل طريقة هذا الشيخ جائزة ومشروعة؟!

فبيّن رحمه الله تعالى ما ملخصه، " أنّ هذه الطريقة مبتدعة وأنّ في طريقة الرسول الرحمانية غنىً عن الطرق الشيطانية"

فإنّه حتى وإن كانت النتيجة ظاهرها حسن فإنّ الغاية عند أهل الإسلام لا تبرر الوسيلة، فالنجاسة لا تزال بالنجاسة ولا يتطهّر من البول بالبول.

وكما أنّ غاية الداعية عظيمة ومطهّرة فيجب أن تكون وسائله للبلوغ إلى هذه الغاية كذلك.

ومعلوم أن أعظم مصلحة في الوجود هي التوحيد وأن أعظم مفسدة في الوجود هي الشرك فكل مصلحة تعارض تلك المصلحة فإنها مردودة وأي مفسدة أمام مفسدة الشرك فمغمورة .

فلا يحل لأحد يفهم عِظم التوحيد وخطر الشرك أن يصير مِعولاً من معاول هدم التوحيد وحارساً من حراس الشرك والتنديد، بحجة جلب مصلحة أخرى مزعومة أو درأ مفاسد أخرى مرجوحة أياًّ كانت ، ولا أن يجعل دينه كبش فداء ينحره على عتبات مصالح ودنيا الآخرين " ا هـ .

وأختم بكلام بديع لشيخ الإسلام في هذا الباب قال رحمه الله : "والقول الجامع : إن الشريعة لا تهمل مصلحة قط ، بل الله تعالى قد أكمل لنا الدين ، وأتم النعمة ، فما من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثنا به النبي ﷺ ، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك ، لكن ما اعتقده العقل مصلحة وإن كان الشرع لم يرد به فأحد الأمرين لازم له :

إما أن الشرع دل عليه من حيث لم يعلم هذا الناظر .

أو أنه ليس بمصلحة وإن اعتقده مصلحة .

لأن المصلحة : هي المنفعة الحاصلة أو الغالبة ، وكثير ما يتوهم الناس أن الشيء ينفع في الدين والدنيا ويكون فيه منفعة مرجوحة بالمضرة ؛ كما قال تعالى في الخمر والميسر (قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) .

وكثير مما ابتدعه الناس من العقائد والأعمال من بدع أهل الكلام ، وأهل التصوف، وأهل الرأي، وأهل الملك، حسبوه منفعة أو مصلحة نافعاً وحقاً وصواباً ، ولم يكن كلك، بل كثير من الخارجين عن الإسلام من اليهود والنصارى والمشركين والصابئين والمجوس يحسب كثير منهم أن ما هم عليه من الاعتقادات والمعاملات والعبادات مصلحة لهم في الدين والدنيا ومنفعة لهم ، فقد ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وقد زين لهم سوء عملهم فرأوه حسناً ، فإذا كان الإنسان يرى حسناً ما هو سيء كان استحسانه أو استصلاحه قد يكون من هذا الباب " ا هـ .

العائق الثاني عشر/ الحزبية

الجماعة تعتبر الوعاء الذي يجمع طاقات الأفراد وينظمها من أجل القيام بواجبهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، إذ أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ومن نافلة القول الاتفاق على أن الجماعة لابد لها من أمير أو قيادة، ولابد من توفر عنصر الطاعة، وهي الرابط المتين بين القيادة والقاعدة، وبها يتم العمل الجماعي ويؤتي ثماره.

فالجماعة وسيلة لتحقيق الغاية، وهو التمكين لدين الله بالدعوة والحسبة والجهاد، وإذا ما تحولت الجماعة إلى هدف وغاية في حد ذاتها، فينبغي الخروج منها ونصحها من أجل تصحيح مسارها.

اليوم أصبح القرار هو للحزب هو من يعلن الحرب وهو من يوقف الحرب والأفراد لا حول لهم ولا قوة ، وعلى القاعدة المشهورة لا تعترض فتنطرد .

" عندما تطاع الأحزاب لذاتها، بمعنى كل ما يصدر عن الحزب من قرارات وأفكار فهي تنال القبول والطاعة عند أفراده لكونها صادرة عن الحزب وقادة الحزب، ولو كانت متخالفة للحق..!!

عندما يُعقد الولاء والبراء في الحزب، بحيث من ينتمي إلى الحزب – وإن كان فاسقا ظالما – يُعطى من الولاء والود والنصرة ما لا يعطاه من هو خارج الحزب أو ينتمي إلى حزب آخر، ولو كان مسلما تقيا عدلا، وهو أصلح من الأول..!!

عندما يُنصر الحزب في الباطل كما يُنصر في الحق، تعصبا للحزب ولقادة الحزب ..!

عندما تكون الأحزاب في هذه الصورة، فهي طاغوت يعبد من دون الله، والدخول في أحزاب هذه صفاتها هو دخول في أحزاب طاغوتية وإن تسمت بأسماء إسلامية وزعمت أنها تعمل للإسلام ...

قال ابن تيمية رحمه الله : "كون الأستاذ يريد أن يوافقه تلميذه على ما يريد، فيوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه مطلقا. وهذا حرام ليس لأحد أن يأمر به أحد، ولا يجيب عليه أحد بل تجمعهم السنة وتفرقهم البدعة يجمعهم فعل ما أمر الله به ورسوله، وتفرق بينهم معصية الله ورسوله.

ومن حالف شخصا على أن يوالي من والاه ويعادي من عاداه كان من جنس التتر المجاهدين في سبيل الشيطان، ومثل هذا ليس من المجاهدين في سبيل الله تعالى، ولا من جند المسلمين، ولا يجوز أن يكون مثل هؤلاء من عسكر المسلمين، بل هؤلاء من عسكر الشيطان. ولكن يحسن أن يقول لتلميذه : عليك عهد الله وميثاقه أن توالي من والى الله ورسوله ، وتعادي من عادى الله ورسوله، وتعاون على البر والتقوى ولا تعاون على الإثم والعدوان" ا هـ (أبو بصير).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله : " وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصا يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها غير النبي ، ولا ينصب لهم كلاما يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة، يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون " ا هـ .

وقال أيضاً : " فإذا كان المعلم أو الأستاذ قد أمر بهجر شخص أو بإهداره وإسقاطه وإبعاده ونحو ذلك نظر فيه: فإن كان قد فعل ذنبا شرعيا عوقب بقدر

ذنبه بلا زيادة، وإن لم يكن أذنب ذنبا شرعيا لم يجز أن يعاقب بشيء لأجل غرض المعلم أو غيره.

وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا ما يلقي بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى، كما قال الله تعالى: { وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ... }" ا هـ .

العائق الثالث عشر : علماء السلطان

في كتاب الله ذكر الله بلعام بن باعوراء الذي لم يحفظ العهد ولا الأمانة الملقاة على عاتقه ذكره الله مثلاً للدعاة والعلماء الذين يسيرون على طريقته، الذي انسلخ من آيات الله بعد أن آتاه إياها، والذي قال تعالى فيه {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: 176-177].

قال ابن القيم رحمه الله في الفوائد: "علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون الناس إليها بأقوالهم ويدعون إلى النار بأفعالهم ، فكلما قالت أفواههم للناس هلموا ، قالت أفعالهم : لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له ، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق " ا هـ .

وقال سيد قطب رحمة الله عليه :" إن منهج الله ثابت وقيمه وموازينه ثابتة والبشر يبعدون أو يقربون من هذا المنهج ويخطئون ويصيبون في قواعد التصور وقواعد السلوك. ولكن ليس شيء من أخطائهم محسوباً على المنهج ولا مغيراً لقيمه وموازينه الثابتة، وحين يخطئ البشر في التصور أو السلوك فإنه يصفهم بالخطأ. وحين ينحرفون عنه فإنه يصفهم بالانحراف. ولا يتغاضى عن خطئهم وانحرافهم مهما تكن منازلهم وأقدارهم ولا ينحرف هو ليجاري انحرافهم!

ونتعلم نحن من هذا أن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج! وأنه من الخير للأمة المسلمة أن تبقى مبادئ منهجها سليمة ناصعة قاطعة وأن يوصف المخطئون والمنحرفون عنها بالوصف الذي يستحقونه أياً كانوا وألا تبرر أخطاؤهم وانحرافاتهم أبداً بتحريف المنهج وتبديل قيمه وموازينه، فهذا التحريف والتبديل أخطر على الإسلام من وصف كبار الشخصيات المسلمة بالخطأ أو الانحراف. . فالمنهج أكبر وأبقى من الأشخاص " ا هـ .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها؛ فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه في خبره وإلزامه، لأن أحكام الرب سبحانه كثيرا ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولا سيما أهل الرياسة والذي يتبعون الشهوات؛ فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرا، فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات؛ لم يكن لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق، ولا سيما إذا قامت له شبهه، فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى، فيخفى الصواب وينطمس وجه الحق، وإن كان وجه ظاهرا لا خفاء به ولا شبهة فيه؛ أقدم على مخالفته وقال؛ لي مخرج بالتوبة، وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى: {فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا}، وقال تعالى فيهم أيضا: {فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون}، فأخبر سبحانه؛ أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم وقالوا سيغفر لنا، وإن عرض لهم عرض آخر أخذوه، فهم مصرون على ذلك" ا هـ .

و لما ترجم الإمام الذهبي الإمام الأوزاعي وذكر قصّته مع الأمير عبد الله بن علي، قال الإمام الذهبي معقّبا : كان عبد الله بن علي ملكا جبّارا سفاكّا للدماء، صعب المراس، و مع هذا فالإمام الأوزاعي يصدعه بمرّ الحقّ، لا كخلق من علماء السّوء الّذين يحسّنون للأمراء ما يقتحمون به من الظلم و العسف، و يقلّبون لهم الباطل حقّا قاتهلم الله، أو يسكتون مع القدرة على بيان الحقّ . انتهى

وتأمل إلى ما قاله العلاّمة عبد الرحمن المعلّمي في رسالة في تحقيق البدعة و هو يتحدّث عن عمل أهل المدينة ، وما أدراك ما عمل أهل المدينة: و أمّا عمل أهل جهة من الجهات فلم يسلّم الأئمّة لمالك إحتجاجه بعمل أهل المدينة، مع أنّها معدن الإسلام، وأهلها حينئذ الصّحابة و التابعون وكثير منهم أئمّة مجتهدون، وكانوا من العلم و المعرفة والحرص على إتّباع السنّة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أعلى الطبقات، فما بالك بعمل أهل جهة أخرى بعد أن عزّ العلم الصحيح وكثر علماء السوء وانتشر دعاة البدع، و فُقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصار من بقي من العلماء شعارهم : عليك بخويصة نفسك، و دع عنك أمر العامّة . انتهى.

قال سيد قطب رحمه الله :" هذا الدين منهج حركي ، لا يفقهه إلا من يتحرك به؛ فالذين يخرجون للجهاد به هم أولى الناس بفقهه؛ بما يتكشف لهم من أسراره ومعانيه؛ وبما يتجلى لهم من آياته وتطبيقاته العملية في أثناء الحركة به . أما الذين يقعدون فهم الذين يحتاجون أن يتلقوا ممن تحركوا ، لأنهم لم يشاهدوا ما شاهد الذين خرجوا؛ ولا فقهوا فقههم؛ ولا وصلوا من أسرار هذا الدين إلى ما وصل إليه المتحركون وبخاصة إذا كان الخروج مع رسول الله – ﷺ – والخروج بصفة عامة أدنى إلى الفهم والتفقه .

ولعل هذا عكس ما يتبادر إلى الذهن ، من أن المتخلفين عن الغزو والجهاد والحركة، هم الذين يتفرغون للتفقه في الدين! ولكن هذا وهم ، لا يتفق مع طبيعة هذا الدين . . إن الحركة هي قوام هذا الدين؛ ومن ثم لا يفقهه إلا الذين يتحركون به ، ويجاهدون لتقريره في واقع الناس ، وتغليبه على الجاهلية ، بالحركة العملية .

والتجارب تجزم بأن الذين لا يندمجون في الحركة بهذا الدين لا يفقهونه؛ مهما تفرغوا لدراسته في الكتب – دراسة باردة! – وأن اللمحات الكاشفة في هذا الدين إنما تتجلى للمتحركين به حركة جهادية لتقريره في حياة الناس؛ ولا تتجلى للمستغرقين في الكتب العاكفين على الأوراق!

إن فقه هذا الدين لا ينبثق إلا في أرض الحركة . ولا يؤخذ عن فقيه قاعد حيث تجب الحركة . والذين يعكفون على الكتب والأوراق في هذا الزمان لكي يستنبطوا منها أحكاماً فقهية « يجددون » بها الفقه الإسلامي أو « يطورونه » –كما يقول المستشرقون من الصليبيين! – وهم بعيدون عن الحركة التي تستهدف تحرير الناس من العبودية للعباد ، وردهم إلى العبودية لله وحده ، بتحكيم شريعة الله وحدها وطرد شرائع الطواغيت .

هؤلاء لا يفقهون طبيعة هذا الدين؛ ومن ثم لا يحسنون صياغة فقه هذا الدين!" أه .

والذي يفتي بالجهاد من عدمه هم علماء الجهاد الربانيون ، لأن لها علاقة بمصير أمة ما، ينبغي ألا ينبري لها آحاد العلماء وأفرادهم، فلا أحد يؤمَن عليه النقص أو الزلل، وإنما الذي يُقدّر الجهاد من عدمه، علماءُ أهل بلد النازلة الراسخون في العلم، أهل الدين الصحيح، ولا يكفي هذا، بل لا بد أن يكونوا من الذين لهم خبرة

بما عليه أهل الدنيا. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ: «الواجب أن يُعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، دون أهل الدنيا الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين؛ فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا " ا هـ .

العائق الرابع عشر/ المخذلون

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " قال تعالى {قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا}. قال العلماء: كان من المنافقين من يرجع من الخندق فيدخل المدينة، فإذا جاءهم أحد قالوا له: ويحك ! اجلس، فلا تخرج. ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين بالعسكر: أن ائتونا بالمدينة، فإنا ننتظركم. يثبطونهم عن القتال. وكانوا لا يأتون العسكر إلاّ أن لا يجدوا بدّاً. فيأتون العسكر ليرى الناس وجوههم. فإذا غفل عنهم عادوا إلى المدينة. فانصرف بعضهم من عند النبي ﷺ، فوجد أخاه لأبيه وأمّه وعنده شواء ونبيذ. فقال: أنت ههنا، ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف؟ فقال: هلمّ إلي، فقد أحيط بك وبصاحبك.

فوصف المثبطين عن الجهاد وهم صنفان بأنهم إمّا أن يكونوا في بلد الغزاة، أو في غيره، فإن كانوا فيه عوّقوهم عن الجهاد بالقول أو بالعمل، أو بهما. وإن كانوا في غيره راسلوهم أو كاتبوهم: بأن يخرجوا إليهم من بلد الغزاة، ليكونوا معهم بالحصون، أو بالبعد، كما جرى في هذه الغزاة. فإن أقواماً في العسكر والمدينة وغيرهما صاروا يعوقون من أراد الغزو، وأقواماً بعثوا من المعاقل والحصون وغيرها إلى إخوانهم: هلمّ إلينا " ا هـ .

وقال أيضاً : " معلقاً على قوله تعالى : {فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد} فكيف ذلك؟

السلق بالألسنة الحادّة يكون بوجوه:

تارة يقول المنافقون للمؤمنين: هذا الذي جرى علينا بشؤمكم، فإنكم أنتم الذين دعوتم الناس إلى هذا الدين، وقاتلتم عليه، وخالفتموهم. فإن هذه مقالة المنافقين للمؤمنين من الصحابة.

وتارة يقولون: أنتم الذين أشرتم علينا بالمقام هنا، والثبات بهذا الثغر إلى هذا الوقت، وإلاّ فلو كنا سافرنا قبل هذا لما أصابنا هذا.

وتارة يقولون: أنتم – مع قلّتكم وضعفكم – تريدون أن تكسروا، وقد غركم دينكم، كما قال تعالى: {إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم، ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم}.

وتارة يقولون: أنتم مجانين، لا عقل لكم، تريدون أن تهلكوا أنفسكم والناس معكم.

وتارة يقولون: أنواعاً من الكلام المؤذي الشديد. وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي حراص على الغنيمة والمال الذي قد حصل لكم " ا هـ .

وقال أيضا كما في مجموع الفتاوى : حيث تحزبت الناس ثلاثة أحزاب : حزب مجتهد في نصر الدين . وآخر خاذل له . وآخر خارج عن شريعة الإسلام . ا هـ

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الأم : فَأَظْهَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ،صلى الله عليه وسلمأَسْرَارَهُمْ وَخَبَّرَ السَّمَّاعِينَ لَهُمْ وَابْتِغَاءَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوا مَنْ مَعَهُ بِالْكَذِبِ وَالْإِرْجَافِ وَالتَّخْذِيلِ لَهُمْ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَرِهَ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ إذْ كَانُوا عَلَى هَذِهِ النِّيَّةِ كَانَ فِيهَا مَا دَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ أَنْ يَمْنَعَ مَنْ عَرَفَ بِمَا عُرِفُوا بِهِ مِنْ أَنْ يَغْزُوَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُ ضَرَرٌ عَلَيْهِمْ ثُمَّ زَادَ فِي تَأْكِيدِ بَيَانِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ} قَرَأَ الرَّبِيعُ إلَى الْخَالِفِينَ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : فَمَنْ شُهِرَ بِمِثْلِ مَا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُنَافِقِينَ لَمْ يَحِلَّ لِلْإِمَامِ أَنْ يَدَعَهُ يَغْزُو مَعَهُ، وَلَمْ يَكُنْ لَوْ غَزَا مَعَهُ أَنْ يُسْهِمَ لَهُ، وَلَا يَرْضَخَ؛ لِأَنَّهُ مِمَّنْ مَنَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَغْزُوَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ لِطَلَبَتِهِ فِتْنَتَهُمْ وَتَخْذِيلِهِ إيَّاهُمْ وَأَنَّ فِيهِمْ مَنْ يَسْتَمِعُ لَهُ بِالْغَفْلَةِ وَالْقَرَابَةِ وَالصَّدَاقَةِ وَأَنَّ هَذَا قَدْ يَكُونُ أَضَرَّ عَلَيْهِمْ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ عَدُوِّهِمْ. اه .

وقال ابن قدامة في المغني: "ولا يستصحب الأمير معه مخذلاً وهو الذي يثبط الناس عن الغزو ويُزَهِّدَهم في الخروج إليه والقتال والجهاد، مثل أن يقول الحر أو البرد الشديد والمشقة شديدة، ولا تؤمن هزيمة هذا الجيش وأشباه هذا، ولا مرجفاً وهو الذي يقول: قد هلكت سرية المسلمين وما لهم مدد ولا طاقة لهم بالكفار والكفار لهم قوة ومدد وصبر ولا يثبت لهم أحد ونحو هذا ولا من يعين على المسلمين بالتجسس للكفار وإطلاعهم على عورات المسلمين ومكاتبتهم بأخبارهم ودلالتهم على عوراتهم أو إيواء جواسيسهم ولا من يوقع العداوة بين المسلمين ويسعى بالفساد لقول الله تعالى: {وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} ولأن هؤلاء مضرة على المسلمين فيلزمه منعهم" اه.

قال الشيخ عبدالله عزام في ظلال سورة التوبة :" والله عز وجل قال: (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم)

قرن الصد عن سبيل الله بالكفر، والصد عن سبيل الله هو التثبيط عن الجهاد، سبيل الله إذا أطلقت فهي الجهاد والقتال ، فهنالك أناس لا يعلمون أنهم يصدون عن سبيل الله من قبيل الصدع بالحق، وبيان الحقيقة، لا بد أن يبين الحقائق! وظيفته

التثبيط عن الجهاد والتخذيل عنه والصد عن سبيل الله، وكم من الناس صدوا عن سبيل الله كلمة أو كلمات!! وكم من أناس أحيتهم كلمات وحركتهم!! هو لا يعلم هذا الأخ الكريم المحترم الذي يبين عيوب الجهاد الأفغاني أنه يقول للناس: أفطروا في رمضان، ما الفرق بين الجهاد وصوم رمضان، لا فرق أبدا، الجهاد فرض عين والصيام فرض عين، والذي يفطر في رمضان الآن إثمه أقل من الذي لا يجاهد، لأن نفع الجهاد للأمة ونفع الصيام له، يقول ابن تيمية: والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه " اه .

العائق الخامس عشر / الحكام الطواغيت

الطاغوت هو الذي يحمي اليهود والنصارى من هجمات المجاهدين ، وهو الذي يزج بعساكره في مقدمة الصفوف لكي يكونوا دروعاً واقية لليهود والنصارى وأذنابهم، الطاغوت هو الذي يُطاردون المسلمين ويأسروهم ويُعذبهم بجلاده وزبانيته ، وهو الذي يمنع من أرد النفير إلى أرض الجهاد من المسلمين ، يمنعهم بالسجن والتعذيب وأحياناً يكون بالقتل .

يقول نيكسون :" «أن لا نبالغ في علاقاتنا مع الدول التقدمية، حتى لا تكون هذه العلاقة هدفاً للناقدين. ولما كانت ذكريات الاستعمار لا تزال ماثلة في أذهان العالم الإسلامي، فيجب ألا تصل العلاقة بين أمريكا والدول الشريكة إلى حد الوصاية، ويجب ألا نتعامل مع الزعماء في الدول التقدمية كأنهم مراسلون بيننا وبين شعوبهم، بل علينا أن نعاملهم كشركاء متساوين، لأن أسرع طريقة ندفنهم بها هي معاملتهم كأنهم أبواق للدعاية للغرب».

كما أن علينا أن نتقبل في بعض الأحيان رفض أصدقائنا في العالم الإسلامي لبعض تصرفاتنا، التي تسبب لهم حرجاً سياسياً في بلادهم ... فيجب ألا يزعجنا أن تضطر الظروف أصدقاءنا أن يتفوهوا ببعض السباب ضدنا إرضاء لأعدائنا " . كتاب الفرصة السانحة ويقول المستشرق الأمريكي سميث :" إذا أعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية، فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالدكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب ودينها " اه. من كتاب قادة الغرب يقولون.

يقول سيد قطب رحمه الله في الظلال :" والأمة في النظام الإسلامي هي التي تختار الحاكم فتعطيه شرعية مزاولة الحكم بشريعة الله، ولكنها ليست هي مصدر الحاكمية التي تعطي القانون شرعيته، إنما مصدر الحاكمية هو الله. وكثيرون حتى من الباحثين المسلمين يخلطون بين مزاولة السلطة وبين مصدر السلطة، فالناس بجملته لا يملكون حق الحاكمية إنما يملكه الله وحده، والناس إنما يزاولون تطبيق ما شرعه الله بسلطانه، أما ما لم يشرعه الله فلا سلطان له ولا شرعية، وما أنزل الله به من سلطان " اه .

ويقول أيضاً في الظلال : " إن تكاليف العبودية للطواغيت فاحشة مهما لاح فيها من السلامة والأمن والطمأنينة على الحياة والمقام والرزق! إنها تكاليف بطيئة طويلة مديدة! تكاليف في إنسانية الإنسان ذاته فهذه «الإنسانية» لا توجد، والإنسان عبد للإنسان– وأي عبودية شر من خضوع الإنسان لما يشرعه له إنسان؟! .. وأي عبودية شر من تعلق قلب إنسان بإرادة إنسان آخر به، ورضاه أو غضبه عليه؟! .. وأي عبودية شر من أن تتعلق مصائر إنسان بهوى إنسان مثله ورغباته وشهواته؟! وأي عبودية شر من أن يكون للإنسان خطام أو لجام يقوده منه كيفما شاء إنسان؟! على أن الأمر لا يقف عند حد هذه المعاني الرفيعة.. إنه يهبط ويهبط حتى يكلف الناس– في حكم الطواغيت– أموالهم التي لا يحميها شرع ولا يحوطها سياج. كما يكلفهم أولادهم إذ ينشئهم الطاغوت كما شاء على ما شاء من التصورات والأفكار والمفهومات والأخلاق والتقاليد والعادات. فوق ما يتحكم في أرواحهم وفي حياتهم ذاتها، فيذبحهم على مذبح هواه، ويقيم من جماجمهم وأشلائهم أعلام المجد لذاته والجاه! ثم يكلفهم أعراضهم في النهاية.. حيث لا يملك أب أن يمنع فتاته من الدعارة التي يريدها بها الطواغيت، سواء في صورة الغصب المباشر– كما يقع على نطاق واسع على مدار التاريخ– أو في صورة تنشئتهن على تصورات

ومفاهيم تجعلهن نهباً مباحاً للشهوات تحت أي شعار! وتمهد لهن الدعارة والفجور تحت أي ستار.. والذي يتصور أنه ينجو بماله وعرضه وحياته وحياة أبنائه وبناته في حكم الطواغيت من دون الله. إنما يعيش في وهم، أو يفقد الإحساس بالواقع! إن عبادة الطاغوت عظيمة التكاليف في النفس والعرض والمال.. ومهما تكن تكاليف العبودية لله، فهي أربح وأقوم حتى بميزان هذه الحياة. فضلاً على وزنها في ميزان الله..

يقول السيد أبو الأعلى المودودي في كتاب: الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية:

« ... وكل من له أدنى بصيرة بمسائل الحياة الإنسانية، لا يخفى عليه أن المسألة- التي تتوقف عليها قضية صلاح الشؤون البشرية وفسادها- إنما هي مسألة زعامة الشؤون البشرية ومن بيده زمام أمرها. وذلك كما تشاهد في القطار أنه لا يجري إلا إلى الجهة التي يوجهه إليها سائقه، وأنه لا بد للركاب أن يسافروا- طوعاً أو كرهاً- إلى تلك الجهة نفسها. فكذلك لا يجري قطار المدنية الإنسانية إلا إلى جهة يوجهه إليها من بأيديهم زمام أمر تلك المدنية. ومن الظاهر البين أن الإنسانية بمجموعها لا تستطيع بحال من الأحوال أن تأبى السير على تلك الخطة التي رسمها لهم الذين بأيديهم وسائل الأرض وأسبابها طراً، ولهم الهيمنة كل الهيمنة على أزمة الأمر، وبيدهم السلطة المطلقة في تدبير شؤون الإنسانية، وتتعلق بأذيالهم نفوس الجماهير وآمالهم، وهم يملكون أدوات تكوين الأفكار والنظريات وصوغها في قوالب يحبونها، وإليهم المرجع في تنشئة الطباع الفردية، وإنشاء النظام الجماعي، وتحديد القيم الخلقية. فإذا كان هؤلاء الزعماء والقواد ممن يؤمنون بالله ويرجون حسابه.. فلا بد لنظام الحياة بأسره أن يسير على طريق من الخير والرشد والصلاح، وأن يعود الخبثاء الأشرار إلى كنف الدين ويصلحوا شؤونهم. وكذلك تنمو الحسنات ويزكو غراسها، وأقل ما يكون من تأثير المجتمع في السيئات أنها لا تربو. إن لم تمحق وتنقرض

آثارها. وأما إذا كانت هذه السلطة– سلطة الزعامة والقيادة والإمامة– بأيدي رجال انحرفوا عن الله ورسوله، واتبعوا الشهوات، وانغمسوا في الفجور والطغيان، فلا محالة أن يسير نظام الحياة بقضه وقضيضه على البغي والعدوان والفحشاء، ويدب دبيب الفساد والفوضى في الأفكار والنظريات والعلوم والآداب والسياسة والمدنية والثقافة والعمران والأخلاق والمعاملات والعدالة والقانون برمتها، وتنمو السيئات ويستفحل أمرها ... »

... «والظاهر أن أول ما يطالب به دين الله عباده، أن يدخلوا في عبودية الحق كافة مخلصين له الطاعة والانقياد، حتى لا يبقى في أعناقهم قلادة من قلائد العبودية لغير الله تعالى. ثم يتطلب منهم ألا يكون لحياتهم قانون إلا ما أنزله الله تعالى، وجاء به الرسول الأمي الكريم– ﷺ– ثم إن الإسلام يطالبهم أن يتعدم من الأرض الفساد، وتستأصل شأفة السيئات والمنكرات الجالبة على العباد غضب الله تعالى وسخطه.

وهذه الغايات السامية لا يمكن أن يتحقق منها شيء ما دامت قيادة أبناء البشر وتسيير شؤونهم في الأرض بأيدي أئمة الكفر والضلال ولا يكون من أمر أتباع الدين الحق وأنصاره إلا أن يستسلموا لأمر هؤلاء وينقادوا لجبروتهم، يذكرون الله قابعين في زواياهم، منقطعين عن الدنيا وشؤونها، مغتنمين ما يتصدق به هؤلاء الجبابرة عليهم من المسامحات والضمانات! ومن هنا يظهر ما للإمامة الصالحة وإقامة نظام الحق من أهمية خطيرة تجعلها من غايات الدين وأسسه. والحق أن الإنسان لا يمكنه أن يبلغ رضى الله تعالى بأي عمل من أعماله إذا تناسى هذه الفريضة وتقاعس عن القيام بها.. ألم تروا ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر الجماعة ولزومها والسمع والطاعة، حتى إن الإنسان ليستوجب القتل إذا خرج من الجماعة– ولو قيد شعره– وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم. وهل لذلك من سبب سوى أن

غـرض الـدين الحقيقـي وهدفـه إنمـا هـو إقامـة نظـام الحـق، والإمامـة الراشـدة وتوطيـد دعائمـه في الأرض. وكـل ذلـك يتوقـف تحققـه علـى القـوة الجماعيـة، والـذي يضعضـع القـوة الجماعيـة ويفـت في عضـدها، يجـني علـى الإسـلام وأهلـه جنايـة لا يمكـن جبرهـا وتلافيهـا بالصـلاة ولا بالإقـرار بكلمـة التوحيـد.. ثم انظـروا إلى مـا كسـب «الجهـاد» مـن المنزلـة العاليـة والمكانـة الرفيعـة في الـدين، حـتى إن القـرآن لـيحكم «بالنفـاق» علـى الـذين ينكلـون عنـه ويثـاقلون إلى الأرض. ذلـك أن «الجهـاد» هـو السـعي المتواصـل والكفـاح المسـتمر في سـبيل إقامـة نظـام الحـق، لـيس غـير. وهـذا الجهـاد هـو الـذي يجعلـه القـرآن ميـزاناً يـوزن بـه إيمـان الرجـل وإخلاصـه للـدين. وبعبـارة أخـرى أنـه مـن كـان يـؤمن بالله ورسـوله لا يمكنـه أن يرضـى بتسـلط النظـام الباطـل، أو يقعـد عـن بـذل نفسـه ومالـه في سـبيل إقامـة نظـام الحـق.. فكـل مـن يبـدو في أعمالـه شـيء مـن الضـعف والاسـتكانة في هـذا البـاب، فـاعلم أنـه مـدخول في إيمانـه، مـرتاب في أمـره، فكيـف ينفعـه عمـل مـن أعماله بعد ذلك؟» ...

... «إن إقامـة الإمامـة الصـالحة في أرض الله لهـا أهميـة جوهريـة وخطـورة بالغـة في نظـام الإسـلام. فكـل مـن يـؤمن بالله ورسـوله ويـدين ديـن الحـق، لا ينتهـي عملـه بأن يبـذل الجهـد المسـتطاع لإفـراغ حياتـه في قالـب الإسـلام، ولا تـبرأ ذمتـه مـن ذلـك فحسـب، بـل يلزمـه بمقتضـى ذلـك الإيمـان أن يسـتنفد جميـع قـواه ومسـاعيه في انتـزاع زمـام الأمـر مـن أيـدي الكـافرين والفجـرة والظـالمين حـتى يتسـلمه رجـال ذوو صـلاح ممـن يتقـون الله، ويرجـون حسـابه، ويقـوم في الأرض ذلـك النظـام الحـق المرضـيّ عنـد الله الـذي بـه صلاح أمور الدنيا وقوام شؤونها» اه كلام المودودي..

إن الإسـلام حـين يـدعو النـاس إلى انتـزاع السـلطان مـن أيـدي غاصـبيه مـن البشـر ورده كلـه لله، إنمـا يـدعوهم لإنقـاذ إنسـانيتهم وتحريـر رقـابهم مـن العبوديـة للعبيـد كمـا يـدعوهم

إلى إنقاذ أرواحهم وأموالهم من هوى الطواغيت وشهواتهم.. إنه يكلفهم أعباء المعركة مع الطاغوت- تحت رايته- بكل ما فيها من تضحيات ولكنه ينقذهم من تضحيات أكبر وأطول، كما أنها أذل وأحقر! .. إنه يدعوهم للكرامة، وللسلامة، في آن " اه.

العائق السادس عشر/ مشقة هذا الطريق

قال الله تعالى { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } [البقرة: 216] .

يقول سيد قطب رحمه الله : "إن القتال في سبيل الله فريضة شاقة . ولكنها فريضة واجبة الأداء واجبة الأداء لأن فيها خيرا كثيرا للفرد المسلم ، وللجماعة المسلمة ، وللبشرية كلها وللحق والخير والصلاح .

والإسلام يحسب حساب الفطرة ؛ فلا ينكر مشقة هذه الفريضة ، ولا يهون من أمرها . ولا ينكر على النفس البشرية إحساسها الفطري بكراهيتها وثقلها . فالإسلام لا يماري في الفطرة ، ولا يصادمها ، ولا يحرم عليها المشاعر الفطرية التي ليس إلى إنكارها من سبيل . . ولكنه يعالج الأمر من جانب آخر ، ويسلط عليه نورا جديدا إنه يقرر أن من الفرائض ما هو شاق مرير كريه المذاق ؛ ولكن وراءه حكمة تهون مشقته ، وتسيغ مرارته ، وتحقق به خيرا مخبوءا قد لا يراه النظر الإنساني القصير عندئذ يفتح للنفس البشرية نافذة جديدة تطل منها على الأمر ؛ ويكشف لها عن زاوية أخرى غير التي تراه منها . نافذة تهب منها ريح رخية عندما تحيط الكروب بالنفس وتشق عليها الأمور إنه من يدري فلعل وراء المكروه خيرا . ووراء المحبوب شرا . إن العليم بالغايات البعيدة ، المطلع على العواقب المستورة ، هو الذي يعلم وحده . حيث لا يعلم الناس شيئا من الحقيقة .

وعندما تنسم تلك النسمة الرخية على النفس البشرية تهون المشقة ، وتتفتح منافذ الرجاء ، ويستروح القلب في الهاجرة ، ويجنح إلى الطاعة والأداء في يقين وفي رضاء.

هكذا يواجه الإسلام الفطرة ، لا منكرا عليها ما يطوف من المشاعر الطبيعية ، ولا مريدا لها على الأمر الصعب بمجرد التكليف . ولكن مربيا لها على الطاعة ، ومفسحا لها في الرجاء . لتبذل الذي هو أدنى في سبيل الذي هو خير ؛ ولترتفع على ذاتها متطوعة لا مجبرة ، ولتحس بالعطف الإلهي الذي يعرف مواضع ضعفها ، ويعترف بمشقة ما كتب عليها ، ويعذرها ويقدرها ؛ ويحدو لها بالتسامي والتطلع والرجاء . وهكذا يربي الإسلام الفطرة ، فلا تمل التكليف ، ولا تجزع عند الصدمة الأولى ، ولا تخور عند المشقة البادية ، ولا تخجل وتتهاوى عند انكشاف ضعفها أمام الشدة . ولكن تثبت وهي تعلم أن الله يعذرها ويمدها بعونه ويقويها . وتصمم على المضي في وجه المحنة ، فقد يكمن فيها الخير بعد الضر ، واليسر بعد العسر ، والراحة الكبرى بعد الضنى والعناء . ولا تتهالك على ما تحب وتلتذ . فقد تكون الحسرة كامنة وراء المتعة ! وقد يكون المكروه مختبئا خلف المحبوب . وقد يكون الهلاك متربصا وراء المطمع البراق .

إنه منهج في التربية عجيب ، منهج عميق بسيط . منهج يعرف طريقه إلى مسارب النفس الإنسانية وحناياها ودروبها الكثيرة . بالحق وبالصدق . لا بالإيحاء الكاذب ، والتمويه الخادع . . فهو حق أن تكره النفس الإنسانية القاصرة الضعيفة أمرا ويكون فيه الخير كل الخير . وهو حق كذلك أن تحب النفس أمرا وتتهالك عليه . وفيه الشر كل الشر . وهو الحق كل الحق أن الله يعلم والناس لا يعلمون ! وماذا يعلم الناس من أمر العواقب ؟ وماذا يعلم الناس مما وراء الستر المسدل ؟ وماذا يعلم الناس من الحقائق التي لا تخضع للهوى والجهل والقصور ؟!

إن هـذه اللمسـة الربانيـة للقلـب البشـري لتفـتح أمامـه عالمـا آخـر غـير العـالم المحـدود الـذي تبصـره عينـاه . وتـبرز أمامـه عوامـل أخـرى تعمـل في صـميم الكـون ، وتقلـب الأمـور ، وترتـب العواقـب علـى غـير مـا كـان يظنـه ويتمنـاه . وإنهـا لتتركـه حـين يستجيب لها طيعا في يـد القـدر ، يعمـل ويرجـو ويطمـع ويخـاف ، ولكـن يـرد الأمـر كله لليد الحكيمة والعلم الشامل، وهو راض قرير . . إنه الـدخول في السلم مـن بابه الواسـع . . فمـا تستشـعر الـنفس حقيقـة السـلام إلا حـين تسـتيقن أن الخـيرة فيمـا اختـاره الله . وأن الخـير في طاعـة الله دون محاولـة منهـا أن تجـرب ربهـا وأن تطلـب منـه البرهـان ! إن الإذعـان الواثـق والرجـاء الهـادىء والسـعي المطمـئن . . هـي أبـواب السـلم الـذي يـدعو الله عبـاده الـذين آمنـوا ليـدخلوا فيـه كافـة . . وهـو يقـودهم إليـه بهـذا المـنهج العجيـب العميـق البسـيط . في يسـر وفي هـوادة وفي رخـاء . يقـودهم بهـذا المـنهج إلى السـلم حـتى وهـو يكلفهـم فريضـة القتـال . فالسـلم الحقيقـي هـو سـلم الـروح والضـمير حتى في ساحة القتال .

وإن هـذا الإيحـاء الـذي يحملـه ذلـك الـنص القـرآني، لا يقـف عنـد حـد القتـال، فالقتـال لـيس إلا مـثلا لمـا تكرهـه الـنفس ، ويكـون مـن ورائـه الخـير . . إن هـذا الإيحـاء ينطلـق في حيـاة المـؤمن كلهـا . ويلقـي ظلالـه علـى أحـداث الحيـاة جميعهـا . . إن الإنسـان لا يـدري أيـن يكـون الخير وأيـن يكـون الشـر . . لقـد كـان المؤمنـون الـذين خرجـوا يـوم بـدر يطلبـون عـير قـريش وتجارتهـا ، ويرجـون أن تكـون الفئـة الـتي وعـدهم الله إياهـا هـي فئـة العـير والتجـارة . لا فئـة الحاميـة المقاتلـة مـن قـريش . ولكـن الله جعـل القافلـة تفلـت ، ولقـاهم المقاتلـة مـن قـريش ! وكـان النصـر الـذي دوى في الجزيـرة العربيـة ورفـع رايـة الإسـلام . فـأين تكـون القافلـة مـن هـذا الخـير الضـخم الـذي أراده الله للمسـلمين !

وأين يكون اختيار المسلمين لأنفسهم من اختيار الله لهم ؟ والله يعلم والناس لا يعلمون !

ولقد نسي فتى موسى ما كانا قد أعداه لطعامهما وهو الحوت فتسرب في البحر عند الصخرة . فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال: ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا . فوجدا عبدا من عبادنا . . . . وكان هذا هو الذي خرج له موسى . ولو لم يقع حادث الحوت ما ارتدا . ولفاتهما ما خرجا لأجله في الرحلة كلها !

وكل إنسان في تجاربه الخاصة يستطيع حين يتأمل أن يجد في حياته مكروهات كثيرة كان من ورائها الخير العميم . ولذات كثيرة كان من ورائها الشر العظيم . وكم من مطلوب كاد الإنسان يذهب نفسه حسرات على فوته ؛ ثم تبين له بعد فترة أنه كان إنقاذا من الله أن فوت عليه هذا المطلوب في حينه . وكم من محنة تجرعها الإنسان لاهثا يكاد يتقطع لفظاعتها. ثم ينظر بعد فترة فإذا هي تنشيء له في حياته من الخير ما لم ينشئه الرخاء الطويل .

إن الإنسان لا يعلم . والله وحده يعلم . فماذا على الإنسان لو يستسلم

إن هذا هو المنهج التربوي الذي يأخذ القرآن به النفس البشرية . لتؤمن وتسلم وتستلم في أمر الغيب المخبوء ، بعد أن تعمل ما تستطيع في محيط السعي المكشوف " ا هـ .

وقال مُحَمَّد قطب في شبهات حول الإسلام: (والإسلام سائر في طريق القوّة على الرغم من الضربات الوحشية التي تكال له في كلّ مكان لأنّ طبائع الأشياء كلّها

تـؤذن بمولـد الإسـلام مـن جديـد، لأنّ لـه اليـوم دورا في حيـاة البشـريّة لا يقـلّ ضـخامة ولا قـوّة عـن دوره الأول في صـدر الإسـلام. أمّـا نحـن فلـن نجـد طريقـا مفروشـا بالزهـور، لابـدّ مـن تضـحيات كثـيرة كتلـك الـتي بـذلها المسـلمون الأوائـل ليصـنعوا العـالم بمـا في الإسـلام مـن خـير، ولكنّهـا تضـحيات مضـمونة في الأرض وفي السـماء، قـال تعـالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}) .

ويقـول الله تعـالى {وَلَنَبْلُـوَنَّكُمْ بِشَـيْءٍ مِـنَ الْخَـوْفِ وَالْجُـوعِ وَنَقْـصٍ مِـنَ الْأَمْـوالِ وَالْأَنْفُـسِ وَالثَّمَـراتِ وَبَشِّـرِ الصَّـابِرِينَ* الَّـذِينَ إِذا أَصـابَتْهُمْ مُصِـيبَةٌ قـالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْـهِ راجِعُونَ}. [البقرة 155 – 156].

قـال سيد قطـب رحمـه الله : "ولا بـد مـن تربيـة النفـوس بالـبلاء ، ومـن امتحـان التصـميم علـى معركـة الحـق بالمخـاوف والشـدائد ، وبالجـوع ونقـص الأمـوال والأنفـس والثمـرات لا بـد مـن هـذا الـبلاء ليـؤدي المؤمنـون تكـاليف العقيـدة ، كـي تعـز علـى نفوسـهم بمقـدار مـا أدوا في سـبيلها مـن تكـاليف. والعقائـد الرخيصـة الـتي لا يـؤدي أصـحابها تكاليفهـا لا يعـز علـيهم التخلـي عنهـا عنـد الصـدمة الأولى. فالتكـاليف هنـا هـي الـثمن النفسـي الـذي تعـز بـه العقيـدة في نفـوس أهلهـا قبـل أن تعـز في نفـوس الآخـرين. وكلمـا تألموا في سبيلها ، وكلمـا بـذلوا مـن أجلهـا .. كانـت أعـز علـيهم وكـانوا أضـن بهـا. كـذلك لـن يـدرك الآخـرون قيمتهـا إلا حـين يـرون ابـتلاء أهلهـا بهـا وصـبرهم علـى بلائهـا .. إنهـم عندئـذ سـيقولون في أنفسـهم : لـو لم يكـن مـا عنـد هـؤلاء مـن العقيـدة خـيرا ممـا يبتلـون بـه وأكـبر مـا قبلـوا هـذا الـبلاء ، ولا صـبروا عليـه .. وعندئـذ ينقلـب المعارضـون للعقيـدة باحثـين عنهـا ، مقـدرين لهـا ، منـدفعين إليهـا .. وعندئـذ يجـيء نصر الله والفتح ويدخل الناس في دين الله أفواجا ..

ولا بد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى. فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد. والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن العيون ، والران عن القلوب " ا هـ .

ويقول سيد قطب رحمه الله: (إن تكاليف الخروج من العبودية للطاغوت والدينونة لله وحده مهما عظمت وشقت أقل وأهون من تكاليف العبودية للطواغيت؛ إن تكاليف العبودية للطواغيت فاحشة مهما لاح فيها من السلامة والأمن والطمأنينة على الحياة والمقام والرزق! إنها تكاليف بطيئة طويلة مديدة، تكاليف في إنسانية الإنسان ذاته؛ فهذه الإنسانية لا توجد والإنسان عبد للإنسان! وأي عبودية شر من خضوع الإنسان لما يشرعه له إنسان؟ وأي عبودية شر من تعلق قلب إنسان بإرادة إنسان آخر به، ورضاه أو غضبه عليه؟! وأي عبودية شر من أن يكون للإنسان خطام أو لجام يقوده منه كيف شاء إنسان؟! على أن الأمر لا يقف عند حد هذه المعاني الرفيعة... إنه يهبط ويهبط حتى يكلف الناس في حكم الطاغوت أموالهم التي لا يحميها شرع ولا يحوطها سياج... كما يكلفهم أولادهم إذ ينشئهم الطاغوت كما شاء على ما شاء من التصورات والأفكار والمفهومات والأخلاق والتقاليد والعادات فوق ما يتحكم في أرواحهم، فيذبحهم على مذبح هواه، ويُقيم من جماجمهم وأشلائهم أعلام المجد لذاته والجاه! ثم يكلفهم أعراضهم في النهاية... حتى لا يملك أب أن يمنع فتاته من الدعارة التي يريدها بها الطاغوت، سواء في صورة الغصب المباشر – كما يقع على نطاق واسع على مدار التاريخ – أو في صورة تنشئتهن على تصورات ومفاهيم تجعلهن نهباً مباحاً للشهوات تحت أي

شعار، وتمهد لهنَّ الدعارة والفجور تحت أي ستار....والذي يتصور أن ينجو بماله وعرضه وحياته وحياة أبنائه وبناته في حكم الطاغوت من دون الله، إنما يعيش في وهم، أو يفقد الإحساس بالواقع! إن عبادة الطواغيت عظيمة التكاليف في النفس والعِرض والمال... ومهما تكن تكاليف العبودية لله، فهي أربح وأقوم حتى بميزان هذه الحياة، فضلاً عن وزنها في ميزان الله) اهـ.

العائق السابع عشر/ طول الطريق

قد يقول قائل ما الفرق بين هذا العائق والذي قبله؟

فأقول: الذي قبله يتحدث عن مشقة الجهاد فقد يتحمل الواحد المشقة بس إذا كانت قصيرة ، لكن إذا طالت الفترة في الجهاد فيقول الطريق طويل كم لهم في مكان كذا وكم للجماعة الفلانية وهي في مكانها ، على سبيل المثال إخواننا في الجزائر أسأل الله أن يمكن لهم ، كم ابتلوا وكم لهم في الغابات وكم الواحد منهم لم يرى زوجته منذ سنوات وآخر لم يرى أمه منذ سنوات وأظن أن الشيخ البليدي رحمه الله لم يرى أمه منذ عشر سنوات ، فمَن ضعف إيمانه يرى طول الطريق فيقد مع القاعدين .

وقال الشيخ أبو يحيي الليبي رحمه الله : " إن عبادة الجهاد قد طابق فيها الاسم المسمى، وليست كما يريدها بعض الناس اليوم أن تكون، بحيث لا تتجاوز في فهمه وأمنيته رحلة هادئة، ونقلة هانئة، يبلغ سالكها غايته، وينال بغيته، من غير ما تعب ولا نصب، ولا ابتلاء أو دماء وأشلاء، فإن هذا التصور العقيم، ما كان أبداً ولن يكون واقعاً في عبادة تسمى (الجهاد) ، إذا كنا نفهم هذه العبادة على حقيقتها الشرعية الواقعية، وليست الخيالية الوهمية .

فالتمحيص جزء لا ينفك عن هذه العبادة (الممحصة) البتة، فهي حاوية لكل صنوف المحن وأنواع الفتن وصور الابتلاءات، من الهزائم والتشريد، والأسر والقهر، وذهاب الأنفس ونقص الأموال، ومعاناة الجوع والخوف، ومشاق السفر ومكابدة

السهر، ومفارقة الخلان وهجر الأوطان، إلى غير ذلك مما تعبر عنه كلمة (جهاد) من الجهد والمشاق.

قال تعالى { ولنبلونّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم } [محمد:31]. وقال تعالى { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين }[آل عمران:142]. وهذه الحقيقة المهمة ينبغي لكل من سلك طريق الجهاد أن يجعلها نصب عينيه، ويقيمها بين يديه حتى لا تزل قدمه، ويُبدّد حلمه، عند أول محنة تلاقيه، أو رغبة وإغراء يُعرضان عليه.

وهي حقيقة لم يهملها القرآن أو يغفلها، بل أفصح عنها أيّما إفصاح، وبينها أتمّ البيان وركز عليها أشد التركيز، من خلال الدروس التربوية العظيمة التي تنزل عقب الغزوات، لا سيما التي أصاب المسلمين فيها أذى كثير كغزوة أحد، فالقرآن وهو يعرض تلك الدروس السامية، والعبر الباقية، لم يغرس في نفوس المؤمنين المجاهدين آمال النصر، وأماني الظفر فقط، بل أرشدهم إلى جعل توقع الهزائم، وإظلال العظائم، أمراً قائماً نصب أعينهم دائماً، حتى لا يصطدموا بما يلاقونه منها، ولينقى الصف ممن يتخلله ممن لا يتحمل مثلها، ولا يصبر على شدتها، أو يعزل نفسه فلا يقحمها في معمعتها أصلا، فهو ليس لذلك أهلاً، لأنه بنى مشاركته في القتال، على تيقن حصول الانتصار في كل معركة، وحوز الغنيمة عند أية غزوة، بل أضاف القرآن على ذلك أنْ حث المجاهدين المبتلين، إلى عدم جعل الابتلاء ووقوع اللأواء سبباً يفت عضدهم، أو يوهن قوتهم، أو يخلخل يقينهم، فقال لهم { ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الجاعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين أمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا

يحب الظالمين }، وقال سبحانه { ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيما }.

أوَلسنا نرى ما حدث يوم أحد لخير الخلق ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، وحتى تفاجأ الصحابة بذلك، خاصة انه وقع بعد الانتصار الساحق الذي حققوه يوم بدر، وكانوا إذ ذاك اقل منهم عدداً وعدة، فتساءلوا في غاية الاستغراب والتعجب { أنى هذا } فجاء القرآن بجواب صريح واضح { قل هو من عند أنفسكم }، ومع أن هذه المصيبة كان سببها المعصية التي وقعت من الرماة، إلا أن ذلك لا يمنع أن تكون متضمنة ومشتملة على حكمة بالغة، يرجع مردودها، وتعودُ فائدتها، على أولئك المؤمنين المصابين كما قال تعالى مبنياً تلك الحكمة { وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للإيمان ... }.

فكما أن ثمة ابتلاء وتمحيصاً للناس ليعلم المؤمن من غيره، فكذلك الأمر في الجهاد، حتى يتميز المجاهد الصادق من الدعيّ المنافق، ليبقى الصادقون الخُلَّص، الذين صبروا وصابروا، ولم يغيروا أو يتغيروا، فيكونوا بعد نزول ذلك التمحيص، أهلاً لاستلام الأمانة وحمايتها، والحفاظ عليها وصيانتها، والقيام عليها خير قيام، لأنهم عرفوا قدرها، وأنزلوها منزلتها، فقدموا لأجلها كل غال ورخيص، وتحملوا أنواع الأذى، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا، ولا خذلوا ولا لانوا.

وقال الله تعالى : «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ. وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» .

وقال سيد قطب رحمه الله : " ولا بد من تربية النفوس بالبلاء ، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد ، وبالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات .. لا بد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة ، كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف. والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى. فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين. وكلما تألموا في سبيلها ، وكلما بذلوا من أجلها .. كانت أعز عليهم وكانوا أضن بها. كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها .. إنهم عندئذ سيقولون في أنفسهم : لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيرا مما يبتلون به وأكبر ما قبلوا هذا البلاء ، ولا صبروا عليه .. وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها ، مقدرين لها ، مندفعين إليها .. وعندئذ يجيء نصر الله والفتح ويدخل الناس في دين الله أفواجا ..

ولا بد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى. فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد. والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن العيون ، والران عن القلوب.

وأهم من هذا كله ، أو القاعدة لهذا كله .. الالتجاء إلى الله وحده حين تهتز الأسناد كلها ، وتتوارى الأوهام وهي شتى ، ويخلو القلب إلى الله وحده. لا يجد سندا إلا سنده. وفي هذه اللحظة فقط تنجلي الغشاوات ، وتتفتح البصيرة ، وينجلي الأفق على مد البصر .. لا شيء إلا الله .. لا قوة إلا قوته .. لا حول إلا حوله .. لا إرادة إلا إرادته .. لا ملجأ إلا إليه .. وعندئذ تلتقي الروح بالحقيقة الواحدة التي يقوم عليها تصور صحيح ..

والنص القرآني هنا يصل بالنفس إلى هذه النقطة على الأفق :

«وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» ..

إنا لله .. كلنا .. كل ما فينا .. كل كياننا وذاتيتنا .. لله .. وإليه المرجع والمآب في كل أمر وفي كل مصير .. التسليم .. التسليم المطلق .. تسليم الالتجاء الأخير المنبثق من الالتقاء وجها لوجه بالحقيقة الوحيدة ، وبالتصور الصحيح.

هؤلاء هم الصابرون .. الذين يبلغهم الرسول الكريم بالبشرى من المنعم الجليل ..

وهؤلاء هم الذين يعلن المنعم الجليل مكانهم عنده جزاء الصبر الجميل :

«أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ، وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» ..

صلوات من ربهم .. يرفعهم بها إلى المشاركة في نصيب نبيه الذي يصلي عليه هو وملائكته سبحانه .. وهو مقام كريم .. ورحمة .. وشهادة من الله بأنهم هم المهتدون ..

وكل أمر من هذه هائل عظيم ..

وبعد .. فلا بد من وقفة أمام هذه الخاتمة في تلك التعبئة للصف الإسلامي. التعبئة في مواجهة المشقة والجهد ، والاستشهاد والقتل ، والجوع والخوف ، ونقص الأموال والأنفس والثمرات. والتعبئة في هذه المعركة الطويلة الشاقة العظيمة التكاليف.

إن الله يضع هذا كله في كفة. ويضع في الكفة الأخرى أمرا واحدا .. صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون .. إنه لا يعدهم هنا نصرا ، ولا يعدهم هنا تمكينا ، ولا يعدهم هنا مغانم ، ولا يعدهم هنا شيئا إلا صلوات الله ورحمته وشهادته .. لقد كان الله يعد هذه الجماعة لأمر أكبر من ذواتها وأكبر من حياتها.

فكان من ثم يجردها من كل غاية ، ومن كل هدف ومن كل رغبة من الرغبات البشرية حتى الرغبة في انتصار العقيدة - كان يجردها من كل شائبة تشوب التجرد المطلق له ولطاعته ولدعوته .. كان عليهم أن يمضوا في طريقهم لا يتطلعون إلى شيء إلا رضى الله وصلواته ورحمته وشهادته لهم بأنهم مهتدون .. هذا هو الهدف ، وهذه هي الغاية ، وهذه هي الثمرة الحلوة التي تهفو إليها قلوبهم وحدها .. فأما ما يكتبه الله لهم بعد ذلك من النصر والتمكين فليس لهم ، إنما هو لدعوة الله التي يحملونها.

إن لهم في صلوات الله ورحمته وشهادته جزاء. جزاء على التضحية بالأموال والأنفس والثمرات. وجزاء على الخوف والجوع والشدة. وجزاء على القتل والشهادة .. إن الكفة ترجح بهذا العطاء فهو أثقل في الميزان من كل عطاء. أرجح من النصر وأرجح من التمكين وأرجح من شفاء غيظ الصدور ..

هذه هي التربية التي أخذ الله بها الصف المسلم ليعده ذلك الإعداد العجيب ، وهذا هو المنهج الإلهي في التربية لمن يريد استخلاصهم لنفسه ودعوته ودينه من بين البشر أجمعين." ا هـ .

العائق الثامن عشر/ قرناء السوء

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وذلك أن كثيراً من أهل المنكر يحبون من يوافقهم على ما هم فيه؛ ويبغضون من لا يوافقهم، وهذا ظاهر في الديانات الفاسدة من موالاة كل قوم لموافقيهم؛ ومعاداتهم لمخالفيهم وكذلك في أمور الدنيا والشهوات". أهـ

قال الشاعر:

لا تصحب الكسلان في حالاته كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد إلى الجليد سريعة كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

كما يقال (الصاحب ساحب فاعلم من تصاحب) .

يقول الله تعالى { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً } [الفرقان: 27].

ويقول النبي ﷺ: " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل " رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني.

قال ابن حبان رحمه الله : "العاقل لا يصاحب الأشرار لأن صحبة السوء قطعة من النار، تُعقب الضغائن، لا يستقيم ودُّه، ولا يفي بعهدِه" .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: وبالجملة : فمصاحبة الأشرار مُضرة من جميع الوجوه على مَن صاحبهم وشرٌّ على من خالطهم ، فكم هلك بسببهم أقوام ، وكم أقادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون " اه .

وقال أبو الأسود الدؤلي رحمه الله : " ما خلق الله خلقاً أضر من الصاحب السوء "

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

يقال: لا تصحب الشرير ؛ فإن طبعك يسرق من طبعه سرّا وأنت لا تعلم .

قال الإمام مالك رحمه الله: "الناس أشكال كأشكال الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط، والصعو مع الصعو، وكل إنسان مع شكله" .

قال النووي رحمه الله في شرح الحديث(الذي قتل مائة نفس) : "قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائبِ المواضعَ التي أصاب بها الذنوب، والأخدانَ المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح، والعلماء، والمتعبدين الورعين، ومن يقتدى بهم، ويُنتفع بصحبتهم " ا هـ .

لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال: (أي عم! قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل) فقال رفقاء السوء أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب. وهكذا كان رفقاء السوء سبباً في شقاء عم النبي ﷺ وحرمانه من الجنة.

قال جعفر الصادق رضي الله عنه: لا تصحب خمسة:

الكذاب: فإنك منه على غرور، وهو مثل السراب يقرب منك البعيد، ويبعد منك القريب.

والأحمق: فإنك لست منه على شيء، يريد أن ينفعك فيضربك.

والبخيل: فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه.

والجبان: فإنه يسلمك ويفر عند الشدة.

والفاسق: فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها، قيل: وما أقل منها؟ قال: الطمع فيها ثم لا ينالها.

قال الشيخ ناصر بن حمد الفهد يروي عن والده الشيخ حمد بن حمين : " إن سماحة المفتي مُحَّد بن إبراهيم كان يحب الشيخ أحمد مُحَّد شاكر والشيخ مُحَّد حامد الفقي رحمهما الله، وقد رأيتهما عنده كثيرا إذا أتيا إلى المملكة ، وكان رحمه الله يجلُهم ويكرمهم " ا هـ .

ولهذا الثلاثة كلهم تكلموا على قضية التشريع وحكموا على أنها كفر .

قال الله تعالى { وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم } القرناء شياطين الإنس والجن .

قال ابن كثير :" أي حَسّنوا لهم أعمالهم في الماضي وبالنسبة للمستقبل فلم يروْا أنفسهم إلا محسنين " اه .

لقد حصل هذا في وقتنا فقد قُيّضت القرناء وزينوا الباطل وحسّنوه بزخارفهم وغرورهم .

ومن يجالس ردي الطبع يَرْدَ به ... ونالَهُ دنس من عرضه الكدرِ

كصاحب الكير إن يَسلم مجالسه ... من نَتْنِهِ لم يُوَقَّ الحرق والشرر

والمرء يخبث بالأشرار يصحبهم ... ولو غدى أحسن الأخلاق والسِّيَر

فالماء صَفْوٌ طهورٌ في إصالته ... حتى يُجاوِرُه شيء من الكدر

يقول أهل العلم: هل كان أفسد على أبي طالب من صحبة السوء؟!

أراده صلي الله عليه وسلم أن يقول: (لا إله إلا الله) فقال: ((يا عمي قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله))، متفق عليه.

فأراد أن يتلفظ بها، لينجو من العذاب ويدخل في رحمة الواحد القهار.

فقال له أبو جهل: كيف ترغب عن ملة آبائك وأجدادك !

فأتي هذا الجليس السيء فأراده في نار تلظى..فمات مشركاً كافراً بمغبة رفقاء السوء.

وقال ابن حزم في الأخلاق والسير : " إياك ومرافقةَ الجليس السيء، ومساعدة أهل زمانك فيما يضرك في أخراك أو في دنياك، وإن قل؛ فإنك لا تستفيد بذلك إلا الندامة حيث لا ينفعك الندم، ولن يحمدك مَنْ ساعدته، بل يشمت بك، وأقل ما في ذلك وهو المضمون أنه لا يبالي بسوء عاقبتك، وفساد مغبتك.

وإياك ومخالفةَ الجليس، ومعارضةَ أهل زمانك فيما لا يضرك في دنياك ولا في أخراك وإن قل؛ فإنك تستفيد بذلك الأذى والمنافرة والعداوة.

وربما أدى ذلك إلى المطالبة والضرر العظيم دون منفعة أصلًا " ا هـ .

قال ابن القيّم – رحمه الله تعالى – :" إنّ العبد إذا آعتاد سماع الباطل أحبّه ورضيه، فإذا جاء الحقّ بخلافه ردّه وكذّبه إن قدر على ذلك وإلاّ حرّفه ".. إغاثة اللّهفان1 / 55 .

العائق التاسع عشر / فات القطار

البعض يتعلل بأنه فاته القطارُ ، وأصبح لا يحسن العملَ في هذه الظروف! وقد كبر سنه وخط الشيب شعره .

وهذا لضعفِ الشعورِ بالمسؤوليةِ، وتبلدِ الإحساس، وتجمدِ الحماس. عن مالك بن دينار قال: إن صدور المؤمنين تغلي بأعمال البر، وإن صدور الفجار تغلي بأعمال الفجور، والله تعالى يرى هومكم فانظروا ما هومكم رحمكم الله.

إن كبر السن ليس عذرا في القعود إلا إذا صار عاجزا بالكلية .

قال القرطبي رحمه الله : في قوله تعالى { انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} "والصحيح في معنى الآية أن الناس أمروا جملة أي انفروا خفت عليكم الحركة أو ثقلت.

وروي أن ابن أم مكتوم جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له: أعلي أن أنفر ؟ فقال: (نعم) حتى أنزل الله تعالى " ليس على الاعمى حرج " .

وهذه الأقوال إنما هي على معنى المثال في الثقل والخفة.

الثالثة – واختلف في هذه الآية، فقيل إنها منسوخة بقوله تعالى: " ليس على الضعفاء ولا على المرضى " .

وقيل: الناسخ لها قوله: " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة " .

والصحيح أنها ليست بمنسوخة.

روى ابن عباس عن أبي طلحة في قوله تعالى: " انفروا خفافا وثقالا " قال شبانا وكهولا، ما سمع الله عذر أحد.

فخرج إلى الشام فجاهد حتى مات رضي الله عنه.

وروى حماد عن ثابت وعلي بن زيد عن أنس أن أبا طلحة قرأ سورة [براءة] فأتى على هذه الآية " انفروا خفافا وثقالا " فقال: أي بني جهزوني جهزوني فقال بنوه: يرحمك الله ! لقد غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى مات ومع أبي بكر حتى مات ومع عمر حتى مات فنحن نغزو عنك.

قال : لا، جهزوني.

فغزا في البحر فمات في البحر، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فدفنوه فيها، ولم يتغير رضي الله عنه.

وأسند الطبري عمن رأى المقداد بن الاسود بحمص على تابوت صراف، وقد فضل

على التابوت من سمنه وهو يتجهز للغزو.

فقيل له: لقد عذرك الله.

فقال: أتت علينا سورة البعوث " انفروا خفافا وثقالا ".

وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه.

فقيل له: إنك عليل.

فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع.

وروي أن بعض الناس رأى في غزوات الشأم رجلا قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، فقال له: يا عم إن الله قد عذرك فقال: يا بن أخي، قد أمرنا بالنفر خفافا وثقالا.

ولقد قال ابن أم مكتوم ﷺ – واسمه عمرو – يوم أحد: أنا رجل أعمى، فسلموا لي اللواء، فإنه إذا انهزم حامل اللواء انهزم الجيش، وأنا ما أدري من يقصدني بسيفه فما أبرح فأخذ اللواء يومئذ مصعب ابن عمير على ما تقدم في [آل عمران] بيانه .

فلهذا وما كان مثله مما روي عن الصحابة والتابعين.

قلنا: إن النسخ لا يصح. اه

وقال تعالى {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين} قال الحسن البصري: لم يجعل الله للعبد أجلا في العمل الصالح دون الموت.

في الصحيحين عن عائشة ﷺ: أن ورقة قال لرسول الله ﷺ: وإن يُدْرِكْنِي يومُك أنصرْكَ نصراً مؤزراً مع كبر سنه وذهاب بصره، وقد تمنى أن يكون فيها جذعاً قوياً فيكون نفعُهُ أكبرَ وأثرُهُ أكثرَ.

وعن أنس: أن أبا طلحة الأنصاري قرأ سورةَ براءة، فلما أتى على هذه الآية: {انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً} قال: أرى ربَّنا عز وجل سيستنفرنا شيوخاً وشباباً، جهزوني أي بني، فقال بنوه: يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات، ومع أبي بكر ﷺ حتى مات، ومع عمر ﷺ، فنحن نغزو عنك، فأبى فجهزوه فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرةً يدفنونه فيها إلا بعد سبعةِ أيام فلم يتغير فدفنوه فيها.

ابن عقيل الحنبلي رحمه الله وهو في الثمانين يقول :

ما شاب عزمي ولا حزمي ولا خلقي ولا ولائي ولا ديني ولا كرمي

وإنما اعتاض شعري غير صبغته والشيب في الشعر غير الشيب في الهمم

موسى بن نصير في كتب التأريخ يذكرون قولته المشهورة (ما هزمت لي راية قط، ولا فضَّ لي جمع، ولا نكب المسلمون معي نكبة منذ اقتحمت الأربعين إلى أن شارفت الثمانين) .

هل أنت أكبر سناً من المشرك دريد بن الصمة فقد ثبت أن دريد بن الصمة قتل وعمره مائة وعشرون عاما وهو أعمى ، لأنه شارك في غزوة حنين برأيه ونصحهم أن يرجعوا النساء والولدان ، فأبى عليه القائد مالك بن عوف . فقتله أبو عامر الاشعري بعد النصر في حنين وأوطاس .

العائق العشرون/ أنا غير مؤهل

هناك من يرى بأنه غير مؤهل للجهاد ؟

قال شيخ الإسلام : بل المسلمون كلّهم من جنس واحد، كلهم يجاهد في سبيل الله، ولم يكن من المسلمين البالغين القادرين على الجهاد إلاّ من يخرج في الغزو، وكلّ منهم يغزو بنفسه وماله، أو بما يعطاه من الصدقات أو الفيء، أو ما يجهزه به غيره.

ولهذا الله عز وجل عذر أناس بقوله تعالى { لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ }التوبة: [91-92].

قال سيد قطب رحمه الله : "ليس على الضعفاء العاجزين عن القتال لعلة في تكوينهم، أو لشيخوخة تقعدهم ولا على المرضى الذين لا يستطيعون الحركة والجهد ولا على المعدمين الذين لا يجدون ما يتزودون به.. ليس على هؤلاء حرج إذا تخلفوا عن المعركة في الميدان، وقلوبهم مخلصة لله ورسوله، لا يغشون ولا يخدعون، ويقومون بعد ذلك بما يستطيعونه دون القتال من حراسة أو صيانة أو قيام على النساء والذرية في دار الإسلام، أو أعمال أخرى تعود بالنفع على المسلمين. ليس عليهم جناح، وهم يحسنون بقدر ما يستطيعون، فلا جناح على المحسنين، إنما الجناح على المسيئين.

ولا جناح كذلك على القادرين على الحرب، ولكنهم لا يجدون الرواحل التي تحملهم إلى أرض المعركة.

فإذا حرموا المشاركة فيها لهذا السبب، ألمت نفوسهم حتى لتفيض أعينهم دموعاً، لأنهم لا يجدون ما ينفقون.

وإنها لصورة مؤثرة للرغبة الصحيحة في الجهاد، والألم الصادق للحرمان من نعمة أدائه. وإنها لصورة واقعة حفظتها الروايات عن جماعة من المسلمين في عهد الرسول- ﷺ- تختلف الروايات في تعيين أسمائهم، ولكنها تنفق على الواقعة الصحيحة.

روى العوفي عن ابن عباس: وذلك أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل بن مقوى المازني، فقالوا: يا رسول الله احملنا، فقال لهم: «والله لا أجد ما أحملكم عليه» فتولوا وهم يبكون، وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملاً: فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم في كتابه" اه.

وقال الشيخ أبو يحيي الليبي رحمه الله : " حتى أصحاب الأعذار ممن لا يستطيعون الجهاد أو لا يجدون إليه سبيلاً إنما أسقط الله عنهم الإثم بشرط أن ينصحوا لله ولرسوله، كما قال تعالى: {ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم} .

وأعظم النصح في مثل هذه الحال هو التحريض على الجهاد، ورفع همم المجاهدين، وإنفاق الأموال على الفقراء القادرين على النفير، وحفظ وكفالة أسر وذوي

المقاتلين، وتوهين عزائم الكافرين، والدلالة على مواطن ضعفهم ومكامن عجزهم، وغير ذلك من الأعمال التي تدفع المجاهدين وتحمي ظهورهم، وتخذل الكافرين وتربك مساعيهم.

قال الجصاص رحمه الله: (ومن النصح لله تعالى حث المسلمين على الجهاد، وترغيبهم فيه، والسعي في إصلاح ذات بينهم، ونحوه مما يعود بالنفع على الدين، ويكون مع ذلك مخلصاً لعمله من الغش لأن ذلك هو النصح) [أحكام القرآن: 352/4].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: (فنفى سبحانه عن هؤلاء الحرج، وأبان أن الجهاد مع هذه الأعذار ساقط عنهم، غير واجب عليهم، مقيداً بقوله: {إذا نصحوا لله ورسوله}... والنصح لله الإيمان به، والعمل بشريعته، وترك ما يخالفها كائناً ما كان، ويدخل تحته دخولاً أولياً نصح عباده ومحبة المجاهدين في سبيله، وبذل النصيحة لهم في أمر الجهاد، وترك المعاونة لأعدائهم بوجه من الوجوه) [فتح القدير: 392/2].

العائق الواحد والعشرون/ غيري مثلي

يعلل نفسه بأنه ليس الوحيد في التقاعس عن النفير ، فغيره من نفس النوع والجنس مليان .

ونسي بأنه يدفن وحدَه ويبعثُ يوم القيامة وحده وسيقفُ بين يدي الله وحده، فيومئذ كما قال تعالى : {لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ} نسي هذا أنه في مضمار مسابقة. وقد لام الله تعالى القاعدين عن الخروج في سبيله فقال سبحانه {رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم}.

يقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة : { إذا نظر أحدكم فلا ينظر إلى من فضل عليه في المال والخلق، بل لينظر إلى من هو دونه } وفي لفظ: { فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم }.

قال إبراهيم الحربي عن الإمام أحمد: ولقد صحبته عشرين سنةً صيفاً وشتاءً وحراً وبرداً وليلاً ونهاراً، فما لقيته في يوم إلا وهو زائدٌ عليه بالأمس .

قال حماد بن سلمة رحمه الله : ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يطاعُ اللهُ فيها إلا وجدناه مطيعاً، إن كان في ساعةِ صلاةٍ وجدناه مصلياً، وإن لم تكن ساعةُ صلاة وجدناه إما متوضئاً، أو عائداً مريضاً، أو مشيعاً لجَنَازة، أو قاعداً في المسجد، وكنا نرى أنه لا يحسن أن يعصي الله .

قال ابن القيّم رحمه الله تعالى : " وأيّ دين وأيّ خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك، وسنّة رسول الله يرغب عنها وهو بارد القلب ساكت

اللّسان شيطان أخرس كما أن المتكلّم بالباطل شيطان ناطق ؟ وهل بليّة الدّين إلاّ من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين ؟ وخيارهم المتحزّن المتلمّظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بُلوا في الدّنيا بأعظم بليّة تكون، وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب ؛ فإنّ القلب كلّما كانت حياته أتمّ كان غضبه لله ورسوله أقوى وانتصاره للدّين أكمل "اه .

يقول بعض الكتاب :" ولقد سأل أحدُ الأئمة العظماء ولدَه _ وكان نجيباً _: أيُّ غاية تطلب في حياتك يا بني؟ وأي رجل من عظماء الرجال تحب أن تكون ؟

فأجابه: أحب أن أكون مثلك، فقال: ويحك يا بني لقد صغَّرت نفسك، وسقطت همتك؛ فلتبك على عقلك البواكي، لقد قدّرت لنفسي يا بني في مبدأ نشأتي أن أكون كعلي بن أبي طالب؛ فما زلت أجدُّ، وأكدح حتى بلغتُ تلك المنزلة التي تراها، وبيني وبين علي ما تعلم، من الشأو البعيد والمدى الشاسع؛ فهل يسرك، وقد طلبت منزلتي أن يكون ما بينك وبيني من المدى مثل ما بيني وبين عليّ ؟"

العائق الثاني والعشرون/ الإمام لم يأذن

قال تعالى { فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً } .

قال ابن عطية رحمه الله : ولهذا ينبغي لكل مؤمنٍ أن يُجاهد ولو وحده " اهـ .

قال ابن النحاس رحمه الله : (الجهاد بغير إذن الإمام أو نائبه مكروه؛ ولكنه ليس حراماً، وتُستثنى من الكراهة الحالات التالية:

الأولى: إذا استأذن الواحد أو الجماعة ففات المقصود؛ لأن الجهاد حالة قائمة ماسة لا تنتظر التأخير والاستئذان.

الثانية: إذا عطل الإمام الجهاد، وأقبل هو وجنوده على الدنيا، مما هو مشاهد في هذه الأعصار والأمصار؛ فلا كراهة في الجهاد بغير إذن الإمام؛ لأن الإمام معطل للجهاد والمجاهدون يقومون بالفرض المعطل) اهـ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وأمَّا قِتَالُ الدَّفْعِ فَهُو أشَدُّ أنْوَاعِ دَفْعِ الصَّائِلِ، ودَفْعُ الصَّائِلِ عَنِ الحُرْمَةِ والدِّيْنِ، وَاجِبٌ إجْمَاعًا، فالعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّيْنَ والدُّنْيا لا شَيْءَ أوْجَبَ بَعْدَ الإيْمَانِ مِنْ دَفْعِه، فَلا يُشْتَرَطُ لَه شَرْطٌ ؛ بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الإمْكَانِ، وقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ العُلَمَاءُ، أصْحَابُنا وغَيْرُهُم، فَيَجِبُ التَّفْرِيْقُ بَيْنَ دَفْعِ الصَّائِلِ الظَّالِمِ الكَافِرِ، وبَيْنَ طَلَبِه فِي بِلادِه) اهـ .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في دحض هذه الفرية كما في الدرر السنية: ويقال: بأي كتاب أم بأية حجة أن الجهاد لا يجب إلا مع إمام متبع؟!

هذا من الفرية في الدين، والعدول عن سبيل المؤمنين، والأدلة على إبطال هذا القول أشهر من أن تذكر، من ذلك عموم الأمر بالجهاد، والترغيب فيه، والوعيد على تركه، قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ (البقرة:251)، وقال في سورة الحج (الآية 40): ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ...﴾ وكل من قام بالجهاد في سبيل الله فقد أطاع الله وأدى ما فرضه، ولا يكون الإمام إماما إلا بالجهاد، لا أنه لا يكون جهاد إلا بإمام، والحق عكس ما قلته يا رجل، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى( )...﴾ (سبأ46)، وقال: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ (العنكبوت:6). وفي الحديث: لا تزال طائفة... الحديث، والطائفة بحمد الله موجودة مجتمعة على الحق، يجاهدون في سبيل الله، لا يخافون لومة لائم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ... ﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: 54-56) أي واسع الفضل والعطاء عليم بمن يصلح للجهاد. انتهى.

قال ابن حزم في [المحلى: 351/7]: (قال تعالى { وقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك }، وهذا خطاب متوجه إلى كل مسلم فكل أحد مأمور بالجهاد وإن لم يكن معه أحد) انتهى كلامه رحمه الله.

وقال العلامة عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب: (ولا ريب أن فرض الجهاد باق إلى يوم القيامة والمخاطب به المؤمنون فإذا كانت هناك طائفة مجتمعة لها منعة وجب عليها أن تجاهد في سبيل الله بما تقدر عليه لا يسقط عنها فرضه بحال ولا عن جميع الطوائف) [الدرر السنية: 98/7].

وقد استدل شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم كما في [الزاد: 309/3]، وعبد الرحمن بن حسن وغيرهم من الأئمة بقصة أبي بصير وجهاده المشركين بمن معه من المؤمنين وقطعهم الطريق عليهم، حتى قال النبي ﷺ في شأنه: (ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال)، ولم يكن أبو بصير تحت ولاية النبي ﷺ ولا في دار الإسلام ولم يكن إماما، ولم تكن معه راية، بل كان يغير على المشركين ويقاتلهم ويغنم منهم واستقل بحربهم، ومع ذلك أقره النبي ﷺ وأثنى عليه.

قال عبد الرحمن بن حسن كما في [الدرر السنية: 97/7] مستدلا بهذه القصة: (فهل قال رسول الله ﷺ أخطأتم في قتال قريش لأنكم لستم مع إمام سبحان الله ما أعظم مضرة الجهل على أهله؟!) انتهى.

العائق الثالث والعشرون/ الراية غير واضحة

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وأما قتال الدفع؛ فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان ، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم).

وقال ابن القيم رحمه الله في كتاب الفروسية: فقتال الدفع أوسع من قتال الطلب وأعم وجوبا ولهذا يتعين على كل أحد أن يقوم ويجاهد فيه، العبد بإذن سيده وبدون إذنه والولد بدون إذن أبويه والغريم بغير إذن غريمه وهذا كجهاد المسلمين يوم أحد والخندق ولا يشترط في هذا النوع من الجهاد أن يكون العدو ضعفي المسلمين فما دون فإنهم كانوا يوم أحد والخندق أضعاف المسلمين فكان الجهاد واجبا عليهم لأنه حينئذ جهاد ضرورة ودفع لا جهاد اختيار ولهذا تباح فيه صلاة الخوف بحسب الحال. اهـ

قال الشيخ حامد العلي حفظه الله:

الرد على من زعم اشتراط الراية للجهاد

ويقال هنا: بأيّ كتاب أم بأيّة سنة جيء بهذا الشرط، وفي أيّ مذهب ذكر، وما معناه، وما ضابطه، ألا لو كان هذا المتخبط القائل باشتراط الراية، يفقه في الدين لم يطلق لفظا غير منضبط فيجعله شرطا في عبادة هي ذروة سنام الإسلام، فمن أين أتوا بهذا الشرط (الراية)، فعلى هذه الراية العفا، وصفع القفا، وعلى كل شريعة شرعت بها.

غير أنه من المعلوم، أنه يجب أن يكون للجهاد هدف شرعي، ولعمري أي هدف شرعي أوضح من قتال المحتل الصليبي الذي حل بعقر دارنا، وأي هدف شرعي أوضح من قتال من أعلن أنه يريد تغيير بلاد المسلمين كلها، ليحقق أطماعه وأطماع الصهاينة في بلاد الإسلام، أي هدف أوضح وأكثر شرعية من قتال الذين يقاتلوننا في كل العالم، ويحاربون الإسلام في أنحاء المعمورة.

فلم يعد يخفى على مسلم، أن جميع الحركات الجهادية من فلسطين، إلى جنوب شرق آسيا، من كشمير إلى الفلبين تحاربها أمريكا، وجميع المجاهدين في أفغانستان وما حولها وفي الشيشان، بل لا ترفع راية جهاد في أي بقعة من الأرض لإعلاء كلمة الله واسترداد حقوق المسلمين إلا والأمريكيون الصليبيون يتصدون لها، ويستعملون من وافقهم من المنافقين من مطاياهم الذين يفتون بتحريم جهادهم.

ألا يعلم هؤلاء المفتون الضالّون المضلّون، أن الأبطال الذين يقاتلون الأمريكيين في العراق إنما يحمون هؤلاء المفتونين أنفسهم، ويحمون دينهم، وأعراضهم، من بقاء هيمنة أمريكا على العالم وعلى شعوبنا الإسلامية.

هذا ولا أحسب هؤلاء الذين يفتون بإبطال الجهاد، ووجوب الدخول في طاعة الحكومات التي ينصبها المحتل في بلاد الإسلام، إلاّ يعلمون في قرارة أنفسهم بطلان ما يقولون.

ذلك أن الرايات المتواجهة في العراق اليوم، إنما هي رايتان، راية الاحتلال ومن يؤيّده، وراية رفض الاحتلال ومن يقف معها.

الراية الأولى هي راية الصليبيين والرافضة ومن معهم من مرتزقتهم وزنادقة العلمانيين العرب الذين اتخذوا أمريكا ربا وإلها.

والراية الثانية هي راية المقاومة وهو اسم عام يشمل كل رافض لبقاء القوات الصليبية المحتلة في العراق، وهي في أوساط أهل السنة عامة، ويتقدم هذه الراية المجاهدون.

والهدف واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، وهو إخراج المحتل الصليبي من بلاد الإسلام، وحماية المسلمين من بقاءه وتمكنه فيها، لأنّ كل يوم جديد يبقى المحتل في العراق، فإنه يتمكن من إنجاح مخططه الواسع الأشد خطرا على أمتنا الإسلامية من كلّ ما مضى منذ عقود، وهو مشروع القرن الأمريكي، الذي صيغ ليعيد تشكيل المنطقة كلّها وفق متطلبات الهيمنة الأمريكية على النظام الدولي الجديد.

ومن المعلوم أنه حتى في الجهاد الأفغاني الماضي، ضدّ الغزو السوفيتي في أفغانستان . مع أن الاحتلال السوفيتي لم يدخل في حرب أطاح فيها بنظام الحكم وأصبح قوة احتلال، بل بناء على طلب " نجيب الله " وفق معاهدة من حكومته، التي يسمّي هؤلاء المفتون المضلون، مثلها في العراق " حكومة ولي الأمر "!!

ـ قد كانت الجبهات الجهادية كلها تقاتل ضد نظام " نجيب الله " الموالي للسوفيت، وضد الجيش السوفيتي في أفغانستان، على حد سواء.

كما يحدث في العراق تماما، وكانت الجبهات في الجهاد الأفغاني، متعددة الاتجاهات، مختلفة العقائد، ففيهم حتى من كان يعبد القبور، وغلاة أهل الشرك والتصوف الفلسفي، غير أن الفتاوى كلها، كانت تدعوا إلى توحيد المواجهة مع العدو، وأن اختلاف الجبهات لا ينبغي أن يشتت الهدف المشترك، وهو طرد الروس من أفغانستان.

ولم يكن أحد في ذلك اليوم، يتحدث عن تحريم قتال جنود ولي الأمر " نجيب الله " الذي كان يظهر ـ كما أذكر ذلك ـ في صور تنشرها بعض صحفنا الاشتراكية آنذاك

ـ في الكويت–وهو يصلي ويدعو رافعا يديه، وتصور تلك الصحف الخارجين عليه بأنهم خوارج بغاة، يرضون سادتهم الأمريكيين بالقتال ضد من استنجد بالروس حلفاءه ليقمع المتمردين الإرهابيين الخوارج!!

وكان الحكم الشرعي في الجهاد الأفغاني لا يختلف فيه اثنان، فالاحتلال الكافر، احتلال يجب جهاده، ولا يغير هذا الحكم، كونه نصب حكومة موالية له، ولا تعدد جبهات القتال ضده، واختلاف الرايات.

وكذلك كان الأمر في احتلال القرن الماضي لبلادنا الإسلامية، كان الاحتلال ينصب الحكومات، ويتخذ من أهل البلاد الجند والشرط من المسلمين ـ أو كانوا مسلمين قبل أن يوالوا المحتل ـ ولم يكن في علماء المسلمين من ينكر جهاد المحتل ومن والاه.

بل كان كل من يقوم بالجهاد ومقاومة المحتل محمود في الأمة، وجهاده مشكور، ومن يحرض على قتال المحتلين من العلماء يعظم في نفوسهم مكرّما، وينصبونه بينهم مقدّما، رغم كون الرايات المحاربة لاحتلال القرن الماضي، أشد اختلافا، وأعظم تباينا، فقد كان فيها الرايات الإسلامية، والعلمانية، وغيرها.

كما أن الجهاد اليوم في فلسطين، تختلف فيه الرايات أيضا، غير أن القتال كله يتوجه إلى هدف واضح، هو دحر الصهاينة عن بلاد المسلمين، وإفشال مخططهم الخبيث واجتثاث سرطانهم المزروع في بلاد الإسلام، وذلك لإنقاذ الأمّة الإسلامية، مع احتمال أن يستفيد من بعض ثمرات الجهاد، بعض الرايات العلمانية.

ولم يقل عاقل قط، فضلا عن عالم بالشرع، أن الجهاد في فلسطين حجر محجور، وعمل محظور، ويحرم على المسلمين أن يقاتلوا اليهود المحتلين، حتى يأتي اليوم الذي

يتوحد الفلسطينيون تحت راية إسلاميّة سنيّة واحدة، ولو قال هذا مغفل لقدم أكبر خدمة للاحتلال.

والحاصل أن اتفاق المسلمين مع غيرهم على قتال عدوّ يراه الطرفان خطرا عليهما، وفي دحره وإفشال مخططاته، دفع خطر عام على أمة الإسلام، لا ينكره إلاّ جاهل، وقد صح في الحديث أن النبي ﷺ أخبر أن المسلمين يقاتلون والروم عدوا من وراءهم في آخر الزمان، فليس في هذا ما يخالف الشرع مادامت المصلحة في عاقبة القتال أرجح.

ومعلوم أن الأمريكيين أشدّ ما يخافون مما يفشل مشروعهم في العراق، هو دخول المقاتلين عليهم من خارجها، فهم يريدون أن يستفردوا بالعراق، ويحولوه إلى سجن كبير، يفعلون فيها ما يشاؤون وهم في أمن من أي معكّر خارجي حتى إذا انتهوا من الاستقرار التام فيه، وباضوا وفرخوا في ربوعه، انتقلوا إلى ما يليه من بلاد الإسلام، ولهذا فهم يفرضون اليوم حتى على بعض العلماء ـ بواسطة حكومات المنطقةـ أن يخدموا العلم الأمريكي، ويسيروا في ركابه، حتى تحط رحال الصليب في كلّ العواصم، فتُنزل بأمّة الإسلام كلّ قاصم.

ويبدو واضحاً لكل ذي بصيرة أن الضغط الأمريكي على حكوماتنا هو الذي بات يوجّه بعض الفتاوى الشرعية المنكوسة التي أشبه بهذيان المنافقين والزنادقة، أو أقوال الفئات الضالة المارقة.

وهذا وإن كان لا يحدث دائما بأسلوب مباشر، غير أنه يمر عبر مراحل تنتهي بتوجيه الفتوى لصالح السياسة الأمريكية المفروضة على دولنا شاءت أم أبت.

وكأنّك ترى لو كان الروس هم الذين احتلوا العراق أو أي دولة أخرى تنافس أمريكا، كأنك ترى المتحمّسين اليوم للفتاوى المخذلة لإخوانهم المجاهدين في العراق، متجاوزين كل المعوقات، متعامين عن كل شبهة، يفتون بلا خوف من سلطان، ولا جزع من جلاد أو سجان، بوجوب الجهاد كما كانوا يفتون أيام الجهاد الأفغاني، في سبيل إرضاء السياسة الأمريكية، ولأصبح الجهاد في العراق أعظم من كل جهاد، والمحرضون عليه جهابذة العلماء، ليسوا خوارج ولا بغاة.

فسبحانك اللهم، سبحانك مقلب القلوب والأبصار، ثبت قلوبنا على دينك، وثبت عقولنا، ونجنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين " إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفرنا لنا وارحمنا وأنت غير الغافرين.

هذا وينبغي أن يعلم أن ما ينتشر هذه الأيام من إضافة شروط للجهاد، ما أنزل الله بها من سلطان، ولا دل عليها سنة ولا قرآن، سببه هذا الانهزام الذي يملأ أرجاء صدور المنهزمين في حالة الغثائية التي تعيشها الأمة المستوليّه عليها أمم الكفر، وأولياؤهم.

وإن تعجبْ فعجبٌ أن هؤلاء المنهزمين عكسوا الأمر الذي دلت عليه شريعة العزة، لتحصيل أسباب العزة، بينما أقامه أعداء الإسلام!

فالشريعة الإسلامية وضعت شروطا لمن يتولّى أمر المسلمين، وقيّدت سلطانه، وجعلته نائبا عن الأمة يقوم بأمرين أساسين:

أحدهما: إقامة الشرع في ديار الإسلام، إذ هو لم يُنصب إماما إلا لهذا الغرض العظيم، كما قال تعالى " الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة

وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر "، فذكر قيامهم بالدين في أنفسهم بالصلاة التي هي رأس العبادات البدنيّة، والزكاة التي هي رأس العبادات الماليّة، وإقامتهم للدين في بلادهم وأرضهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والثاني: حماية أرض المسلمين من دخول جيوش الكفار إليها، بإقامة الثغور وهي كلمة عامة تشمل امتلاك سلاح الردع الذي يخيف الكفار من الطمع في بلاد الإسلام، كما دل على ذلك قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)، وإقامة جهاد الطلب الذي يسمّيه الكفّار اليوم الحرب الوقائيّة، وتعني منع أي قوة تطلب الاستعلاء في الأرض غيرهم، لتبقى لهم الهيمنة على جميع الأمم.

هكذا قيّدت الشريعة منصب " ولي الأمر "، ولم تجعله بلا شروط كما هو لسان حال المفترين على الإسلام، هذه الأيام، فلمْ تجعله بحيث يكون كلّ من تسلّط على رقاب المسلمين، فله الحق المطلق أن يفعل ما شاء، وكلّ اعتراض عليه فتنة هي اشد من فتنة علو الكفار على بلاد الإسلام، فهذا من أبطل الباطل!!

بينما . من جهة أخرى . قد خففت الشريعة المطهّرة شروط الجهاد، تشوّفاً لمصالحه الكثيرة التي يثمرها، ولهذا أباحته مع كل بر وفاجر، حتى أباحت ما يذكر في مسالة التترس ونحوها مما يوسع فيه الفقهاء الباب مراعاة لتحقيق مصالح الجهاد العظيمة النفع على الأمة، وأباحت فيه الكذب، والخيلاء، ولبس الحرير، ومنعت إقامة الحدود في الجهاد، بينما كان منعها في غيره من أعظم الجرائم التي يرتكبها الإمام، بل هي سبب الهلاك، بل إقامتها على الضعيف دون الشريف هو سبب الهلاك كما

في الحديث " إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ".

كما جعلت الشريعة، جهاد الدفع بلا شروط أصلا، حتى إن المرأة لها أن تنفر فيه، وجعلت جهاد الطلب قائما لا يسقطه عدم قيام الإمام به كما سيأتي بيانه.

كل ذلك تحقيقا للقاعدة القرآنية العظيمة: (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم للتهلكة) ومعلوم أن معناها، أنفقوا أرواحكم وأموالكم في الجهاد، وإلا فسوف تكون الهلكة عليكم، كما دل على هذا المعنى الحق، نصوص كثيرة، والواقع، وسنن الله الكونية التي أقام عليها الحياة الدنيا.

أما هؤلاء المنهزمون، فقد عكسوا الأمر، فقد أزالوا كل الشروط التي وضعتها الشريعة لمن يتولى أمر المسلمين، وقيّدوا الجهاد بشروط ما أنزل الله بها من سلطان.

وبعد هذا، فلا يخفى أن ذلك إنما وقع منهم، بسبب داء الانهزامية الذي استولى عليهم، وتحت وطأة الشعور بهذا الرقّ العصري، رقّ الأنظمة المستبدة التي غدت تفرض على العالم والمفكّر، حتى ما ينطق به لسانه، وفق ما يطلبه أعداء الإسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بينما تجد الكفار الذين حلّوا ديار الإسلام غازين، واستباحوها مفسدين، وأعلنوا فيه الكفر المستبين، تجدهم قد أقاموا هذين الأمرين بما يحقق لهم الظهور والاستعلاء.

فقد وضعوا لمن يتولّى عليهم شروطا، تضمن تحققيه لمصالح شعوبهم، وقوة دولهم، فإن حاد عنها، استبدلوا غيره به.

أما حروبهم وأسباب قوتهم العسكريّة، فقد خففوا من شروطها، ليضمنوا تحقيقها لاستعلائهم، فإن عارضت حروبهم الأمم المتحدة المزعومة، نبذوها وراء ظهورهم، ومضوا في الحرب، وإن اقتضت حربهم إبادة الأبرياء، لم يلتفتوا إلى إهراق دماءهم ولو أهرقوها أنهارا تجري، كما فعلوا في العراق، وإن اقتضت أن يكذبوا كذبوا وزوّرا الحقائق، وإن اقتضت أن يمتلكوا السلاح النووي المدمّر، أو يملئوا الأرض من الإشعاعات المضرة، فلا يبالون بما تأتي به من دمار للبشرية.

ذلك أنهم يعلمون أن التفوق على الأمم، والعزة في الأرض، لا تأتي إلا بإقامة السلطان الذي تتوفر فيه شروط إقامة التفوق والعزّة، وبالقوة الضاربة التي تضمن ذلك.

فنسأل الله تعالى أن يرزقنا البصيرة في الدين، وأن يعيد لهذه الأمّة العظيمة، الوعي الصحيح بشريعتها التي تحمّلها مسؤوليّة عالمية، والعزيمة على القيام بواجبها العالمي. (اهـ)

العائق الرابع والعشرون/ الرضا بالواقع

يقول البعض لا فائدة من جهادِ مجموعةٍ صغيرةٍ أمام دول عظمى كأمريكا وروسيا ، وأن هذا يعد استنزافاً لمقدرات الأمة ورجالها في غير ما فائدة ، وقولهم هذا قريب من قول المنافقين عن شهداء أحد { الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }.

فإما أن نعيش بظل دين نعز به وبالدين الرشيد

وإما أن نموت ولا نبالي فلسنا نرتضي عيش العبيد

هناك مقولة عظيمة لسقراط حيث يقول: أريد أن أكون سقراطاً غير راض من أن أكون حيواناً راضياً .

ولا أنسى أن أذكركم أيها المجاهدون بقصة أصحاب الأخدود ، الذين أبيدوا حرقاً من أول وهلة فلم ير الغلام ولا من آمن بدعوته نتائج ولا ثمرات !! ومع ذلك قال الله عن مصيرهم : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ } سماه الله نصرا مع هذه الإبادة .

إنَّ القياس بالنتائج فحسب ليس من شأن المؤمنين الذين يعلمون أن النتائج بيد الله تعالى وما على العبد إلا أن يجتهد ويتحرى ومن ذلك الاستفادة والاعتبار من التجارب السابقة والمشاورة بين أهل الخبرة في ذلك ثم يعزم ويتوكل على الله تعالى كما قال سبحانه { وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين } [آل عمران: 159].

إن فتنة مسايرة الواقع والتأثر بما عليه الناس لتشتد حتى تكون سببا في الوقوع في الشرك الموجب للخلود في النار عياذا بالله تعالى ؛ وذلك كما هو الحال في شرك المشركين الأولين من قوم نوح وعاد وثمود والذين جاؤوا من بعدهم من مشركي العرب، فلقد ذكر لنا القرآن الكريم أنهم كانوا يحتجون على أنبيائهم عليهم السلام عندما واجهوهم بالحق ودعوهم إلى التوحيد وترك الشرك بأنهم لم يسمعوا بهذا في آبائهم الأولين، وكانوا يتواصون باتباع ما وجدوا عليه آباءهم ويحرض بعضهم بعضا بذلك ويثيرون نعرة الآباء والأجداد بينهم. وسجل الله عز وجل عن قوم نوح عليه الصلاة والسلام قولهم: { ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين }

وما الذي جعل أبا طالب عم الرسول ﷺ يموت على عقيدة عبد المطلب الشركية مع قناعته بأن محمدا ﷺ رسول الله والحق معه لولا الهوى ومسايرة ما عليه الآباء وخوفه من مصادمتهم وتضليلهم؟ نعوذ بالله تعالى من الخذلان.

والأصل في مسايرة الناس على ضلالهم وتنكبهم الحق هو الهوى المتغلب على النفوس بحيث يطمس البصيرة، حتى ترى المتبع لهواه يضحي بروحه في سبيل هواه وباطله وهو يعلم نهايته البائسة، ومن كانت هذه حاله فلا تنفعه المواعظ ولا الزواجر كما قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى : (فكذلك صاحب الهوى إذا ضل قلبه وأشرب حبه لا تعمل فيه الموعظة ولا يقبل البرهان ولا يكترث بمن خالفه).

والفتنة بمسايرة الواقع وما اعتاده الناس كثيرة في زماننا اليوم لا يسلم منها إلا من رحم الله عز وجل وجاهد نفسه مجاهدة كبيرة؛ لأن ضغط الفساد ومكر المفسدين وترويض الناس عليه ردحا من الزمان جعل القابض على دينه اليوم المستعصي على مسايرة الواقع في جهاد مرير مع نفسه ومع الناس كالقابض على الجمر، ولعل هذا

الزمان هو تأويل قول الرسول ﷺ: (يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر) .

وإن مما يعين العبد على هذه المشقة الشديدة والصبر العظيم هو عظم الأجر الذي يناله هذا القابض على دينه المستعصي على مسايرة الناس وضغط الواقع وما ألفه الناس، ويكفي في ذلك قوله ﷺ: (فإن من ورائكم أيام الصبر. الصبر فيه مثل قبض على الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وزادني غيره قال: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: أجر خمسين منكم) (فتنة مسايرة الواقع).

قال سيد قطب رحمه الله : (والنفس التي تستذل تَأْسن وتَتَعفّن وتُصبح مرتعاً لديدان الشهوات الهابطة والغرائز المريضة ومَيداناً للانحرافات مع انطماس البصيرة والإدراك وفُقدان الهمة والتطلع والارتفاع، وهو فساد أي فساد) (الظلال تفسير سورة الفجر).

العائق الخامس والعشرون / الخوف من الخلق

الخوف من المخلوق لا يقدم أجلاً ولا يؤخر رزقاً ، ولا يجلب نفعاً ولا يدفع ضراً ، فعلام الخوف ؟!

يقول ﷺ :" لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه؛ فإنه لا يقرب من أجلٍ ولا يُبعد من رزق ".

قال تعالى { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[آل عمران: 175]

قال ابن القيم رحمه الله: "ومتى شهد العبدُ أن ناصيتَه ونواصي العباد كلِّها بيد الله وحده يصرفهم كيف يشاء لم يخفهم بعد ذلك ولم يرجهم ولم ينزلهم منزلة المالكين، بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين، المتصرفُ فيهم سواهم، والمدبر لهم غيرُهم، فمن شهد نفسه بهذا المشهد صار فقرُهُ وضرورته إلى ربه وصفاً لازماً له، متى شهد الناسَ كذلك لم يفتقر إليهم، ولم يعلق أملَهُ ورجاءَهُ بهم، فاستقام توحيدُهُ وتوكلُهُ وعبوديتُهُ، ولهذا قال هود لقومه { إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.

وقال تعالى في سورة آل عمران (الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ {172} الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ {173} فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو

فَضْلٍ عَظِيمٍ {174} إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {175}).

إن الخوف من الناس لا يمكن أن يكون صفة من صفات المؤمنين؛ لأن الإيمان بطبيعته يُكسب الإنسان الجرأة في الحق والشجاعة فيه، يؤكد ذلك قوله تعالى: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء).

إن مما ينافي حقيقة التوكل : الخوف من المخلوق خوفاً يدفع إلى ترك ما يجب أو فعل ما يحرم، محاباة للمخلوق أو خوفاً من شره، ومثل ذلك يكون أيضاً في الطمع والرغبة ، فالطمع في نفع المخلوق أو الخوف من شرِّهِ إذا أدى إلى ضعف التعلق بالله (عز وجل) وضعف الثقة به (سبحانه)؛ فإن هذا يقدح في التوكل ، ويضعفه إن لم يذهبه، ومن تعلق بشيء وُكِلَ إليه، ومن وكل إلى غير الله (عز وجل) ضاع وهلك ، وخاب وخسر .. ومما يصلح التمثيل به في عصرنا اليوم على هذا الضعف: ما يعتري بعض الدعاة وهو في دعوته إلى الله (عز وجل) من خوف على نفسه أو رزقه أو منصبه ، الأمر الذي يؤدي ببعضهم إلى ترك ما هم عليه من تعليم للعلم أو دعوة إلى الله (عز وجل)، والإحجام عن مجالات الخير ونفع الناس، بحجة الحذر والبعد عن الفتن .. والله (سبحانه) أعلم بما في قلوب العالمين. ثم إنه لو كان يغلب على الظن حصول الأذى والابتلاء لكان لذلك بعض الوجه في الأخذ بالرخصة وترك العزيمة، أما وأن الأمر على العكس من ذلك؛ حيث يغلب على الظن عدم التعرض للأذى، فإنه لا تفسير لهذه المواقف إلا ضعف التوكل على الله (عز وجل)، والوسوسة الشديدة، والمبالغة في الخوف، والحذر الزائد من المخلوق الضعيف، وتهويل أمره، وهذا من كيد الشيطان ووسوسته، وكأننا لم نسمع ولم نعِ" اه .

ويقول الله تعالى { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }

يقول صاحب الظلال (رحمه الله تعالى) : " والشيطان صاحب مصلحة في أن ينتفش الباطل وأن يتضخم الشر ، وأن يتبدى قوياً قادراً قاهراً بطّاشاً جباراً ، لا تقف في وجهه معارضة ، ولا يصمد له مُدافِع ، ولا يغلبه غالب ، الشيطان صاحب مصلحة في أن يبدو الأمر هكذا ، فَتَحْت ستار الخوف والرهبة ، وفي ظل الإرهاب والبطش : يفعل أولياؤه في الأرض ما يقر عينه ، يقلبون المعروف منكراً ، والمنكر معروفا ، وينشرون الفساد والباطل والضلال ، ويُخفتون صوت الحق والرشد والعدل .. والشيطان ماكر خادع غادر يختفي وراء أوليائه ، وينشر الخوف منهم في صدور الذين لا يحتاطون لوسوسته ... ومن هنا : يكشفه الله ويوقفه عارياً ، لايستره ثوب من كيده ومكره ، ويُعرِّف المؤمنين الحقيقة : حقيقة مكره ووسوسته ؛ ليكونوا على حذر ، فلا يَرهبوا أولياء الشيطان ، ولا يخافوهم ، فهم وهو أضعف من أن يخافهم مؤمن يركن إلى ربه ويستند إلى قوته " ا هـ .

ويقول ابن تيمية رحمه الله كما في الفتاوى : "ولن يخاف الرجل غير الله إلاّ لمرض في قلبه ؛كما ذكروا أن رجلاً شكا إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة، فقال: لو صححت لم تخف أحداً . أي خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك ؛ ولهذا أوجب الله على عباده أن لا يخافوا حزب الشيطان ، بل لا يخافوا غيره تعالى، فَقَالَ: { إنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } أَيْ يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ . وَقَالَ لِعُمُومِ بَنِي إسْرَائِيلَ تَنْبِيهًا لَنَا: { وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ }. وَقَالَ: { فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ } وَقَالَ : { لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي } وَقَالَ تَعَالَى : { الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا

مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ } . وَقَالَ : { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ } وَقَالَ : { الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ } وَقَالَ : { أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ }"اهـ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَحْمَدُ ابْنُ تيمية قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ كما في الفتاوى :" وَمِمَّا يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَسُوغُ فِي الْعَقْلِ وَلَا الدِّينِ طَلَبُ رِضَا الْمَخْلُوقِينَ لِوَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا : أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُمْكِنٍ . كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [رِضَا] النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُدْرَكُ . فَعَلَيْك بِالْأَمْرِ الَّذِي يُصْلِحُك فَالْزَمْهُ وَدَعْ مَا سِوَاهُ وَلَا تُعَانِهِ . وَالثَّانِي : أَنَّا مَأْمُورُونَ بِأَنْ نَتَحَرَّى رِضَا اللَّهِ وَرَسُولِهِ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : { وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ } وَعَلَيْنَا أَنْ نَخَافَ اللَّهَ فَلَا نَخَافُ أَحَدًا إلَّا اللَّهَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } . وَقَالَ : { فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ } وَقَالَ : { فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } { وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ } . فَعَلَيْنَا أَنْ نَخَافَ اللَّهَ وَنَتَّقِيَهُ فِي النَّاسِ ، فَلَا نَظْلِمَهُمْ بِقُلُوبِنَا وَلَا جَوَارِحِنَا وَنُؤَدِّي إلَيْهِمْ حُقُوقَهُمْ بِقُلُوبِنَا وَجَوَارِحِنَا ، وَلَا نَخَافَهُمْ فِي اللَّهِ فَنَتْرُكَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ خِيفَةً مِنْهُمْ . وَمَنْ لَزِمَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ كَانَتْ الْعَاقِبَةُ لَهُ كَمَا كَتَبَتْ عَائِشَةُ إلَى مُعَاوِيَةَ : " أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّهُ مَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ وَعَادَ حَامِدُهُ مِنْ النَّاسِ ذَامًّا ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ " .

فَالْمُؤْمِنُ لَا تَكُونُ فِكْرَتُهُ وَقَصْدُهُ إلَّا رِضَا رَبِّهِ وَاجْتِنَابَ سَخَطِهِ وَالْعَاقِبَةُ لَهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ " اهـ .

العائق السادس والعشرون/ الهزيمة النفسية

الهزيمة النفسية داء عضال لم يتسلط على إنسان إلا أودى به، ولا على أمة إلا ساقها إلى الفناء.

وأمتنا اليوم لا تعاني من شيء كمعاناتها من آثار هذه الهزيمة التي دمرت معنوياتها، وحطّمت دوافعها، وأحبطت تطلعاتها، وأصابتها بالضعف والهوان؛ حيث ألقت بنفسها في أحضان عدوها، ومكّنته من كيانها، ودانت له بالتبعية والولاء التام، وانقادت له مستسلمة دون أي مقاومة تذكر، حيث تشعر بمرارة العجز والقهر واليأس، إلى درجة أنه قد زال لدى معظم المسلمين أية بارقة أمل في نهضة حضارية جديدة، أو مستقبل مشرق واعد، فتحقق للعدو ما أراد من السيطرة على كثير من أفراد هذه الأمة نفسياً ومن ثَم ثقافياً وسياسياً واقتصادياً وسلوكياً.

اليوم أصحاب هذا المرض يدعون لترك الجهاد بأقوالهم وأفعالهم ، بحجة عدم كفاية الإعداد، وبعدم تكافؤ العدد والعدة ، ليقوم العدو بعد ذلك بابتلاع ديار المسلمين بلداً بعد آخر، فلا بد من الدفع حسب الاستطاعة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «أما قتال الدفع عن الحرمة والدين فواجب إجماعاً؛ فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يُدفع بحسب الإمكان»)

قال سيد قطب في الظلال: " والمهزومون روحيا وعقليا ممن يكتبون عن «الجهاد في الإسلام» ليدفعوا عن الإسلام هذا «الاتهام!» ..

يخلطون بين منهج هذا الدين في النص على استنكار الإكراه على العقيدة ، وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه والتي تعبد الناس للناس وتمنعهم من العبودية لله .. وهما أمران لا علاقة بينهما ولا مجال للالتباس فيهما .. ومن أجل هذا التخليط – وقبل ذلك من أجل تلك الهزيمة! – يحاولون أن يحصروا الجهاد في الإسلام فيما يسمونه اليوم : «الحرب الدفاعية» " اه .

لقد كانت معركة أحد درساً في الحرب النفسية وكيفية التصدي لها، حيث أذاع المشركون بأن مُحَمَّداً – ﷺ – فقد قتل لإضعاف ما بقي لدى المسلمين من قوة بعد المعركة، وحقق كفار مكة ما أرادوا حين وقع قولهم في نفوس بعض المؤمنين موقع التصديق مما أثر في نفسياتهم وعزائمهم في القتال .

يقول مُحَمَّد جمال محفوظ: " إن ذلك كان بعد الهزيمة العسكرية التي وقعت بالمسلمين في أحد وهو ظرف يعتبره خبراء الحرب النفسية من أفضل الظروف الملائمة للحرب النفسية ".

وقال أيضاً : "فالحرب بالسلاح" تستطيع أن تدمر القوات والمعدات، و"الحرب الاقتصادية" تحرم الخصم من المواد الحيوية، أما "الحرب النفسية " فهي تستطيع ما هو أخطر وأعمق أثرا، إنها تجرده من أثمن ما لديه وهو "إرادته القتالية"، فهي تستهدف في المقاتل أو المواطن عقله وتفكيره وقلبه وعواطفه لكي تحطم روحه المعنوية وتقوده إلى الهزيمة، وهذا ما دعا القائد الألماني روميل إلى القول بأن « القائد الناجح هو الذي يسيطر عل عقول أعدائه قبل أبدانهم »، ودعا تشرتشل إلى أن يقول: « كثيرا ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ! ».. وقد بلغ من تأثير الحرب

النفسية أن كثيرا من الأمم -كما يروي التاريخ- استسلمت لأعدائها قبل أن تطلق جيوشها طلقة واحدة!!

ومن أعظم الدروس التي تستخلص من سنة رسول الله ﷺ في إدارته للصراع مع الأعداء أن "استخدام العامل النفسي في الصراع ضرورة حيوية لتحقيق الأهداف الاستراتيجية"، فمن بين ثماني وعشرين غزوة قادها عليه الصلاة والسلام بنفسه، نجد تسع عشرة غزوة حققت أهدافها بلا قتال، إذ فر الأعداء تحسبا لنتائج مواجهة قوة المسلمين " ا هـ .

لقد قرر النبي - ﷺ - التصدي للحرب النفسية التي عمل على نشرها كفار مكة فقرر ملاحقة كفار قريش وألا يخرج إلا من اشترك في معركة أحد فقال: " لا يخرج معنا إلا من شهد القتال " مع ما أصابهم من جراح تملأ أجسادهم إلى جانب النفوس الكسيرة والأحزان لفقد سبعين من إخوانهم وأحبابهم، ولكن الرسول - ﷺ - أراد أن يداوي هذه النفوس ويرفع معنوياتهم، ويرد إليهم هيبتهم، ويضعف من حلاوة النصر عند قريش وذلك بمطاردتهم إلى مكة، لقد قام الصحابة ملبين أمر رسول الله - ﷺ - لم يتخلف منهم واحد، وقامت الأمة من كبوتها في وقت قصير، وفر المشركون وتجنبوا القتال مع كثرة عددهم، ولعل الرسول - ﷺ - أراد ألا تمضي قريش وفي مشاعرها أخيلة النصر ومذاقاته، يشعرها أنها لم تنل من المسلمين منالاً، وأنه بقي من يتعقبها ويكر عليها، ويعلن أن هناك عقيدة هي كل شيء في نفوس أصحابها ويعيشون لها وحدها .

العائق السابع والعشرون/ الوهن

فسره ﷺ بقوله: (يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن فقال قائل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت).

حب الدنيا رأس كل خطيئة، وهو أصل التثاقل إلى الأرض، والانغماس في الشهوات والتشاغل بها عن المهمات. وكراهية الموت يورث طول الأمل، والقعود عن المكارم خشية المخاطر، والهمة لا تسكن قلبا جبانا:

حب السلامة يثني عزم صاحبه   عن المعالي ويغري المرء بالكسل

فإذا أحببت الدنيا وكرهت الموت

فدع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

قال السعدي رحمه الله : "يقول تعالى مشجعا لعباده المؤمنين ومقويا لعزائمهم ومنهضا لهممهم: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا}، أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم ولا تحزنوا في قلوبكم عندما أصابتكم المصيبة وابتليتم بهذه البلوى فإن الحزن في القلوب والوهن على الأبدان زيادة مصيبة عليكم وأعون لعدوكم عليكم بل شجعوا قلوبكم وصبروها وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم و قد ذكر تعالى أنه لا يليق

بهم الوهن والحزن وهم الأعلون في الإيمان ورجاء نصر الله وثوابه فالمؤمن المبتغي ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي له ذلك ولهذا قال تعالى: {وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}" ا هـ .

قال الدكتور مُحَّد الزحيلي: "ومن هذه الأمراض الفتاكة التي يشترك فيها الفرد والمجتمع، وتنذر الأمة بالويل والدمار مرض الوهن الذي بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعراضه وأسبابه، وحذر منه.

والوهن في اللغة العربية الضعف، سواء أكان ماديا أم معنويا، وسواء أكان في الفرد أم في المجتمع، من وهن يهن وهنا أي ضعف، ويقال وهن عظمه، واسم التفضيل أوهن، ويقال: وهن الرجل أي جبن عن لقاء عدوه، وهذا داخل في الضعف، وقد استعمل القرآن الكريم هذا المعنى في عدة آيات، فقال تعالى: « قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا » ، وقال تعالى: « فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله »، وقال تعالى: « ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون » ، أي لا تجبنوا، وقال تعالى: « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » ، وقال تعالى: « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن » ، وقال عز وجل: « وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت » .

ولكن الوهن المقصود في هذا المقال هو مرض عضال، ووباء عام بينه لنا رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة وثوبان قالا، قال رسول الله ﷺ: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها"، قيل: يا رسول الله: فمن قلة نحن يومئذ؟ قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء

كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن" فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا، وكراهية الموت".

وهكذا يكشف الرسول ﷺ أعراض الوهن الذي يبدأ من الفرد، وينتهي بالمجتمع، هذا المرض الذي يصيب الأمم والشعوب فيقضي على كيانها، ويهدم وجودها، ويسقط هيبتها، ويمحو أثرها، ويزلزل أركانها، ويحطم دعائمها، فتهوى من عليائها وكرامتها واستعلائها إلى أن تركع أمام الأمم الأخرى، وتستخذل أمام الشعوب المجاورة، وتصبح لقمة سائغة للطامعين فيها، بل يكثر الأكلة حولها، ويجتمعون على اقتسامها والقضاء عليها، كما يجتمع الجياع حول الطعام ليتناولوه، ويأخذوه، ويقتسموه، فلا يرفعون أيديهم عنه، وفي القصعة أثر لوجوده.

هذا المرض بأعراضه وأسبابه يصيب الدول في القديم والحديث، ويؤدي إلى سقوطها وانهيارها، وهو اليوم مقيم بين المسلمين، وقد حط بكلكله عليهم، ونزل بهم الوهن منذ أمد، وكأن الرسول ﷺ ينظر بعين الغيب (الذي يطلعه عليه الوحي) ويصور حال المسلمين، وقد تداعت عليهم الأمم الاستعمارية، والشعوب المعادية وتكالبت على أرضهم وبلادهم، وجزأت أوطانهم وديارهم، وسلبت نصيبا كبيرا وعزيزا من مقدساتهم، وتآمرت، ولا تزال تتآمر، عليهم في كل قطر وجانب، وتحيك لهم المؤامرة تلو المؤامرة للإطاحة بهم، وفرض الاستسلام عليهم، وضمان الاستذلال والاستسلام لهم، وتنوع عليهم أساليب الاستغلال والابتزاز لثرواتهم واقتصادهم، وتفرض عليهم الأفكار الخبيثة، والمبادئ البراقة، والقيم الدخيلة، والقوانين الوضعية، وتغزوهم فكريا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا في عقر دارهم، وتتقاسمهم النفوذ ومناطق السيطرة، وتتقاذفهم ذات اليمين وذات اليسار، وتحفر لهم الحفر ليسقطوا فيها، وترى القطر الواحد يوما مع الشرق ويوما مع الغرب، وتارة يستورد أفكاره وقيمه ومواده وأسلحته

من هنا، وتارة من هناك، والمسلمون اليوم في ضياع وتمزق، وتردد واضطراب، لا يعرفون ذاتا لأنفسهم، ولا يعلمون هوية لشخصيتهم، ويجهلون السفينة التي تحملهم، وهم نائمون عن الرياح التي تتقاذفهم، وقد تكسرت السواري، وسقطت الراية، وهم في بحر لجي، في ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرجوا أصابعهم لا يكادون يرونها من الحجب الكثيفة، والنظارات السوداء التي أحكم العدو ربطها على أعينهم، وشدد الخناق فيها على رقابهم، لكن أعدادهم كثيرة، وثرواتهم ضخمة، ومركزهم استراتيجي، وهم ملايين وملايين، ولكنهم غثاء كغثاء السيل، لا قيمة له، ولا يثبت على حال، ويقذفه السيل إلى الحضيض، ولذلك فقدوا هيبتهم، وطمع بهم القريب والبعيد، والقوى والضعيف، وسامهم الذل والهوان على أيدي عصابات صهيون، وجنود المرتزقة، وتسلط العملاء." ا هـ .

العائق الثامن والعشرون اليأس

اليأس من أكبر المعوقات وأشد المثبطات ، ينبغي أن يكون الواحد منا ذا نظرة واسعة متفائلة، وألا يتعجل النتائج، أو يسمحَ لليأس أن يتسلل إلى نفسه .

والبعض يرى ما عليه الباطل من صولة وجولة، وما عليه أهل الحق من ضعف وتخاذل ظن أن الباطل سيستمر، وأن الحق سيضمحل؛ فاليأس سم قاتل، وسجن مظلم، يُعَبِّسُ الوجه، ويصد النفس عن الخير، ولا يزال بالإنسان حتى يهلكه، أو ينغص عليه حياته.

أما المؤمن بالقدر فلا يعرف اليأس، ولا تراه إلا متفائلاً في جميع أحواله، منتظراً الفرج من ربه، عالماً بأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً.

قال سيد قطب رحمه الله :" فمن مسه الضر في فتنة من الفتن ، وفي ابتلاء من الابتلاءات ، فليثبت ولا يتزعزع ، وليستبق ثقته برحمة الله وعونه ، وقدرته على كشف الضراء ، وعلى العوض والجزاء.

فأما من يفقد ثقته في نصر الله في الدنيا والآخرة ويقنط من عون الله له في المحنة حين تشتد المحنة.

فدونه فليفعل بنفسه ما يشاء وليذهب بنفسه كل مذهب ، فما شيء من ذلك بمبدل ما به من البلاء:

«مَنْ كانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ ، فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّماءِ، ثُمَّ لْيَقْطَعْ، فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ»! وهو مشهد متحرك لغيظ النفس،

وللحركات المصاحبة لذلك الغيظ ، يجسم هذه الحالة التي يبلغ فيها الضيق بالنفس أقصاه، عندما ينزل بها الضر وهي على غير اتصال بالله.

والذي ييأس في الضر من عون الله يفقد كل نافذة مضيئة ، وكل نسمة رخية ، وكل رجاء في الفرج ، ويستبد به الضيق ، ويثقل على صدره الكرب ، فيزيد هذا كله من وقع الكرب والبلاء.

فمن كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بحبل إلى السماء يتعلق به أو يختنق. ثم ليقطع الحبل فيسقط أو ليقطع النفس فيختنق .. ثم لينظر هل ينقذه تدبيره ذاك مما يغيظه! ألا إنه لا سبيل إلى احتمال البلاء إلا بالرجاء في نصر الله. ولا سبيل إلى الفرج إلا بالتوجه إلى الله. ولا سبيل إلى الاستعلاء على الضر، والكفاح للخلاص إلا بالاستعانة بالله. وكل حركة يائسة لا ثمرة لها ولا نتيجة إلا زيادة الكرب، ومضاعفة الشعور به، والعجز عن دفعه بغير عون الله .. فليستبق المكروب تلك النافذة المضيئة التي تنسم عليه من روح الله" ا ه .

قال تعالى {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [يوسف: 110].

يقول سيد قطب رحمه الله :" إنها ساعات حرجة ، والباطل ينتفش ويطغى ويبطش ويغدر . والرسل ينتظرون الوعد فلا يتحقق لهم في هذه الأرض. فتهجس في خواطرهم الهواجس . . تراهم كذبوا ؟ ترى نفوسهم كذبتهم في رجاء النصر في هذه الحياة الدنيا ؟

وما يقف الرسول هذا الموقف إلا وقد بلغ الكرب والحرج والضيق فوق ما يطيقه بشر. وما قرأت هذه الآية والآية الأخرى { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم

مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه:متى نصر الله ؟} . . . ما قرأت هذه الآية أو تلك إلا وشعرت بقشعريرة من تصور الهول الذي يبلغ بالرسول هذا المبلغ ، ومن تصور الهول الكامن في هذه الهواجس ، والكرب المزلزل الذي يرج نفس الرسول هذه الرجة ، وحالته النفسية في مثل هذه اللحظات ، وما يحس به من ألم لا يطاق .

في هذه اللحظة التي يستحكم فيها الكرب، ويأخذ فيها الضيق بمخانق الرسل، ولا تبقى ذرة من الطاقة المدخرة . . في هذه اللحظة يجيء النصر كاملا حاسما فاصلا:

جاءهم نصرنا، فنجي من نشاء، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين .

تلك سنة الله في الدعوات . لا بد من الشدائد، ولا بد من الكروب، حتى لا تبقى بقية من جهد ولا بقية من طاقة . ثم يجيء النصر بعد اليأس من كل أسبابه الظاهرة التي يتعلق بها الناس . يجيء النصر من عند الله ، فينجو الذين يستحقون النجاة، ينجون من الهلاك الذي يأخذ المكذبين ، وينجون من البطش والعسف الذي يسلطه عليهم المتجبرون . ويحل بأس الله بالمجرمين، مدمرا ماحقا لا يقفون له، ولا يصده عنهم ولي ولا نصير .

ذلك كي لا يكون النصر رخيصا فتكون الدعوات هزلا . فلو كان النصر رخيصا لقام في كل يوم دعي بدعوة لا تكلفه شيئا . أو تكلفه القليل. ودعوات الحق لا يجوز أن تكون عبثا ولا لعبا. فإنما هي قواعد للحياة البشرية ومناهج، ينبغي صيانتها وحراستها من الأدعياء. والأدعياء لا يحتملون تكاليف الدعوة، لذلك يشفقون أن يدعوها ، فإذا ادعوها عجزوا عن حملها وطرحوها، وتبين الحق من الباطل على محك

الشدائد التي لا يصمد لها إلا الواثقون الصادقون؛ الذين لا يتخلون عن دعوة الله ، ولو ظنوا أن النصر لا يجيئهم في هذه الحياة !

إن الدعوة إلى الله ليست تجارة قصيرة الأجل؛ إما أن تربح ربحا معينا محددا في هذه الأرض، وإما أن يتخلى عنها أصحابها إلى تجارة أخرى أقرب ربحا وأيسر حصيلة! والذي ينهض بالدعوة إلى الله في المجتمعات الجاهلية - والمجتمعات الجاهلية هي التي تدين لغير الله بالطاعة والاتباع في أي زمان أو مكان - يجب أن يوطن نفسه على أنه لا يقوم برحلة مريحة، ولا يقوم بتجارة مادية قريبة الأجل ! إنما ينبغي له أن يستيقن أنه يواجه طواغيت يملكون القوة والمال ويملكون استخفاف الجماهير حتى ترى الأسود أبيض والأبيض أسود ! ويملكون تأليب هذه الجماهير ذاتها على أصحاب الدعوة إلى الله ، باستثارة شهواتها وتهديدها بأن أصحاب الدعوة إلى الله يريدون حرمانها من هذه الشهوات! . . ويجب أن يستيقنوا أن الدعوة إلى الله كثيرة التكاليف ، وأن الانضمام إليها في وجه المقاومة الجاهلية كثير التكاليف أيضا . وأنه من ثم لا تنضم إليها - في أول الأمر - الجماهير المستضعفة، إنما تنضم إليها الصفوة المختارة في الجيل كله، التي تؤثر حقيقة هذا الدين على الراحة والسلامة ، وعلى كل متاع هذه الحياة الدنيا. وأن عدد هذه الصفوة يكون دائما قليلا جدا .

ولكن الله يفتح بينهم وبين قومهم بالحق، بعد جهاد يطول أو يقصر . وعندئذ فقط تدخل الجماهير في دين الله أفواجا .

وفي قصة يوسف ألوان من الشدائد. في الجب وفي بيت العزيز وفي السجن. وألوان من الاستيئاس من نصرة الناس . . ثم كانت العاقبة خيرا للذين اتقوا - كما هو وعد الله الصادق الذي لا يخيب - وقصة يوسف نموذج من قصص المرسلين . فيها

عبرة لمن يعقل ، وفيها تصديق ما جاءت به الكتب المنزلة من قبل ، على غير صلة بين مُحَمَّد وهذه الكتب . فما كان يمكن أن يكون ما جاء به حديثا مفترى . فالأكاذيب لا يصدق بعضها بعضا ولا تحقق هداية ، ولا يستروح فيها القلب المؤمن الروح والرحمة " اه .

إن كان الذي أقعدك اليأس والملل، فلا تستسلم له، وستجد من شواهد الشريعة والواقع ما يبعث في نفسك الأمل، ويجدد النشاط، فهذا ربك سبحانه وتعالى يقسم بأن النصر لنا، وأن الأرض ميراثنا، {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ}، {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمْ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُم الْغَالِبُونَ}، ولقد سبقت كلمتنا التي لا مرد لها لعبادنا المرسلين أن لهم النصرة على أعدائهم بالحجة والقوة وأن جندنا المجاهدين في سبيلنا لهم الغالبون لأعدائهم في كل مقام باعتبار العاقبة والمآل.

وقد قال ﷺ: (لا يزال هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين).

وقال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر؛ يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله).

وقد قال ﷺ: (لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الشرك).

العائق التاسع والعشرون/التشاؤم

إذا رأى المسلم المحن والبلايا بهذه الكثرة، وغفل عن فقه أسرارها، أصيب بالانهزام النفسي وما يتبعه من التطير والتشاؤم.

قال أحد الكتاب : " يغيب عن بال المسلم طبيعة الصراع بين الحق والباطل، ويرى اليوم نشوة الباطل، وانتفاخه، وقوة صولجانه، وضعف الحق، وقلة أنصاره، وانزواءه، فيظنها سنة عامة مضت بها كل العصور، وستبقى كذلك إلى آخر الزمان، وحينئذ يبتلى بالتشاؤم.

ولعل هذا هو السر في اشتمال القرآن الكريم على قصص الماضين وما يحمله هذا القصص من عظات وعبر، بل ودعوته إلى التدبر والتفكر في هذا القصص ونتائجه، إذ يقول سبحانه: {لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب}، {فاقصص القصص لعلهم يتفكرون}، {قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين} " ا هـ .

أخبرنا الله سبحانه أن فرعون وقومه تطيروا بموسى عليه السلام ومن معه : [فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى من معه] . وقبل ذلك تشاءم قوم صالح بصالح عليه السلام [قالوا اطيرنا بك بمن معك] . وكذلك أصحاب القرية تطيروا برسل الله إليهم ف [قالوا إنا تطيرنا بكم] .

وكان الرد عليهم جميعاً : أن ما حل بهم من شر أو نقص في نفس أو مال، أو ما نزل بهم من عقوبة ما هو إلا من قِبَل أنفسهم بسبب كفرهم وعنادهم واستكبارهم ،

[ألا إنما طائرهم عند الله] وقال الرسل الثلاثة لأهل القرية : [طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون]

كان النبي ﷺ يعجبه الفأل، ويكره التشاؤم. رواه البخاري ومسلم.

يقول الإمام الحليمي صاحب المنهاج في شعب الإيمان: "وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال" ا هـ .

يقول الدكتور عزيز فريد: "المتشائم يتحمل بفعل اتجاهه التشاؤمي متاعب عدة، هي أشد وقعا على أعصابه من الكوارث والملمات التي قد تقع به" ا هـ

وهذه أمثلة من تلك المواقف:

هناك من (يبشر) بأنه لا فائدة من دعم العمل الجهادي في فلسطين؛ لأن ثمرة ذلك الجهاد مصيرها إلى الاختطاف بعد القطاف ، والشريعة لم تأمر بإضاعة المال أو بإلقاء النفس إلى التهلكة . ومن ثم فإن إضاعة الوقت والجهد مع قضية (خاسرة) فيه إضافة خسارة جديدة إلى العمل الإسلامي الذي لم يعد يتحمل خسائر أخرى !!

وهناك من يشكك أصلاً في وجود هذا العمل الجهادي المرشح للاختطاف على أساس أن الراية الآن ليست إسلامية خالصة ، وما دام الأمر كذلك ، (فلا يجوز) القتال تحت راية عِمِّية ! فلنبق مكاننا حتى ترتفع للجهاد راية حقيقية شرعية . ويأخذ بعض هؤلاء على عوام الفلسطينيين وجماهيرهم أنهم (حليقون) و(مسبلون) وقد يكونون (مدخنين) أو عصاة فاسقين.

وهناك من يقول : ما لكم ولأمور السياسة ؟ اتركوا أمرها للساسة ، وفوِّضوا الأمور لولاة الأمور من الرؤساء والزعماء في فلسطين وما حولها ؛ فهم أجدر بأن يخرجوا الأمة من الأزمة ويسيروا بها إلى بر الأمان ! وإلى أن يأتي هذا الأوان (فلا يحل لأحد أن يتكلم .. أن يتبرم ... أن يتعلم أو يعلِّم شيئاً يؤدي إلى (الخروج) على الإجماع العربي المنعقد على أسس متينة من (الشرعية) الدستورية الجاهلية !

وهناك من يفلسف القعود عن نصرة المستنصرين المستضعفين بأن الله أمرنا بالعدو الأقرب فالأقرب ، فعلى (المجاهدين) في الجزائر مثلاً أن يظلوا مشغولين بما هم فيه، ولا يشتتوا جهودهم أو جزءاً من جهودهم في معارك (فرعية) مع اليهود أو غيرهم ، وإذا كان الإسلاميون في بلدان أخرى قد أفرغوا الطاقات في ساحات خاسرة ، فهذا حسبهم ، ولنترك مواجهة اليهود للأجيال القادمة ! !

وهناك من يعزِّي نفسه بأن الراية الجهادية في فلسطين هي راية (حزبية) ولو كانت إسلامية ، ولأن هذا (الحزب) غير موضوع في قائمة المصالحة أو الحوار ، حالياً ولا مستقبلاً ، لشدة الخصومة، أو لعدم الثقة، أو لمواقف نفسية أو شخصية؛ فإن الانحراف إلى تأييد هذا العمل (الحزبي) هو انحراف عن « المنهج الصحيح » واعتراف بـ « المنهج المنحرف » وصواب خطه وسداد سياسته ، وهذا « الاعتراف» هو ما لن يكون أبداً ، ولو كانت الضحية فلسطين ، أو ما تبقى من فلسطين بشعبها وأرضها ومقدساتها ! (عبدالعزيز كامل)

علينا أن نجعل نصب أعيننا هذا الحديث من أجل أن يرفع عنا غبش التشاؤم وعن عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل، فقال: "يا عدي، هل رأيت الحيرة؟" قلت: لم أرها، وقد

أنبئت عليها، قال: "فإن طالت بك الحياة، لترين الظعينة ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله – قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيء الذين قد سعروا في البلاد – "ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى" قلت: كسرى بن هرمز قال: "كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله فلا يجد أحدا يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فيقولن: ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالا وولدا وأفضل عليك فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم" قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: "اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة، فبكلمة طيبة" قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم الحياة، لترون ما قال أبو القاسم ﷺ: "يخرج ملء كفه" رواه البخاري.

العائق الثلاثون/دناءة الهمة

حب الراحة وتجنب المشقة هو نفسه الدافع الذي حكاه القرآن عن المخلفين في سورة التوبة إذ يقول الله تعالى { فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ } [التوبة: 81].

قال سيد قطب رحمه الله في قوله تعالى:" «وَقالُوا: لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ» وهي قولة المسترخي الناعم الذي لا يصلح لشيء مما يصلح له الرجال.

إن هؤلاء لهم نموذج لضعف الهمة، وطراوة الإرادة وكثيرون هم الذين يشفقون من المتاعب، وينفرون من الجهد، ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم، ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز.

وهم يتساقطون إعياء خلف الصفوف الجادة الزاحفة العارفة بتكاليف الدعوات. ولكن هذه الصفوف تظل في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك، لأنها تدرك بفطرتها أن كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان، وأنه ألذ وأجمل من القعود والتخلف والراحة البليدة التي لا تليق بالرجال". اه .

وقال سيد رحمه الله أيضاً : "هؤلاء الذين آثروا الراحة على الجهد- في ساعة العسرة- وتخلفوا عن الركب في أول مرة. هؤلاء لا يصلحون لكفاح، ولا يُرجون لجهاد، ولا يجوز أن يؤخذوا بالسماحة والتغاضي، ولا أن يتاح لهم شرف الجهاد الذي تخلوا عنه راضين:

«فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ، فَقُلْ: لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا، إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِينَ» ..

إن الدعوات في حاجة إلى طبائع صلبة مستقيمة ثابتة مصممة تصمد في الكفاح الطويل الشاق. والصف الذي يتخلله الضعاف المسترخون لا يصمد لأنهم يخذلونه في ساعة الشدة فيشيعون فيه الخذلان والضعف والاضطراب. فالذين يضعفون ويتخلفون يجب نبذهم بعيداً عن الصف وقاية له من التخلخل والهزيمة. والتسامح مع الذين يتخلفون عن الصف في ساعة الشدة، ثم يعودون إليه في ساعة الرخاء، جناية على الصف كله، وعلى الدعوة التي يكافح في سبيلها كفاحة المرير" اه .

وقال أيضاً: "ولم يبعث فيهم (أي المنافقين) الهمة للخروج.

«وَقِيلَ: اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِينَ» ..

وتخلفوا مع العجائز والنساء والأطفال الذين لا يستطيعون الغزو، ولا ينبعثون للجهاد. فهذا مكانكم اللائق بالهمم الساقطة والقلوب المرتابة والنفوس الخاوية من اليقين.

وكان ذلك خيراً للدعوة وخيراً للمسلمين:

«لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلَّا خَبالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ، وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» ..

والقلوب الحائرة تبث الخور والضعف في الصفوف، والنفوس الخائنة خطر على الجيوش ولو خرج أولئك المنافقون ما زادوا المسلمين قوة بخروجهم بل لزادوهم اضطراباً وفوضى. ولأسرعوا بينهم بالوقيعة والفتنة والتفرقة والتخذيل. وفي المسلمين

من يسمع لهم في ذلك الحين. ولكن الله الذي يرعى دعوته ويكلأ رجالها المخلصين، كفى المؤمنين الفتنة، فترك المنافقين المتخاذلين قاعدين " اه .

قال يحيي بن معاذ : لو كانت الدنيا تبرًا يفنى، والآخرة خزفًا يبقى لكان ينبغي للعاقل إيثار الخزف الباقي على التبر الفاني؛ فكيف والدنيا خزف، والآخرة تبرٌ باقٍ؟.

الكسل والخمول: وهما منابت العجز، ولكنه عجز القادر على العمل المتراخي عنه، المتثاقل إلى سفاسف الأمور، المتخلف عن عظائمها.. ومثل هذا تراه دائما في ذيل الركب راضيا بأقبح الأعمال وأحقر الوظائف لقلة همته.. ولله در ابن الجوزي حين قال: "سفول همة الكساح أنزله في جب العذرة".

قال رجل لخالد بن صفوان: مالي إذا رأيتكم تذاكرون الأخبار، وتدارسون الآثار، وتناشدون الأشعار وقع عليَّ النوم؟ قال: لأنك حمار في مسلاخ إنسان.

قال المتنبي:

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

كم صَدق سيد قطب رحمة الله حينما قال: (والنفس التي تستذل تَأْسن وتَتَعفّن وتُصبح مرتعاً لديدان الشهوات الهابطة والغرائز المريضة ومَيداناً للانحرافات مع انطماس البصيرة والإدراك وفُقدان الهمة والتطلع والارتفاع، وهو فساد أي فساد) (الظلال تفسير سورة الفجر).

العائق الواحد والثلاثون/التسويف

هـذا مـرض خطـير، ومـن تلبيسـات إبلـيس بالنـاس أجمعـين؛ حيـث يسـوِّف علـيهم في كـل شـيء ويجعلهـم يؤجلـون كـل أعمـال الخـير إلى أجـل غـير مسـمى حـتى يفـاجَؤوا بنهاية الأجل ووقوع المحظور.

وقـد حـذر السـلف الصـالح مـن مغبـة التسـويف وحـاربوه؛ حيـث روي عـن عمـر قولـه: (القـوة في ألا تـؤخر عمـل اليـوم إلى الغـد) . وقـال سـهل بـن عبـد الله: (الجاهـل ميـت، والناسـي نائـم، والعاصـي سـكران، والمصـرُّ هالـك، والإصـرار هـو التسـويف، والتسـويف أن يقال: أتوب غداً، وهذا كيف يتوب غداً؛ وغداً لا يملكه) .

وقـد قيـل : مـن زرع شـجرة سـوف أنبتـت لـه نبتـة لعـل فيهـا ثمـر اسمـه ليـت يذوقـه الإنسان طعمه الخيبة والندامة .

التسـويف مـن الأمـراض والأعـراض الخطـيرة والكبـيرة الـتي تقعـد المسـلم عـن الجهـاد في سبيل الله .

عن أبي الجوزاء رحمه الله قال في قوله تعالى:{وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً}: قال:" تسويفا ".

وعن أبي إسحاق قال: قيل لرجل من عبد القيس: أوصِ، قال: احذروا سوف .

وعـن قتـادة عـن أبي الجلـد قـال: قـرأت في بعـض الكتـب: إنّ (سَـوْفَ) جنـدٌ مـن جندِ إبليس .

يوسـف بـن أسـباط قـال: كتـب إليّ محمّـد بـن سمـرة السّـائح بهـذه الرسـالة: " أي أخـي، إيّاك وتأمـيرَ التّسـويف علـى نفسـك، وإمكانـه مـن قلبـك؛ فإنّـه محـلّ الكَلـل، وموئـل

التّلف، بادر يا أخي فإنّك مبادر بك، وأسرع فإنّك مسروع بك، وجِدَّ فإنّ الأمر جِدّ، وتيقّظ من رقدتك، وانتبه من غفلتك .

وقال محمّد بن حفص القرشي عن أبيه قال: كتب رجل من الحكماء إلى أخ له شابّ: أمّا بعد، فإنّي رأيت أكثر من يموت الشّباب، وآية ذلك أنّ الشّيوخ قليل .

قال ابن القيم رحمه الله في فوائد قصة الثلاثة الذين خلفوا: " ومنها : أن الرجل إذا حضرت له فرصة القربة والطاعة فالحزم كل الحزم في انتهازها والمبادرة إليها والعجز في تأخيرها والتسويف بها ولا سيما إذا لم يثق بقدرته وتمكنه من أسباب تحصيلها فإن العزائم والهمم سريعة الانتقاض قلما ثبتت والله سبحانه يعاقب من فتح له بابا من الخير فلم ينتهزه بأن يحول بين قلبه وإرادته فلا يمكنه بعد من إرادته عقوبة له فمن لم يستجب لله ورسوله إذا دعاه حال بينه وبين قلبه وإرادته فلا يمكنه الاستجابة بعد ذلك قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه } وقد صرح الله سبحانه بهذا في قوله : { ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة } وقال تعالى : { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم } وقال : { وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون } وهو كثير في القرآن "اه. زاد المعاد .

ويقول في طريق الهجرتين: "فليس للعبد أنفع من قصر الأمل ولا أضر من التسويف وطول الأمل " ا هـ .

ويقول في مدارج السالكين: " ... السين وسوف وعسى ولعل فهي أضر شيء على العبد وهي شجرة ثمرها الخسران والندامات" ا هـ .

العائق الثاني والثلاثون/الهوى

صاحب الهوى لا يرى إلا الهوى، فإذا تكلم فبهوى، وإذا صمت فلهوى، وإذا فعل فلهوى، وإذا ترك فلهوى، ولأنه يعيش في محيط هواه الذي أضله وأعماه وأصمه ، والذي أسره وقيده، فإن الهوى يأسر صاحبه كما قال شيخ الإسلام رحمه الله "المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه" .

قال تعالى (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [الجاثية: 23].

وقال سبحانه (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً) [الفرقان: 43-44].

قد يصل إلى حد العبودية وقد أثر عن أحد السلف أنه قال : (والله الذي لا إله غيره ، ما تحت أديم السماء أخطر من هوى متبع) ، وقال أبو الدرداء (رضي الله عنه) : (إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعلمه وعمله، فإن كان عمله تبعاً لهواه فيومه يوم سوء، وإن كان عمله تبعاً لعلمه فيومه يوم صالح) .

قال ابن القيم في روضة المحبين: "إن التوحيد واتباع الهوى متضادّان، فإن الهوى صنم، ولكل عبد صنم في قلبه بحسب هواه، وإنما بعث الله رسله بكسر الأصنام وعبادته وحده لا شريك له، وليس مراد الله ـ سبحانه ـ كسر الأصنام المجسّدة وترك الأصنام التي في القلب، بل المراد كسرها من القلب أولاً" ا هـ .

وتأمّل قول الخليل لقومه {إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ} ، كيف تجده مطابقاً للتماثيل التي يهواها القلب ويعكف عليها ويعبدها من دون الله؟» .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ﷺ – قَالَ: (ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، فَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ: فَتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَوْلُ بِالْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالسُّخْطِ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتِ: فَهَوًى مُتَّبِعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَهِيَ أَشَدُّهُنَّ) .

وكذلك فقد حذّر السلف من اتباع الهوى ، ومن مجالسة أهل الأهواء ، وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلَمِيِّ، قَالَ: خَطَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ طُولُ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى ، فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيُضِلُّ عَنِ الْحَقِّ، أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ مُدْبِرَةً، وَالْآخِرَةُ مُقْبِلَةٌ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ " .

وقال ابن القيم في إعلام الموقعين : " وكل من له مُسْكَة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، وفي أمة إلا فسد أمرها أتم الفساد، فلا إله إلا الله كم نُفِيَ بهذه الآراء من حق، وأُثْبِت بها من باطل، وأُميت بها من هدي، وأُحيي بها من ضلالة؟" ا هـ .

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله : " وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا

يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه فليس قصده أن يكون الدّين كلّه لله، وأن تكون كلمة الله هي العلياء، بل قصده الحميّة لنفسه وطائفته أو الرّياء، ليعظّم هو ويثنى عليه، أو لغرض من الدّنيا فلم يكن لله غضبه، ولم يكن مجاهدا في سبيل الله، بل إنّ أصحاب الهوى يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهدا معذورا لا يغضب الله عليه، ويرضون عمّن يوافقهم، وإن كان جاهلا سيّء القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله، ويذمّوا من لم يذمّه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله " اه. منهاج السنة النبوية

إنَّ الهوانَ هو الهَوَى قُلِبَ اسْمُهُ   فإذا هَوِيتَ فقد لَقِيتَ هَوَانَا

وإذا هَويتَ فقد تعبَّدَكَ الهَوى   تَخْضَعْ لحبِّك كائنًا مَنْ كَانَا

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (من استحوذت عليه الشَّهوات انقطعت عنه مواد التوفيق).

وقال صفوان بن سليم رحمه الله: (ليأتينَّ على الناس زمان تكون همَّ أحدهم فيه بطنه، ودينه هواه).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإن أسْر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، فإن من استُعبِد بدنه واستُرِق وأُسِر، لا يبالي إذا كان قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص، وأما إذا كان القلب – الذي هو ملك الجسم – رقيقاً مستَعبَداً متيماً لغير الله، فهذا هو الذل والأسْر المحض، والعبودية الذليلة لما استُعبد القلبُ، وعبودية القلب وأسره هي

التي يترتب عليها الثواب والعقاب، فإن المسلم لو أسره كافرٌ أو استرقه فاجر بغير حق، لم يضره ذلك إذا كان قائماً بما يقدر عليه من الواجبات... أما من استعبد قلبه فصار عبداً لغير الله، فهذا يضره ذلك ولو كان في الظاهر ملك الناس، فالحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب " ا هـ . من كتاب العبودية .

العائق الثالث والثلاثون/الجاه والمنصب

قال ابنُ الورديُّ :

نصبُ المنصبِ أوهي جَلَدي   يا عنائي منْ مداراةِ السفَلْ

والمعنى : انَّ ضريبةَ المنصبِ غاليةٌ، إنها تأخذُ ماء الوَجْهِ، والصِّحِّة والراحةَ، وتقعدك عن الجهاد والتضحية، وقليلٌ مَنْ ينجو.

إن شهوة حب الرياسة والمنصب إحدى الشهوات التي استعبدت كثيراً من الناس وأحكمت على أفئدتهم، فصارت المناصب وما يتبعها من الشهرة والظهور مقصودهم ومرادهم ، فنتج عن هذه الشهوة القعود والتكاسل عن النفير في سبيل الله، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ) رواه الترمذي .

وأحسن من تكلم على هذا الحديث ابن رجب رحمه الله حيث قال : "فأخبر النبي ﷺ أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم، بل إما أن يكون مساوياً وإما أكثر، يشير أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل، كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل. فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا" .

ثم قال: "وأما حرص المرء على الشرف فهو أشد إهلاكاً من الحرص على المال؛ فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسة على الناس والعلو في الأرض أضر على

العبد من طلب المال، وضرره أعظم والزهد فيه أصعب؛ فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف" .

ثم ذكر رحمه الله أقسام الحرص على الشرف فقال: "والحرص على الشرف قسمان:

أحدها: طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال، وهذا خطر جداً، وهو في الغالب يمنع خير الآخرة وشرفها وكرامتها وعزها. قال الله تعالى {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} وقلّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فيوفق بل يوكَل إلى نفسه" .

ثم قال: "ومن دقيق آفات حب الشرف: طلب الولايات والحرص عليها، وهو باب غامض لا يعرفه إلا العلماء بالله العارفون به المحبون له...

القسم الثاني: طلب الشرف والعلو على الناس بالأمور الدينية كالعلم والعمل والزهد؛ فهذا أفحش من الأول، وأقبح وأشد فساداً وخطراً؛ فإن العلم والعمل والزهد إنما يُطلب به ما عند الله من الدرجات العلى والنعيم المقيم، والقربى منه والزلفى لديه " .

إن حب الرئاسة وطلبها لا ينفك عن مفاسد متعددة وشرور متنوعة، وقد أشار ابن رجب إلى بعضها بقوله: "إن حب المال والرئاسة والحرص عليهما يفسد دين المرء حتى لا يبقى منه إلا ما شاء الله... والنفس تحب الرفعة والعلو على أبناء جنسها، ومن هنا نشأ الكبر والحسد" .

ومما يؤكد خطر هذه الشهوة أن جنس بني آدم مولع بحب الرياسة والظهور، كما بيّنه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "إن الإنسان إذا اعتبر وتعرف نفسه والناس؛ رأى الواحد يريد نفسه أن تطاع وتعلو بحسب الإمكان، والنفوس مشحونة بحب

العلـو والرئاسـة بحسـب إمكانهـا، فتجـده يـوالي مـن يوافقـه علـى هـواه، ويعـادي مـن يخالفه في هواه، وإنما معبوده ما يهواه وما يريده" .

فبـالله عليـك مـا الـذي منع هرقـل مـن أن يسـلم وكـان قـد وقـع الإسـلام في قلبـه حيـث قـال لقومـه يا معشـر الـروم هـل لكـم في الفـلاح والرشـد وأن يثبـت ملككـم فتبـايعوا هـذا النـبي فحاصـوا حيصـة حمـر الـوحش إلى الأبـواب فوجـدوها قـد غلقـت فلمـا رأى هرقـل نفـرتهم وأيـس مـن الإيمـان قـال ردوهـم علـي وقـال إني قلـت مقـالتي آنفـا أختـبر بهـا شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه .

مع أنه لم يرد اختبارهم وإنما أراد عرض الإسلام عليهم لكنه خاف على عرشه .

مـا الـذي منـع أبا جهـل مـن الـدخول في الإسـلام إلا الخـوف علـى المنصـب والجـاه قـال المغيرة بن شعبة فيقول : أول مرة لقيت فيها رسول

الله ﷺ إني كنت أمشي مع أبي جهل في أحد أسوقة مكة ، فلقينا

رسول الله ﷺ فقال : هيه يا أبا الحكم ! أما آن لك أن تجيب داعي

الله ورسوله ؟ هلم إلى دعوة الله ! فقال أبو جهل : يا مُحَمَّد ! هل تريد أن نشهد أنك

قـد بلَّغـت ؟ فإنـك قـد بلَّغـت . والله ! لـو أعلـم أن الـذي معـك حـق مـا تبعتـه . قـال المغيرة : ثم مضى رسول الله ﷺ ومضيت مع أبي جهل ، فقال لي

أبـو جهـل : يا مغـيرة ! والله إني لأعلـم أن الـذي معـه الحـق . إنا تنافسـنا وعبـد منـاف الشـرف ، قـالوا : فينـا النـدوة ، قلنـا : نعـم . قـالوا : فينـا اللـواء ، قلنـا : نعـم . قـالوا : فينـا السـقاية . قلنـا : نعـم . ثم أطعمـوا فأطعمنـا ، وأعطـوا فأعطينـا ، حـتى إذا تحاكَّـت

الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ؛ فمن أين نأتي بهذه ؟ لا والله ! لا نؤمن به ولا نصدقه أبداً .

العائق الرابع والثلاثون/التغير السلمي

هل سمعتم على مرّ القرون وتتابع الأزمان، بلدا حررت وطرد الغزاة منها عبر مقاومة سلميّة، وهل هناك عزّ باستسلام وانهزام، مستحيل أن يكون فتحٌ بركونٍ إلى الدنيا وانشغال بزينتها وتمّتع بملذّاتها، هل خافنا الكفار وهابنا عبّاد الأوثان والصلبان بالسلمية ، بل إنهم قد تجرأوا على أمّة الإسلام، استباحوا أرضها وسماءها، واحتلوا بلدانها، نهبوا خيراتها، قتلوا أبناءها، وهتكوا عرض بعض نسائها، وشعار السلمية كما هو لم يحرك ساكنا ولا أسكن متحركاً .

هل نور الدين زنكي وصلاح الدين وقطز انتصروا وفتحوا الفتوحات بالسلمية، بل هؤلاء القادة لم يعيدوا مجداً بغير السيف .

السيف أصدق إنباءً من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعبِ

قال الدكتور أيمن حفظه الله :" لا تسعى الجماعة لتحقيق أهدافها عن طريق حملات العنف، وانما تسعى الجماعة لتغيير النظام عن طريق العمل الشامل، وما نقوم به من عمليات جهادية نهدف منه إلى أهداف معينة تهيء للتغيير الشامل الذي ننشده، مثل ردع النظام وتحطيم معنوياته ورفع معنويات الشباب المسلم.

فنحن نؤمن كما بينا في نشراتنا المختلفة؛ أن هذا النظام يجب تغييره شرعاً وإن أدى ذلك إلى قتاله، ولذا فنحن ملزمون شرعاً بقتاله.

ثم اننا قد حملنا السلاح بعد ان سدت كل أبواب التغيير السلمي منذ عقود في مصر، فالحركة الإسلامية في مصر تتلقى الضربات منذ عهد "النقراشي" حتى عهد "حسني مبارك" ا هـ .

وقال أيضاً :" فلن يرحل الأعداء عن ديارنا بالتودد والتوسل، ولن تتزحزح الطغمة الفاسدة المفسدة عن كراسيها – التي تعدها ليرثها أبناؤها – بغير قوة الجهاد، وكيف يتزحزحون بغير قوة الجهاد وهم الذين سدوا كل وسائل التغيير السلمي؟ بل وعاقبوا من يحاوله بالسجن والقتل والتعذيب والنفي؟ وهم الذين نكلوا بكل صوت شريف يتصدى لطغيانهم، وزوروا كل الانتخابات، وجندوا جيشاً من المنتسبين للعلم؛ يباركون فسادهم ويجرمون أي دعوة للتغيير والإصلاح، ويصمون أي داع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنه "خارجي مثير للفتنة"! وما الفتنة إلا ما يحامون عنه، وما رؤوسها إلا دافعو رواتبهم، وينشرون بين الأمة مذهب المرجئة.

روى ابن عساكر رحمه الله عن النضر بن شميل رحمه الله أنه قال: (دخلت على المأمون، فقال لي: كيف أصبحت يا نضر؟ قال: قلت: بخير يا أمير المؤمنين، قال: أتدري ما الإرجاء؟ قلت: دين يوافق الملوك يصيبون به من دنياهم وينقص من دينهم، قال لي: صدقت) " ا هـ .

ويقول سيد قطب رحمه الله: " والذين يسوقون النصوصَ القرآنية للاستشهاد بها على منهج هذا الدين في الجهاد، ولا يراعون هذه السمة يعني المرحلة التي مر عليها الجهاد ولا يدركون طبيعة المراحل التي مر بها هذا المنهج، وعلاقة النصوص المختلفة بكل مرحلة.. الذين يصنعون هذا يخلطون خلطاً شديداً، ويلبسون منهج هذا الدين لبساً مضللاً، ويحمّلون النصوص ما لا تحتمله من المبادئ والقواعد النهائية، ذلك

أنهم يعتبرون كل نص منها كما لو كان نصاً نهائياً، يمثل القواعد النهائية لهذا الدين، ويقولون وهم منهزمون روحياً وعقلياً تحت ضغط الواقع البائس: لذرار المسلمين الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان، إن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع، ويحسبون أنهم يسْدُون إلى هذا الدين جميلاً بتخليه عن منهجه " ا هـ .

العائق الخامس والثلاثون/سوء الظن

ذم الله في كتابه طائفة من الناس أساءت الظن به سبحانه ، وجعل سوء ظنهم من أبرز علامات نفاقهم وسوء طويتهم ، فقال عن المنافقين حين تركوا النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه في غزوة أحد {وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية }، وقال عن المنافقين والمشركين {الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء } .

فمن الناس من يسيء الظن بالله فيظن أن الطائفة الفلانية المجاهدة ربما تنتهي، أيام وتزول، ستنتهي كما انتهت الطائفة الفلانية .

قال ابن القيم رحمه الله في الزاد :" وَقَدْ فُسّرَ هَذَا الظّنّ الّذِي لَا يَلِيقُ بِاَللّهِ بِأَنّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ وَأَنّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلّ وَأَنّهُ يُسْلِمُهُ لِلْقَتْلِ وَقَدْ فُسّرَ بِظَنّهِمْ أَنّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَلَا حِكْمَةَ لَهُ فِيهِ فَفُسّرَ بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمّ أَمْرَ رَسُولِهِ وَيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلّهِ وَهَذَا هُوَ ظَنّ السّوْءِ الّذِي ظَنّهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي (سُورَةِ الْفَتْحِ حَيْثُ يَقُولُ { وَيُعَذّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظّانّينَ بِاللّهِ ظَنّ السّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السّوْءِ وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدّ لَهُمْ جَهَنّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } وَإِنّمَا كَانَ هَذَا ظَنّ السّوْءِ وَظَنّ الْجَاهِلِيّةِ الْمَنْسُوبَ إلَى أَهْلِ الْجَهْلِ وَظَنّ غَيْرِ الْحَقّ لِأَنّهُ ظَنّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا وَذَاتِهِ الْمُبَرّأَةِ مِنْ كُلّ عَيْبٍ وَسُوءٍ بِخِلَافِ مَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَتَفَرّدِهِ بِالرّبُوبِيّةِ وَالْإِلَهِيّهِ وَمَا يَلِيقُ بِوَعْدِهِ الصّادِقِ الّذِي لَا يُخْلِفُهُ وَبِكَلِمَتِهِ الّتِي سَبَقَتْ لِرُسُلِهِ أَنّهُ يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَخْذُلُهُمْ وَلِجُنْدِهِ بِأَنّهُمْ هُمْ الْغَالِبُونَ فَمَنْ

ظَـنّ بِأَنّـهُ لَا يَنْصُـرُ رَسُـولَهُ وَلَا يُـتِمّ أَمْـرَهُ وَلَا يُؤَيّـدُهُ وَيُؤَيّـدُ حِزْبَـهُ وَيُعْلِـيهِمْ وَيُظْفِـرُهُمْ بِأَعْدَائِـهِ وَيُظْهِـرُهُمْ عَلَـيْهِمْ وَأَنّـهُ لَا يَنْصُـرُ دِينَـهُ وَكِتَابَـهُ وَأَنّـهُ يُـدِيلُ الشّـرْكَ عَلَـى التّوْحِيـدِ وَالْبَاطِـلَ عَلَـى الْحَـقّ إدَالَـةً مُسْـتَقِرّةً يَضْـمَحِلّ مَعَهَـا التّوْحِيـدُ وَالْحَـقّ اضْـمِحْلَالًا لَا يَقُـومُ بَعْـدَهُ أَبَـدًا فَقَـدْ ظَـنّ بِاَللّهِ ظَـنّ السّـوْءِ وَنَسَـبَهُ إلَى خِـلَافِ مَـا يَلِيـقُ بِكَمَالِـهِ وَجَلَالِـهِ وَصِـفَاتِهِ وَنُعُوتِـهِ فَـإِنّ حَمْـدَهُ وَعِزّتَـهُ وَحِكْمَتَـهُ وَإِلَهِيّتَـهُ تَأْبَى ذَلِـكَ وَتَأْبَى أَنْ يُـذَلّ حِزْبُـهُ وَجُنْـدُهُ وَأَنْ تَكُـونَ النّصْـرَةُ الْمُسْـتَقِرّةُ وَالظّفَـرُ الـدّائِمُ لِأَعْدَائِـهِ الْمُشْـرِكِينَ بِـهِ الْعَـادِلِينَ بِـهِ فَمَـنْ ظَـنّ بِـهِ ذَلِـكَ فَمَـا عَرَفَـهُ وَلَا عَـرَفَ أَسْمَـاءَهُ وَلَا عَـرَفَ صِـفَاتِهِ وَكَمَالَـهُ وَكَـذَلِكَ مَـنْ أَنْكَـرَ أَنْ يَكُـونَ ذَلِـكَ بِقَضَـائِهِ وَقَـدَرِهِ فَمَـا عَرَفَـهُ وَلَا عَـرَفَ رُبُوبِيّتَـهُ وَمُلْكَـهُ وَعَظَمَتَـهُ وَكَـذَلِكَ مَـنْ أَنْكَـرَ أَنْ يَكُـونَ قَـدّرَ مَـا قَـدّرَهُ مِـنْ ذَلِـكَ وَغَـيْرِهِ لِحِكْمَـةٍ صَـدَرَ عَـنْ مَشِـيئَةٍ مُجَـرّدَةٍ عَـنْ حِكْمَـةٍ وَغَايَـةٍ مَطْلُوبَـةٍ هِـيَ أَحَـبّ إلَيْـهِ مِـنْ فَوْتِهَـا وَأَنّ تِلْـكَ الْأَسْـبَابَ الْمَكْرُوهَـةَ الْمُفْضِـيَةَ إلَيْهَـا لَا يَخْـرُجُ تَقْـدِيرُهَا عَـنْ الْحِكْمَـةِ لِإِفْضَـائِهَا إلَى مَـا يُحِـبّ وَإِنْ كَانَـتْ مَكْرُوهَـةً لَـهُ فَمَـا قَـدّرَهَا سُـدًى وَلَا أَنْشَـأَهَا عَبَثًـا وَلَا خَلَقَهَـا بَاطِـلًا { ذَلِـكَ ظَـنّ الّـذِينَ كَفَـرُوا فَوَيْـلٌ لِلّـذِينَ كَفَـرُوا مِـنَ النّـارِ } وَأَكْثَـرُ النّـاسِ يَظُنّـونَ بِاَللّهِ غَيْـرَ الْحَـقّ ظَـنّ السّـوْءِ فِيمَـا يَخْـتَصّ بِهِـمْ وَفِيمَـا يَفْعَلُـهُ بِغَـيْرِهِمْ وَلَا يَسْـلَمُ عَـنْ ذَلِـكَ إلّا مَـنْ عَـرَفَ اللّهَ وَعَـرَفَ أَسْمَـاءَهُ وَصِـفَاتِهِ وَعَـرَفَ مُوجِـبَ حَمْـدِهِ وَحِكْمَتِـهِ فَمَـنْ قَـنَطَ مِـنْ رَحْمَتِـهِ وَأَيِـسَ مِـنْ رُوحِـهِ فَقَـدْ ظَـنّ بِـهِ ظَـنّ السّـوْءِ . وَمَـنْ جَـوّزَ عَلَيْـهِ أَنْ يُعَـذّبَ أَوْلِيَـاءَهُ مَـعَ إحْسَـانِهِمْ وَإِخْلَاصِـهِمْ وَيُسَـوّيَ بَيْـنَهُمْ وَبَـيْنَ أَعْدَائِـهِ فَقَـدْ ظَـنّ بِـهِ ظَـنّ السّـوْءِ . وَمَـنْ ظَـنّ بِـهِ أَنْ يَتْـرُكَ خَلْقَـهُ سُـدًى مُعَطّلِـينَ عَـنْ الْأَمْـرِ وَالنّهْـيِ وَلَا يُرْسِـلَ إلَـيْهِمْ رُسُـلَهُ وَلَا يُنْـزِلَ عَلَـيْهِمْ كُتُبَـهُ بَـلْ يَتْـرُكُهُمْ هَمَـلًا كَالْأَنْعَـامِ فَقَـدْ ظَـنّ بِـهِ ظَـنّ السّـوْءِ . وَمَـنْ ظَـنّ أَنّـهُ لَـنْ يَجْمَـعَ عَبِيـدَهُ بَعْـدَ مَـوْتِهِمْ لِلثّـوَابِ وَالْعِقَـابِ فِي دَارٍ يُجَـازِي الْمُحْسِـنَ فِيهَـا بِإِحْسَـانِهِ وَالْمُسِـيءَ

بِإِسَـاءَتِهِ وَيُبَـيِّنَ لِخَلْقِـهِ حَقِيقَـةَ مَـا اخْتَلَفُـوا فِيـهِ وَيُظْهِـرَ لِلْعَـالَمِينَ كُلِّهِـمْ صِـدْقَهُ وَصِـدْقَ رُسُلِهِ وَأَنَّ أَعْدَاءَهُ كَانُوا هُمْ الْكَاذِبِينَ فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ " ا هـ .

العائق السادس والثلاثون/لم يأخذوا حظهم المطلوب من التربية

ومن الأعذار الباطلة، القول بأن القائمين على أمر الجهاد ليسوا على المستوى الخلقي والتربوي والشرعي المطلوب، وبالتالي لا يجوز العمل معهم!، وهذه شبهة وجوابها أنه لو أن أمير الجهاد رجل فاجر وكذلك كثير من أتباعه، لكنهم يسعون لقتال الكافرين، فالواجب شرعا العمل معهم ومعاونتهم، وهذا أصل مقرر عند أهل السنة والجماعة، وسأشير إليه بالتفصيل في الباب الثالث، وأذكر هنا بعض ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المسألة قال: [ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لاخلاق لهم، كما أخبر النبي ﷺ، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع عسكر كثير الفجور، فأنه لابد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة، وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه] ا هـ .

ومن المعلوم؛ أن العدالة ليست من شروط وجوب الجهاد، وأنه يجوز للفاسق أن يخرج للجهاد إذا كانت منفعته للجهاد أعظم من مفسدة قعوده ، وقد ورد في النصوص الشرعية؛ أن الشهادة تكفِّر الذنوب، فإذا كان لا يخرج للجهاد إلا من أكمل التربية الإيمانية وخلا من المعاصي والمخالفات؛ فأي شيء تكفره الشهادة إذن؟ ولولا الإطالة لذكرنا بعضاً من هذه النصوص، وحسبنا أنها معلومة مشهورة.

هذا، ولا يعيب طائفة من المجاهدين أن يكون بين صفوفهم بعض العصاة، إنما الذي يعيبها أن تقرهم على المعصية ولا تأخذهم بطاعة الله تعالى أمراً ونهياً، وقد كان المنافقون يخرجون مع النبي ﷺ في الغزو.

والمقصود من هذا؛ أنه إذا وجد بعض العصاة في طائفة مجاهدة قائمة بأمر الله، فإن هذا ليس بمبرر لترك الجهاد معها.

وقد اتفق العلماء على الجهاد مع البر والفاجر، وأن ذلك خير من ترك الجهاد جملة والذي يؤدي إلى استئصال شأفة الإسلام وضياع شريعته وذل أهله.

ولذلك فقد قال ابن تيمية رحمه الله: (فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب، كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه؛ خيراً من العكس) اهـ.

وقال الشاطبي رحمه الله مؤصلا هذه المسألة: (وكذلك الجهاد مع ولاة الجور، قال العلماء بجوازه، قال مالك: "لو ترك ذلك لكان ضرراً على المسلمين"، فالجهاد ضروري، والوالي فيه ضروري، والعدالة فيه مكملة للضروري، والمكمل إذا عاد للأصل بالإبطال؛ لم يعتبر) اهـ.

وقد أنكر ابن حزم رحمه الله على من يقول بتأجيل القيام بالجهاد بسبب فسق بعض المجاهدين، فقال رحمه الله: (ولا إثم بعد الكفر أعظم من إثم من نهى عن جهاد الكفار وأمر بإسلام حريم المسلمين إليهم، من أجل فسق رجل مسلم لا يُحاسب غيره بفسقه) اهـ.

وفي وجوب الجهاد مع كل مسلم مهما كان حاله، قال ابن حزم رحمه الله: (وأما الجهاد؛ فهو واجب مع كل إمام وكل متغلب وكل باغ وكل محارب من المسلمين،

لأنـه تعـاون علـى الـبر والتقـوى، وفـرض علـى كـل أحـد دعـا إلى الله تعـالى وإلى ديـن الإسـلام ومنـع المسـلمين ممـن أرادهـم، قـال تعـالى {فَـاقْتُلُواْ الْمُشْـرِكِينَ حَيْـثُ وَجَـدتُّمُوهُمْ وَخُـذُوهُمْ وَاحْصُـرُوهُمْ وَاقْعُـدُواْ لَهُـمْ كُـلَّ مَرْصَـدٍ... الآيـة}، فهـذا عمـوم لكـل مسـلم بنص الآية في كل مكان وكل زمان، وبالله تعالى التوفيق) اهـ.

قـال ابـن تيميـة أيضـا في كـلام جـامع عـن هـذه المسـألة – وذلـك في كلامـه عـن قتـال التتـار –: "فـإن اتفـق مـن يقـاتلهم علـى الوجـه الكامـل فهـو الغايـة في رضـوان الله وإعـزاز كلمتـه ولإقامـة دينـه وطاعـة رسـوله ﷺ، وإن كـان فـيهم مـن فيـه فجـور وفسـاد نيـة بأن يكـون يقاتـل علـى الرياسـة أو يتعـدى علـيهم في بعـض الأمـور، وكانـت مفسـدة تـرك قتـالهم أعظـم علـى الـدين مـن مفسـدة قتـالهم علـى هـذا الوجـه، كـان الواجـب أيضـا قتـالهم دفعـاً لأعظـم المفسـدتين بالتـزام أدناهمـا، فـإن هـذا مـن أصـول الإسـلام الـتي ينبغـي مراعاتها، ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر...).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل.

ولهـذا كـان عمـر بـن الخطـاب ﷺ يقـول: "اللهـم إني أشـكو إليـك جلـد الفـاجر وعجـز الثقة"، فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها...).

إلى أن قـال رحمـه الله: (فيقـدم في إمـارة الحـرب الرجـل القـوي الشـجاع – وإن كـان فيـه فجور – على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أميناً.

كمـا سُـئِل الإمـام أحمـد عـن الـرجلين يكـونان أمـيرين في الغـزو، وأحـدهما قـوي فـاجر والآخـر صـالح ضـعيف، مـع أيهمـا يُغـزى؟ فقـال: "أمـا الفـاجر القـوي فقوتـه للمسـلمين، وفجـوره علـى نفسـه، وأمـا الصـالح الضـعيف فصـلاحه لنفسـه وضـعفه علـى المسـلمين، فيغزى مع القوي الفاجر".

وقد قال النبي ﷺ: "إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"، وروي: "بأقوام لا خلاق لهم").

وإن لم يكن فاجراً؛ كان أولى بإمارة الحرب ممن هو أصلح منه في الدين، إذا لم يسد مسده)) اهـ.

يقول الشيخ مُحَّد أمين المصري : (ثم إن تزكية النفوس وتربية الإخلاص في العمل يجب أن تتم في حقل الجماعة الإسلامية وفي ميادين الجهاد وهكذا كانت تربية المسلمين الأولين.. عاش المسلمون في غزوة الأحزاب ثلاثين يوماً والعدو محيط بالمدينة من أطرافها وليل الصحابة كنهارهم حذر مستمر وسهر دائم والمسلمون يعانون من الخوف والجوع والعدو ما يعانون ، وهنالك في مثل هذا الجو المحاط بالرهبة المطبقة الذي تسلم فيه النفوس إلى بارئها وتفوض الأمور إلى مدبرها وتتيقظ الضمائر وتستيقظ العزائم ، يجد المؤمنون العون مصاحباً لا يفارق في الحركات والسكنات ، وفي هذا الجو الخاشع المخيف تتجلى معاني الإقدام في سبيل الله وتتضاعف قوة الإيمان وتمحص القلوب ، يتم كل هذا بما لا يمكن أن يتم مثله – بل جزء يسير منه – في مئات السنين في العزلة وفي أعماق الزوايا.

إن روح الإيثار تبدو في ساعات الشدة ، والمعاني الرفيعة تغرس في القلوب في الساعات التي تتعرض فيها الجماعات للأخطار ، والموت مخيم على الجميع بظله الرهيب.

وروح الصبر على الشدائد والجلد على المكاره ، وروح الثقة بالله والإيمان به والإخلاص له وانتظار فرجه ، وروح التعاون والتآزر ، كل هذه تبرز في ساحات الجهاد وفي صفوف المؤمنين الذين يقدمون أرواحهم خالصة لوجه الله.. وحياة

القتال تلك الحياة التي يقدم المؤمن فيها المعاني الطيبة فيسهل الإيثار وتسقط الأنانية وتذهب الأثرة ، أما الدعوى مجاهدة النفس في حالات الرخاء والأمن والدعة فهي مشوبة بكثير من المغالطات..) (كتاب " سبيل الدعوة الإسلامية).

العائق السابع والثلاثون/ فشل بعض الجماعات الجهادية

الفشل هو الخطوة الأولى نحو النجاح في طريق الجهاد وليس نهاية الطريق بل هو البداية دائما. أعلم أن الفشل هو نعمة وحالة إذا لم تمر بها الجماعات المجاهدة لا يمكن أن تنجح وتكتشف أخطاء نفسها.

عند فشل أي تجربة جهادية معاصرة .. العدل يقضي منا حينئذٍ أن نتهم أنفسنا .. وأن ننظر في أسباب الفشل .. وجوانب التقصير التي هي من عند أنفسنا الأمارة بالسوء .. لاستدراكها وتفاديها في حال استُؤنِف العمل من جديد، كما قال تعالى { وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ }

وقال تعالى { أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران:165].

هذا الذي يقتضيه الحق .. وهذا الذي يقتضيه الإنصاف .. أما أن نغض الطرف عن ذلك كله .. وننزه أنفسنا عن التقصير والخطأ .. ومن ثم نسيء الظن بالله .. ونوجه سهام النقد على الحكم الشرعي ذاته؛ الذي هو حكم الله .. فنقول: مبدأ الخروج على أنظمة الكفر والظلم والردة خطأ وفاشل .. لا ينجح .. ولا يُمكن أن يأتي بنتائج إيجابية ومُرضية .. لأنه قتال داخلي .. ولسلطات داخلية .. فهذا أولاً ظلم للحكم الشرعي .. وثانياً هروب من تحمل المسؤولية والنتائج .. والنقد الذاتي لمرارته!

لئِن نتهم أنفسنا ألف مرة .. ونراجعها ألف مرة .. خير من أن نتهم الحقَّ ولو لمرة واحدة! (أبو بصير).

قال الشيخ مُحَّد عبدالسلام فرج رحمه الله في كتابه الجهاد الفريضة الغائبة : " هناك من قال بأننا نخش أن نقيم الدولة ثم بعد يوم أو يومين يحدث رد فعل مضاد يقضي على كل ما أنجزناه .والرد على ذلك هو أن إقامة الدولة الإسلامية هو تنفيذ لأمر الله ولسنا مطالبون بالنتائج والذي يتشدق بهذا القول الذي لا فائدة من ورائه إلا تثبيط المسلمين عن تأدية واجبهم الشرعي بإقامة شرع الله وقد نسي أنه بمجرد سقوط الحكم الكافر فكل شيء سوف يصبح بأيدي المسلمين بما يستحيل معه سقوط الدولة المسلمة ثم أن قوانين الإسلام ليست قاصرة ولا ضعيفة عن إخضاع كل مفسد في الأرض خارج عن أمر الله .. وبالإضافة إلى ذلك فإن قوانين الله كلها عدل لن تجد سوى كل ترحاب حتى ممن لا يعرف الإسلام ولتوضيح موقف المنافقين في عدائهم للمسلمين ، يطمئن الذين يخشون الفشل بقول المولى في سورة الحشر(11ـ12) (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ) [الحشر: 11-12].

وهذا وعد الله فإنهم (المنافقون) إذا رأوا القوة في صف الإسلام سوف يعودون مذعنين فلا تنخدع لهذه الاصوات فإنها سرعان ما تخمد وتنطفئ ، وموقف المنافقين سوف يكون موقف كل أعداء الإسلام ويقول الله تعالى (إن تنصروا الله ينصركم)" ا هـ .

العائق الثامن والثلاثون/شبهة هذه فتنة

قال الله تعالى {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ} ، وقال تعالى {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ} . فيجب دفع المفسدة العظمى (فتنة الكفر والردة) بتحمل المفسدة الأخف (وهو ما يترتب على الجهاد من قتل وغيره) وهذا هو المقرر في القواعد الفقهية الخاصة بدفع الضرر، كقاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) وقاعدة (يُتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام) وقاعدة (الضرر الأشد يُزال بالضرر الأخف) وقاعدة (إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضررا) وقاعدة (يُختار أهون الشرين) وغيرها .

وقال ابن تيمية رحمه الله: " وذلك أن الله تعالى أباح من قتل النفوس ما يُحتاج إليه في صلاح الخلق، كما قال تعالى: {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنْ الْقَتْلِ} أي أن القتل وإن كان فيه شر وفساد ففي فتنة الكفار من الشر والفساد ما هو أكبر منه" ا هـ .

ألا ترون إلى ما يجري للمسلمين في كثير من البلدان؟ تستباح دماؤهم وأموالهم بأحكام الكفر، مع إشاعة الفجور والفواحش والتجهيل المعتمد بالدين والاستهزاء بالإسلام وأهله، ليشب النشئ على صلة باهتة بدينه، أي فتنة أعظم من هذا، وماذا بقي للمسلمين؟ قال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}. (العمدة في إعداد العدة).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " لما كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله من الابتلاء والمحن ما يعرض به المرء للفتنة: صار في الناس من يتعلل لترك ما وجب عليه من ذلك بأنه يطلب السلامة من الفتنة، كما قال عن المنافقين: {ومنهم من يقول: ائذن لي ولا تفتني ! ألا في الفتنة سقطوا} " ا هـ .

وقال أيضاً : " الله يقول: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله}. فمن ترك القتال الذي أمر الله به لئلا تكون فتنة: فهو في الفتنة ساقط بما وقع فيه من ريب قلبه ومرض فؤاده، وتركه ما أمر الله به من الجهاد " ا هـ .

قال الإمام الطبري كما في فتح الباري (لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرَبُ منه بلزوم المنازل وكسر السيوف، لَمَا أُقيم حدٌّ ولا أُبطل باطل، ولَوَجَدَ أهل الفسوق سبيلا إلى ارتكاب المحرمات، من أخذ الأموال وسفك الدّماء وسَبْيِ الحريم، بأَنْ يحاربوهم ويَكُفَّ المسلمين أيديهم عنهم، بأَنْ يقولوا هذه فتنة وقد نُهينا عن القتال فيها، وهذا مخالف للأمر بالأخذ على أيدي السفهاء). اهـ

العائق التاسع والثلاثون/حتى لا يصنف إرهابي

أصبحت النفوس ضعيفة ميتة، يخاف الواحد من خياله ، يخاف من أن يوصف بالإرهاب وأن يشرد ويلاحق ويطارد من مكان إلى أخر، لاسيما مع ضعف الإيمان والخور.

" نحن أمة لا تعرف الخور ولا الضعف، نحن أمة نتبع منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان في أحلك ظروفه وأسوأ أحواله ضعفاً وكفار قريش يكيلون له الشتائم والسباب وينالون منه ويأتي أحدهم ليخنقه والآخر ليضع على ظهره سلى الجزور، لم يكن هذا أبداً ليؤثر على رسول الله ﷺ، بل قال لهم في فور قوتهم وتسلطهم عليه قال لهم (يا معشر قريش أما والذي نفس مُحَمَّد بيده لقد جئتكم بالذبح)، نعم هكذا ربى رسول الله ﷺ أمته، ربانا ألا نذل ولا نستكين، ربانا على العزة والشموخ في زمن الانكسار، نحن أمة لا يهمها الصدمات ولا تثنيها المصائب عما تريد، إننا نريد العزة مهما كان ثمنها، كل مصاب على طريق العزة فهو في سبيل الله ولن يزيدنا إلا إصراراً، إن من أصيب بالضعف والخور لما حققه الصليبيون في بغداد، إما أن يكون داخلاً تحت قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ)، أو يكون رجلاً يعمل لمبادئ وضعية دنيوية يدافع عن حزب أو حكومة فلما ولت الحكومة واندثر الحزب أصيب بالإحباط، ولكن المسلم ينبغي ألا تزيده الشدائد إلا قوة وإصراراً على نصرة هذا الدين، ولو أن أهل الدين انتصروا ولم تلحق بهم الهزائم لما تميز الخبيث من الطيب، فهناك قوم من أهل النفاق إذا رأوا النصر قالوا (إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ)، ولكن لابد من

الهزائم والشدائد ليميز الله الخبيث من الطيب، ويظهر من في قلبه مرض، وكان الله قادراً على نصر محمد ﷺ وعدم تعريضه للشدائد، ولكن كيف سيميز الخبثاء، كيف سيعرف الناس من هو المنافق إلا بهزيمة كأحد، وكيف سيعرف الناس أهل الدغل إلا بشدة كالأحزاب ". (العبيري).

إرهاب أعداء الله من أعظم الفرائض عند المسلمين ،وتشريدهم والقعود لهم في كل مرصد من أوجب واجبات الإسلام ، وبعث الرعب فيهم من أخص خصائص المصطفى وسننه ﷺ ..

قال تعالى {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} [الأنفال: 60].

وقال سبحانه: { فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأنفال: 57]. وقال عز من قائل { فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ }[التوبة: 5].

وقال عز وجل {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ}[الأنفال: 12].

وفي الحديث الصحيح : (نصرت بالرعب مسيرة شهر).

العائق الأربعون/الغلو عند بعض المجاهدين

نحن لا ننكر أن هناك بعض الغلو عند بعض المجاهدين، أو وجود الغلو عند من ينتسب للمجاهدين كالدواعش، الذين ما تركوا بابا من أبواب الغلو إلا ولجوه، حتى نفر كثير من الشباب عن الجهاد بسببهم، لكن هذا ليس عذرا في التقاعس عن أرض الجهاد من أجل وجود أهل الغلو، فالغلو لا يخلو منه زمان ولا مكان .

يقول الشيخ جمال الدين القاسمي صاحب محاسن التأويل: (من المعروف في سنن الاجتماع أن كل طائفة كثر سوادها، لا بد أن يوجد فيها الأصيل والدخيل والمعتدل والمتطرف والغالي والمتسامح وقد وجد بالاستقراء أن صوت الغالي أقوى صدى وأعظم استجابة ؛ لأن التوسط منزلة الاعتدال، ومن يحرص عليه قليل في كل عصر ومصر، وأما الغلو فمشرب الأكثر ورغيبة السواد الأعظم وعليه درجت طوائف الفرق والنحل ، فحاولت الاستئثار بالذكرى، والتفرد بالدعوى ولم تجد لاستتباع الناس لها إلا الغلو بنفسها وذلك بالحط من غيرها والإيقاع بسواها حسبما تسنح لها الفرص وتساعدها الأقدار إن كان بالسنان أو باللسان) اهـ.

روى ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم غداة العقبة وهو على ناقته القط لي حصى فلقطت له سبع حصيات مثل حصى الخذف فجعل ينفضهن في كفه ويقول أمثال هؤلاء فارموا ثم قال أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين رواه أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث عوف بن أبي جميلة عن زياد بن حصين عن أبي العالية عنه وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

قال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم : " وقوله إياكم والغلو في الدين عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال والغلو هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك والنصارى أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه فالغلو فيه مثل رمي الحجارة الكبار ونحو ذلك بناء على أنه قد بالغ في الحصى الصغار ثم علل ذلك بأن ما أهلك من كان قبلنا إلا الغلو في الدين كما تراه في النصارى وذلك يقتضي أن مجانبة هديهم مطلقا أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه أن يكون هالكا " ا هـ .

وقال ابن حجر في الفتح :" قال الغزالي: ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإنَّ استباحة دماء المصلين المقرين بالتوحيد خطأ، والخطأ في ترك ألف كافرٍ في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم مسلمٍ واحد " ا هـ .

ويقول ابن القيم رحمه الله : "ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين الجبلين، والهدى بين الضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين " ا هـ .

العائق الحادي والأربعون/العقيدة الباطلة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة : "كما روى أبو حفص بن شاهين في كتاب اللطيف في السنة حدثنا مُحَمَّد بن أبي القاسم بن هارون حدثنا أحمد بن الوليد الواسطي حدثني جعفر بن نصير الطوسي الواسطي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه قال : قال لي الشعبي أحذركم هذه الأهواء المضلة وشرها الرافضة لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة ولكن مقتا لأهل الإسلام وبغيا عليهم قد حرقهم علي ﷺ بالنار ونفاهم إلى البلدان منهم عبد الله ابن سبأ يهودي من يهود صنعاء نفاه الى ساباط وعبد الله بن يسار نفاه إلى خازر وآية ذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود قالت اليهود لا يصلح الملك إلا في آل داود وقالت الرافضة لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي وقالت اليهود لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال وينزل سيف من السماء وقالت الرافضة لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينادي مناد من السماء ... " اه .

وقد جاء في الكافي وغيره عن أبي عبد الله قال: "القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير" .

في المقابل تعاون الكفار ضد المسلمين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة : " ترى (أي الشيعة) أن كفر أهل السنة أغلظ من أكفر اليهود والنصارى لأن أولئك عندهم كفار أصليون وهؤلاء كفار مرتدون كفر الرده أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي ولهذا السبب يعانون الكفار على الجمهور من المسلمين فيعانون التتار على الجمهور وهم كانوا من أعظم

الأسباب في خروج جنكيز خان ملك الكفار إلى بلاد الإسلام وفي قدوم هولاكو إلى العراق وفي أخذ حلب ونهب الصالحية وغير ذلك بخبثهم ومكرهم ولهذا السبب نهبوا عساكر المسلمين لما مر عليهم وقت انصرافه إلى مصر في النوبة الأولى . ولهذا السبب يقطعون الطرقات على المسلمين وظهر فيهم من معاونة التتار والإفرنج على المسلمين والكآبة الشديدة بانتصار الإسلام ما ظهر وكذلك فتح المسلمين لعكا وغيرها . وظهر فيهم من الانتصار للإفرنج والنصارى وتقديمهم على المسلمين ما قد سمعه الناس منهم وكل هذا الذى وصفت بعض أمورهم وإلا فالأمر أعظم من ذلك . وقد أتفق أهل العلم بالأحوال أن أعظم السيوف التي سلت على أهل القبلة ممن ينتسب إلى أهل القبلة إنما هو من الطوائف المنتسبة إليهم منهم أشد ضررا على الدين وأهله وأبعد من شرائع الإسلام من الخوارج الحرورية " ا هـ .

يقول مُحَّد علي أبطحي، نائب الرئيس الإيراني للشؤون القانونية والبرلمانية الذي وقف بفخر في ختام أعمال مؤتمر الخليج وتحديات المستقبل الذي ينظمه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية سنويًّا بإمارة أبي ظبي مساء الثلاثاء 15/1/2004م ، ليعلن أن بلاده قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربيهم ضد أفغانستان والعراق، ومؤكدا أنه لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة.

وقد نقلت جريدة الشرق الأوسط في 9/2/2002م، عن رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام رفسنجاني قوله في خطبته بجامعة طهران" إن القوات الإيرانية قاتلت طالبان وساهمت في دحرها، وأنه لو لم تساعد قواتها في قتال طالبان لغرق الأمريكيون في المستنقع الأفغاني، وتابع قائلاً، يجب على أمريكا أن تعلم أنه لولا الجيش الإيراني الشعبي ما استطاعت أمريكا أن تسقط طالبان.

البهائية .

يقول المازندراني في محو الجهاد:

((حُرم عليكم حمل آلات الحرب إلا حين الضرورة، وأحل لكم لباس الحرير)) .

وقال أيضاً:

((البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور الأعظم محو حكم الجهاد من الكتاب)) .

قال عباس عبد البهاء : ((وفي زمان ذلك الغصن الممتاز، وفي تلك الدورة سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة، وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة)) (من كتاب فرق معاصرة للعواجي)

قال الأستاذ غالب العواجي : " ولم تقتصر عمالة المازندراني لليهود فقط، فقد ظل على اتصال وثيق بالدول الأجنبية المعادية للإسلام، وعلى رأس هؤلاء الإنجليز كبار المجرمين العالميين الذين نكبوا المسلمين بما لم يصل إليه أحد غيرهم، لقد عرف الإنجليز -كما عرف اليهود- أن قيام حركة المازندراني وانتصارها إضافة جديدة إلى رصيدهم من الأسلحة الفتاكة بالعالم الإسلامي.

وقم أتم عبد البهاء ما كان أسسه الطاغوت الكبير من خدمة الإنجليز، فلقد منح الإنجليز عبد البهاء وسام الإمبراطورية البريطانية في احتفال أقامه الحاكم البريطاني ((أللنبي)) في بيته وألقى كلمة شَكَرَ فيها عبد البهاء وأنعم عليه بلقب ((سير)) ، فكان يدعو لهم بالنصر والتأييد ظاهراً وباطناً.

ومن هنا فلا عجب حين تعلم أن الإنجليز قد خططوا ونفذوا بكل ما في وسعهم لقيام الحركة البهائية، بالأموال وبالتأييد المعنوي، وبتسهيل تنقل البهائيين، وتحذير كل من يفكر في صد طغيانهم، على غرار ما فعلوه مع عميلهم في الهند غلام أحمد، لأن الهدف واحد والغاية واحدة لكلا العميلين " ا هـ .

الصوفية

يقول عبد الرحمن الوكيل: "عاش كبار أئمة الصوفية كالغزالي، وابن العربي، وابن الفارض، في عهود كانت الصليبية فيها تدمر مساجد الله، وتبيح محاريبها للخنازير وتحرق المصاحف وتذبح اليتامى، فلم تهف بأحدهم نزعة إيمان تحرضه على أن يحمل السيف أو حتى على الدعوة إلى حمل السيف " ا هـ .

ويقول أيضاً :" خوارق الصوفية أكثرها لنصرة الباطل على الحق، ... لم نسمع في يوم من الأيام عن شيخ صوفي سهل لجنود المسلمين عبور البحر ، أو نقلهم في الجو ليقاتلوا أعداء الله، ولم نسمع أحدا منهم مات بأيدي المسلمين المدافعين عن السنة، وإذا قيل لهم اهزموا اليهود ، وانصروا المؤمنين ، يقولون : إن الله لم يأذن " اه

قال عبدالرحمن دمشقية في كتاب أبو حامد الغزالي : " وعندما اطلعت على دراسة حول العديد من كتب الغزالي، وجدت التأكيد على ذلك الموقف من الجهاد، يقول صاحب الدراسات :"كان حرياً بالغزالي أن يكتب شيئاً عن الجهاد في كتاب يحتوي على أربعة مجلدات، ويضم موضوعات كثيرة، منها ما هو مهم، ومنها ما ليس كذلك، وليس السماع والوجد والرقص بأولى من الجهاد حتى يذكرها في أربعين صفحة من كتابه، بينما ينسى أن يعقد للجهاد فصلاً واحداً من ثلاث صفحات "اه.

القاديانية

قال غلام أحمد القادياني: " "إن الله خفف شدة الجهاد، أي القتال في سبيل الله بالتدريج: فكان يقتل الأطفال في عهد موسي، وفي عهد مُحَمَّد ألغي قتل الأطفال والشيوخ والنسوان، ثم وفي عهدي (!!) ألغي حكم الجهاد أصلاً".

ويقول: " اليوم ألغي حكم الجهاد بالسيف، ولا جهاد بعد هذا اليوم، فمن يرفع بعد ذلك السلاح علي الكفار، ويسمي نفسه غازيًا، يكون مخالفًا لرسول الله الذي أعلن قبل ثلاثة عشر قرنًا بإلغاء الجهاد في زمن «المسيح الموعود» (أي في زمن القادياني)، فأنا المِسيح الموعود، ولا جهاد بعد ظهوري الآن، فنحن نرفع علم الصلح، وراية الأمان ".

ومن أقواله كذلك:

-" اتركوا الآن فكرة الجهاد، لأن القتال للدين قد حُرم، وجاء الإمام والمسيح، ونزل نور الله من السماء، فلا جهاد، بل الذي يجاهد في سبيل الله الآن فهو عدو الله، ومنكر للنبي".

- " إن هذه الفرقة – الفرقة القاديانية – لا تزال تجتهد ليلاً ونهارًا لقمع العقيدة النجسة، عقيدة الجهاد من قلوب المسلمين".(انظر القادياني والقاديانية)

وأما البابية التي أسسها علي مُحَمَّد الشيرازي وأعلن نفسه بأنه : (باب المهدي) فتقول : « إن البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في الظهور الأعظم لجميع أهل العالم : محو حكم الجهاد من الكتاب » ، وقال الباب : « حُرِّم عليكم حمل

آلات الحرب » . وقال عبد البهاء عن أبيه : « محا آية السيف ونسخ حكم الجهاد» [« أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية »، د علي بن نفيع العلياني] .

العائق الثاني والأربعون/الشيطان

إن عداوة الشيطان مطلقة، وكذا جهاده ينبغي أن يكون مطلقاً، قال تعالى عن عداوته ومجاهدته (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوا) [فاطر:6]، وميدان المنازعة في تلك العداوة هو قلب الإنسان وما فيه من إيمان، فالشيطان ينازعنا على الإيمان في قلوبنا، فيتقوّت على ما فيها حتى يُبليها، ولا يزال يتربص بشُعب الإيمان حتى لا يبقيها، فكيف يفلح عبد عرَّض قلبه لغزو عدوه وجنوده من غير ردع أو دفاع ؟!

لقد ضرب بعض العلماء مثلاً لحماية الإيمان من الشيطان، فقال: (مثل الإيمان كمثل بلدة لها خمس حصون: الأول من ذهب، والثاني من فضة، والثالث من حديد، والرابع من آجر، والخامس من لَبِن، فما دام أهل الحصن متعاهدين حصن اللَّبِن لا يطمع العدو في الثاني، فإذا أهملوا ذلك طمعوا في الحصن الثاني ثم الثالث، حتى تخرب الحصون كلها، فكذلك الإيمان في خمس حصون: اليقين ثم الإخلاص ثم أداء الفرائض ثم السنن ثم حفظ الآداب، فما دام يحفظ الآداب ويتعاهدها فالشيطان لا يطمع فيه، وإذا ترك الآداب طمع الشيطان في السنن، ثم في الفرائض ثم في الإخلاص ثم في اليقين) .

قال الله تعالى {الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 268].

قال الله تعالى {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ } [فاطر: 8].

فقال سبحانه وتعالى { وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [النور: 21].

ويقول رحمه الله واصفاً بعض المثبطات عن هذا الأمر : ومن مكايده – ابليس – إنه يزين لهم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلى الناس، وحسن الخلق معهم، متعللاً بقوله تعالى {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ}. اهـ

قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ }.

قال ابن كثير رحمه الله :« وهذا تنفير من ذلك بأفصح عبارة وأبلغها وأوجزها وأحسنها ، وخطوات الشيطان طرائقه ومسالكه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : عمله ، وقال عكرمة : نزغاته ، وقال قتادة : كل معصية فهي من خُطوات الشيطان ».

وقد قام الصديق ﷺ مرة خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) تضعونها في غير موضعها ، وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: " إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه ". حديث صحيح أخرجه أهل السنن .

عن سبرة بن الفاكه رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله – ﷺ – قال : "إن الشيطان قعد لابن آدم، بطريق الإسلام فقال : تسلم وتذر دينك، ودين آبائك ؟ فعصاه، فأسلم، فغفر له، فقعد له بطريق الهجرة، فقال : تهاجر وتذر دارك، وأرضك، وسماءك ؟ فعصاه فهاجر، فقعد له بطريق الجهاد، فقال : تجاهد وهو جهد النفس، والمال، فتقاتل، فتقتل، فتنكح المرأة، ويقسم المال ؟ فعصاه فجاهد"، فقال رسول الله – ﷺ – : "فمن فعل ذلك فمات، كان حقا على الله، أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابة، كان حقا على الله أن يدخله الجنة". رواه أحمد، والنسائي.

قال يحيى بن معاذ: «أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه، وشيطانه، ونفسه، فاحترس من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته، ومن النفس بترك الشهوات».

قال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان : « ومن كيد عدو الله أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر ؛ وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان ؛ وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بهذا فقال (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ).

المعنى عند جميع المفسرين : يخوفكم بأوليائه ، قال قتادة : يعظِّمهم في صدوركم . ولهذا قال (فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم » .

قال سبحانه (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت:69].

قال ابن القيم رحمه الله في الفوائد: (علّق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً، وأفرض الجهاد جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله؛ هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد؛ فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة : « إن الله سبحانه بحكمته سلط على العبد عدواً عالماً بطرق هلاكه ، وأسباب الشر الذي يلقيه فيه، متفنناً فيها، خبيراً بها، حريصاً عليها لا يفتر يقظة ولا مناماً ... أحدها: وهي غاية مراده منه أن يحول بينه وبين العلم والإيمان ، فيلقيه في الكفر ؛ فإذا ظفر بذلك فرغ منه واستراح ... فإن فاتته هذه وهُدي للإسلام حرص على ما يتلو الكفر وهي البدعة، وهي أحب إليه من المعصية؛ فإن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها؛ لأن صاحبها يرى أنه على هدى، وفي بعض الآثار يقول إبليس: أهلكت بني آدم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار وبلا إله إلا الله، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء؛ فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ... فإن ظفر منه بهذا صيره من رعاته وأمرائه، فإن أعجزه شغله بالعمل المفضول عن ما هو أفضل منه، فإن أعجزه ذلك صار إلى تسليط حزبه يؤذونه ويشتمونه ويبهتونه ويرمونه بالعظائم ليحزنه، ويشغل قلبه عن العلم والإرادة وسائر أعماله. فكيف يمكن أن يحترز منه من لا علم له بهذه الأمور ؟ ولا بعدوه ؟ ولا بما يحصن منه ؟ فإنه لا ينجو من عدوه إلا من عرفه، وعرف طريقه الذي يأتيه منه، وجيشه الذي يستعين به عليه، وعرف مداخله ومخارجه، وكيفية محاربته، وبأي شيء يحاربه، وبماذا يداوي جراحه، وبأي شيء يستمد القوة لقتاله ودفعه. وهذا كله لا يحصل إلا بالعلم؛ فالجاهل في غفلة وعمى عن هذا الأمر العظيم » .

قال سيد قطب رحمه الله: "{ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه . فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين }.

إن الشيطان هو الذي يضخم من شأن أوليائه ويلبسهم لباس القوة والقدرة ويوقع في القلوب أنهم ذوو حول وطول وأنهم يملكون النفع والضر . . ذلك ليقضي بهم لباناته وأغراضه وليحقق بهم الشر في الأرض والفساد وليخضع لهم الرقاب ويطوع لهم القلوب فلا يرتفع في وجوههم صوت بالإنكار ; ولا يفكر أحد في الانتقاض عليهم ودفعهم عن الشر والفساد .

والشيطان صاحب مصلحة في أن ينتفش الباطل وأن يتضخم الشر وأن يتبدى قوياً قادراً قاهراً بطاشاً جباراً لا تقف في وجهه معارضة ولا يصمد له مدافع ولا يغلبه من المعارضين غالب . . الشيطان صاحب مصلحة في أن يبدو الأمر هكذا . فتحت ستار الخوف والرهبة وفي ظل الإرهاب والبطش يفعل أولياؤه في الأرض ما يقر عينه! يقلبون المعروف منكراً والمنكر معروفاً وينشرون الفساد والباطل والضلال ويخفتون صوت الحق والرشد والعدل ويقيمون أنفسهم آلهة في الأرض تحمي الشر وتقتل الخير . . دون أن يجرؤ أحد على مناهضتهم والوقوف في وجههم ومطاردتهم وطردهم من مقام القيادة . بل دون أن يجرؤ أحد على تزييف الباطل الذي يروجون له وجلاء الحق الذي يطمسونه . .

والشيطان ماكر خادع غادر يختفي وراء أوليائه وينشر الخوف منهم في صدور الذين لا يحتاطون لوسوسته . . ومن هنا يكشفه الله ويوقفه عارياً لا يستره ثوب من كيده ومكره . ويعرف المؤمنين الحقيقة : حقيقة مكره ووسوسته ليكونوا منها على حذر . فلا يرهبوا أولياء الشيطان ولا يخافوهم . فهم وهو أضعف من أن يخافهم مؤمن يركن

إلى ربـه ويسـتند إلى قوتـه . . إن القـوة الوحيـدة الـتي تخشـى وتخـاف هـي القـوة الـتي تملـك النفـع والضـر . هـي قـوة الله . وهـي القـوة الـتي يخشـاها المؤمنـون بالله وهـم حـين يخشـونها وحـدها أقـوى الأقـوياء . فـلا تقـف لهـم قـوة في الأرض . . لا قـوة الشـيطان ولا قوة أولياء الشيطان : { فلا تخافوهم . وخافون إن كنتم مؤمنين } " ا هـ .

العائق الثالث والأربعون/الشهوات

إن الإسلام دين الوسطية والاعتدال والقصد في كل الأمور .. ولذلك فإنه لم يحرم على الناس الشهوات مطلقاً كما فعلت الرهبانية بأتباعها .. ولم يطلق لهم عنان الشهوات مطلقاً كما فعلت الحضارة المادية الإباحية .

قال تعالى { وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا} [النساء: 27].

قال يحيى بن معاذ: «أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه، وشيطانه، ونفسه، فاحترس من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته، ومن النفس بترك الشهوات».

قال سيّد قطب رحمه الله في الظلال: «إن البشرية اليوم تعيش في ماخور كبير! ونظرة إلى صحافتها، وأفلامها، ومعارض أزيائها، ومسابقات جمالها، ومراقصها، وحاناتها، وإذاعاتها، ونظرة إلى سعارها المجنون للحم العاري، والأوضاع المثيرة، والإيحاءات المريضة، في الأدب والفن وأجهزة الإعلام كلها... نظرة إلى هذا تكفي للحكم على المصير البائس الذي تدلف إليه البشرية في ظل هذه الجاهلية، إن البشرية تتآكل إنسانيتها، وتتحلل آدميتها، وهي تلهث وراء الحيوان، ومثيرات الحيوان، لتلحق بعالمه الهابط...».

قال بعض الحكماء: «من استولت عليه النفس صار أسيرًا في حب شهواتها، محصورًا في سجن هواها، مقهورًا مغلولاً زمامه في يدها، تجره حيث شاءت، فتمنع قلبه من الفوائد»!

وقال مالك بن دينار: «بئس العبد عبد همه هواه وبطنه»!

فيا من استبدلت عبودية الخالق بعبودية الشهوات.. أما خطر ببالك أي عوض استبدلت؟!

قال الفضيل بن عياض: «من استحوذت عليه الشهوات؛ انقطعت عنه مواد التوفيق»!

قال وهيب بن الورد: «من أحب شهوات الدنيا؛ فليتهيأ للذل»!

قال ابن الجوزي: «وفي قوة قهر الهوى لذة تزيد على كل لذة، ألا ترى إلى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلاً، لأنه قهر، بخلاف غالب الهوى، فإنه يكون قوي القلب، عزيزًا؛ لأنه قهر؟!

فالحذر الحذر من رؤية المشتهى بعين الحسن، كما يرى اللص لذة أخذ المال من الحرز، ولا يرى بعين فكره القطع، وليفتح الإنسان عين البصيرة لتأمل العواقب، واستحالة اللذة نغصة، وانقلابها عن كونها لذة، إما لملل، أو لغيره من الآفات، أو لانقطاعها بامتناع الحبيب؛ فتكون المعصية الأولى كلقمة تناولها جائع فما ردت كلب الجوع، بل شهت الطعام، وليتذكر الإنسان لذة قهر الهوى، مع تأمل فوائد الصبر عنه، فمن وفق لذلك، كانت سلامته قريبة منه...».

وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله : (من لزم الشهوات لزمته عبودية أبناء الدنيا).

وقال ابن القيم رحمه الله: "الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة، فإنها إما أن توجب ألماً وعقوبة ، وإما أن تقطع لذة أكمل منها، وإما أن تضيع وقتاً إضاعته حسرة وندامة، وإما أن تثلم عرضاً توفيره أنفع للعبد من ثلمه،

وإما أن تُذهب مالاً بقاؤه خير له من ذهابه، وإما أن تضع قدراً وجاهاً قيامه خير من وضعه، وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألذ وأطيب من قضاء الشهوة، وإما أن تطرق لوضيع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك ، وإما أن تجلب هماً وغماً وحزناً وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة، وإما أن تنسي علماً ذكره ألذ من نيل الشهوة، وإما أن تُشمت عدواً وتحزن ولياً، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة، وإما أن تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول؛ فإن الأعمال تورث الصفات والأخلاق " ا هـ .

يقول الشيخ علي الطنطاوي كما في فتاوى علي الطنطاوي: (لو أوتيتَ مال قارون، وجسد هرقل ، وواصلتك عشر آلاف من أجمل النساء من كل لون وكل شكل وكل نوع من أنواع الجمال، هل تظن أنك تكتفي ؟ لا، أقولها بالصوت العالي: لا، أكتبها بالقلم العريض، ولكن واحدة بالحلال تكفيك . لا تطلبوا مني الدليل؛ فحيثما تلفّتم حولكم وجدتم في الحياة الدليل قائماً ظاهراً مرئياً).

العائق الرابع والأربعون/الركون إلى الأعداء

الركون إلى الذين ظلموا والرضا عن أحوالهم ليس له نتيجة إلا أن يُسام المسلمون سوء العذاب، تُمتهن الكرامة، وتُداس المهابة، وتُسترخص الدماء، ويُستباح الحمى، وتنتقص الديار، وتستنزف الأموال { وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ } [هود: 113].

قال القرطبي: "قوله تعالى {وَلاَ تَرْكَنُواْ} الركون حقيقة الاستناد والاعتماد والسكون إلى الشيء والرضا به، قال قتادة: معناه: لا تودّوهم ولا تطيعوهم. ابن جريج: لا تميلوا إليهم. أبو العالية: لا ترضوا أعمالهم. وكلّه متقارب. وقال ابن زيد: الركون هنا الإدهان، وذلك ألا ينكِر عليهم كفرَهم. وقوله تعالى {إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ} قيل: أهل الشرك، وقيل: عامة فيهم وفي العصاة... وهذا هو الصحيح في معنى الآية، وأنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم، فإنّ صحبتهم كفر أو معصية، إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودّة". ا هـ

قال الإمام الطبري معلقاً على قوله تعالى: { مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلاَ المشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ }، قال رحمه الله: « وفي هذه الآية دلالة بينة على أن الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين ، والاستماع من قولهم ،وقبول شيء مما يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم ، باطلاعه جل ثناؤه إياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد ، وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ما هم مستبطنون » .

قال سيد قطب رحمه الله: "إن تكاليف الخروج من العبودية للطاغوت والدينونة لله وحده- مهما عظمت وشقت- أقل وأهون من تكاليف العبودية للطواغيت! إن تكاليف العبودية للطواغيت فاحشة- مهما لاح فيها من السلامة والأمن والطمأنينة على الحياة والمقام والرزق! – إنها تكاليف بطيئة طويلة مديدة! تكاليف في إنسانية الإنسان ذاته فهذه «الإنسانية» لا توجد، والإنسان عبد للإنسان- وأي عبودية شر من خضوع الإنسان لما يشرعه له إنسان؟! .. وأي عبودية شر من تعلق قلب إنسان بإرادة إنسان آخر به، ورضاه أو غضبه عليه؟! .. وأي عبودية شر من أن تتعلق مصائر إنسان بهوى إنسان مثله ورغباته وشهواته؟! وأي عبودية شر من أن يكون للإنسان خطام أو لجام يقوده منه كيفما شاء إنسان؟! على أن الأمر لا يقف عند حد هذه المعاني الرفيعة.. إنه يهبط ويهبط حتى يكلف الناس- في حكم الطواغيت- أموالهم التي لا يحميها شرع ولا يحوطها سياج. كما يكلفهم أولادهم إذ ينشئهم الطاغوت كما شاء على ما شاء من التصورات والأفكار والمفهومات والأخلاق والتقاليد والعادات. فوق ما يتحكم في أرواحهم وفي حياتهم ذاتها، فيذبحهم على مذبح هواه، ويقيم من جماجمهم وأشلائهم أعلام المجد لذاته والجاه! ثم يكلفهم أعراضهم في النهاية.. حيث لا يملك أب أن يمنع فتاته من الدعارة التي يريدها بها الطواغيت، سواء في صورة الغصب المباشر- كما يقع على نطاق واسع على مدار التاريخ- أو في صورة تنشئتهن على تصورات ومفاهيم تجعلهن نهباً مباحاً للشهوات تحت أي شعار! وتمهد لهن الدعارة والفجور تحت أي ستار.. والذي يتصور أنه ينجو بماله وعرضه وحياته وحياة أبنائه وبناته في حكم الطواغيت من دون الله. إنما يعيش في وهم، أو يفقد الإحساس بالواقع! إن عبادة الطاغوت

عظيمة التكاليف في النفس والعرض والمال.. ومهما تكن تكاليف العبودية لله، فهي أربح وأقوم حتى بميزان هذه الحياة. فضلاً على وزنها في ميزان الله " ا هـ .

العائق الخامس والأربعون/الجبن

قال الله تعالى {قالُوا يا مُوسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها. فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا. إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ} [المائدة: 24].

قال سيد قطب رحمه الله : " وهكذا يخرج الجبناء فيتوقحون ويفزعون من الخطر أمامهم فيرفسون بأرجلهم كالحمر ولا يقدمون! والجبن والتوقح ليسا متناقضين ولا متباعدين بل إنهما لصنوان في كثير من الأحيان. يدفع الجبان إلى الواجب فيجبن. فيحرج بأنه ناكل عن الواجب ، فيسب هذا الواجب ويتوقح على دعوته التي تكلفه ما لا يريد! «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا. إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ» ..

هكذا في وقاحة العاجز ، الذي لا تكلفه وقاحة اللسان إلا مد اللسان! أما النهوض بالواجب فيكلفه وخز السنان! «فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ»! ..

فليس بربهم إذا كانت ربوبيته ستكلفهم القتال! «إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ» ..

لا نريد ملكا، ولا نريد عزا، ولا نريد أرض الميعاد .. ودونها لقاء الجبارين! " ا هـ .

وقال رسول الله ﷺ : (شر ما في الرجل شح هالع، وجبن خالع) رواه أبو داود عن حديث أبي هريرة.

ومعنى قوله جبن خالع: أي خالع لقلبه بشدة تمكنه منه واستيلائه عليه والجبن يرجع في الحقيقة إلى شك في القدر، وسوء ظن بالله، كما قال بعض الحكماء في وصيته: عليكم بأهل السخاء والشجاعة، فإنهم أهل حسن الظن بالله. وهذا لا شك فيه

لأن من علم يقيناً أن الأجل لا يزيد ولا ينقص، كما قال تعالى: {فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ}.

وذلك لأن الجبن والبخل صفتان متلازمتان في الطبع الإنساني، وكذلك صفة الشجاعة والكرم، بدليل قول رسول الله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وغلبة الدين وقهر الرجال).

قال المهلب: (أما استعاذته ﷺ من الجبن فإنه يؤدى إلى عذاب الآخرة لأنه يفر من قرنه في الزحف فيدخل تحت وعيد الله لقوله: ومن يولهم يومئذ، وربما يفتن في دينه، فيرتد لجبن أدركه، وخوف على صحته من الأسر والعبودية، وأرذل العمر: الهرم والضعف عن أداء الفرائض وعن خدمة نفسه فيما يتنظف به فيكون كلا على أهله مستثقلا بينهم، وفتنة الدنيا أن يبيع الآخرة بما يتعجله في الدنيا من حال أو مال، وتعوذ من العجز ؛ لئلا يعجز عما يلزمه فعله من منافع الدين والدنيا).

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: كرم المرء تقواه، ودينه حسبه، ومروءته خلقه، والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء فالجبان يفر عن أمه وأبيه، والجريء يقاتل عمن لا يبالي أن لا يؤوب إلى رحله، والقتل حتف من الحتوف، والشهيد من احتسب نفسه. وفي رواية، قال (الشجاعة والجبن غرائز في الناس، فيلقى الرجل يقاتل عمن لا يعرف، وتلقى الرجل يفر عن أبيه) رواه البيهقي في السنن وابن عساكر، وقد روي مرفوعاً إلى النبي – ﷺ – . ومن هذا قول الشاعر:

يفر جبان القوم عن أم نفسه ويحمى شجاع القوم من لا يناسب

قال شيخ الاسلام في الاستقامة: "والشجاعة ليست هي قوة البدن فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب وانما هي قوة القلب وثباته فأن القتال مداره على

قوة البدن وصنعته للقتال وعلى قوة القلب وخبرته به والمحمود منهما ما كان بعلم ومعرفة دون التهور الذي لا يفكر صاحبه ولا يميز بين المحمود والمذموم ولهذا كان القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح فأما المغلوب حين غضبه فليس هو بشجاع ولا شديد " ا هـ .

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك: فبقوة القلب يصاب امتثال الأوامر والانتهاء عن الزواجر، وبقوة القلب يصاب اكتساب الفضائل، وبقوة القلب ينتهي عن اتباع الهوى والتضمخ بقبح الرذائل، وبقوة القلب يصبر الجليس على أذى جليسه وجفاء الصاحب، وبقوة القلب تكتم الأسرار، ويدفع العار، وبقوة القلب تقتحم الأمور الصعاب، وبقوة القلب تتحمل أثقال المكاره، وبقوة القلب يصبر على أخلاق الرجال، وبقوة القلب تنفذ كل عزيمة أوجبها الحزم والعدل، وبقوة القلب تضحك الرجال في وجوه الرجال وقلوبهم مشحونة بالضغائن والأحقاد، كما قال أبو الدرداء ﵁: (أنا لنكشر في وجوده أقوام، وإن قلوبنا لتلعنهم) وقال علي بن أبي طالب ﵁: (إنا لنصافح أكفاً نرى قطعها).

قال: "واعلم أن الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه:

- رجل إذا التقى الجمعان، وتزاحف الزحفان واكتحلت الأحداق بالأحداق برز من الصف إلى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي: هل من مبارز؟

- والثاني: إذا اختلط القوم وصاروا جملة، ولم يدر أحد من أين يأتيه الموت، يكون رابط الجأش، ساكن القلب، حاضر اللب، لم يخامره الدهش ولا خالطته الحيرة، فيتقلب تقلب المالك لأمره القائم على نفسه.

- والثالث: إذا انهزم أصحابه يلزم الساقة، ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم، ويقوي قلوب أصحابه، ويرجي ضعيفهم،ويمدهم بالكلام الجميل، ويشجع نفوسهم فمن وقع أقامه، ومن وقف حمله، ومن سقط عن فرسه كشف عنه. حتى ييأس العدو منه، وهذا أحمدهم شجاعة، وعن هذا قالوا (المقاتل خلف الفارين كالمستغفر وراء الغافلين)

ومن كرم الكريم الذب عن الحريم. وقالوا : لكل أحد يومان لا بد منهما، أحدهما: لا يعجل عليه، والآخر: لا يغفل عنه فما للجبان وللفرار ". ا هـ

العائق السادس والأربعون/الجهاد جهاد النفس

يثير البعض فيقول الجهاد جهاد النفس ، علينا أن نجاهد أنفسنا قبل جهاد الأعداء، نعم أنا معك أننا لابد من مجاهدة أنفسنا، لكن جهاد النفس لا ينفصل عن جهاد الأعداء، بل هما متلازمان.

كما قال ابن القيم في روضة المحبين: "إن جهاد الهوى إن لم يكن أعظم من جهاد الكفّار فليس بدونه، قال رجل للحسن البصري رحمه الله تعالى: يا أبا سعيد! أي الجهاد أفضل ؟ قال: جهادك هواك . وسمعت شيخنا ابن تيمية يقول: "جهاد النفس أصل جهاد الكفّار والمنافقين، فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً حتى يخرج إليهم" ا هـ .

ويجيب عن ذلك سيد قطب رحمه الله تعالى بقوله: " وإذن فهذه التوجيهات الشاملة ليست بمعزل عن المعركة؛ فالنفس لا تنتصر في المعركة الحربية إلا حين تنتصر في المعارك الشعورية والأخلاقية والنظامية، والذين تولوا يوم التقى الجمعان في "أحد" إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا من الذنوب والذين انتصروا في معارك العقيدة وراء أنبيائهم هم الذين بدأوا المعركة بالاستغفار من الذنوب، والالتجاء إلى الله، والالتصاق بركنه الركين والتطهر من الذنوب إذن والالتصاق بالله والرجوع إلى كنفه من عدة النصر، وليست بمعزل عن الميدان! واطراح النظام الربوي إلى النظام التعاوني من عدة النصر؛ والمجتمع التعاوني أقرب إلى النصر؛ من المجتمع الربوي وكظم الغيظ والعفو عن الناس من عدة النصر، فالسيطرة على النفس قوة من قوى المعركة، والتضامن والتواد في المجتمع المتسامح قوة ذات فاعلية كذلك" ا هـ .

وشيخ الإسلام الذي قال بجهاد النفس قال أيضاً: " الأمر بالجهاد، وذكر فضائله في الكتاب والسنة: أكثر من أن يحصر. ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة، ومن الصلاة التطوع، والصوم التطوع، كما دلّ عليه الكتاب والسنة " ا هـ .

وقال أيضاً : " نفع الجهاد عامٌ لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة، فإنه مشتملٌ من محبة الله تعالى، والإخلاص له، والتوكل عليه، وتسليم النفس والمال له، والصبر والزهد، وذكر الله، وسائر أنواع العمل: على ما لا يشتمل عليه عملٌ آخر " ا هـ .

وقال أيضاً : " لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه " ا هـ

قال الشيخ عبدالله عزام في التجارة المنجية : " الواضح أن الجهاد اليوم فرض عين على كل مسلم وبالرغم من ذلك نجد أن هناك من يحتج بأنه يحتاج إلى تربية نفسه وأن الجهاد مراحل وأنه ما زال في مرحلة جهاد النفس ويستدل على ذلك بقول الإمام ابن القيم الذي قسم الجهاد إلى مراتب : 1ـ جهاد النفس ، 2ـ جهاد الشيطان ، 3. جهاد الكفار والمنافقين .

وهذا الاستدلال ينبئ من خلفه إما جهل كاهل أو جبن فاحش، ذلك لأن ابن القيم قسم الجهاد إلى مراتب ولم يقسمه إلى مراحل، وإلا فعلينا أن نتوقف عن مجاهدة الشيطان حتى ننتهي من مرحلة جهاد النفس والحقيقة أن الثلاثة مراتب تسير سوياً في خط مستقيم ونحن لا ننكر أن أقوانا إيماناً وأكثرنا مجاهدة لنفسه أكثرنا ثباتاً، ولكن من يدرس السيرة يجد أنه عندما ينادي منادي الجهاد كان الجميع ينفر في سبيل الله حتى مرتكبي الكبيرة، وحديثي العهد بالإسلام ويروى أن

رجلاً أسلم أثناء القتال ونزل في المعركة فنزل شهيداً فقال ﷺ (عمل قليل وأجر كبير) .

وقصة أبي محجن الثقفي الذي كان يدمن الخمر وبلاؤه في حرب فارس مشهور وذكر ابن القيم أن حديث (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) .. قيل ما الجهاد الأكبر يا رسول الله ؟ قال : جهاد النفس ، أنه حديث موضوع (المنار المنيف) وما قصد بوضع هذا الحديث إلا التقليل من شأن القتال بالسيف لشغل المسلمين عن قتال الكفار والمنافقين " ا هـ .

وقال ابن النحاس في مشارع الأشواق: " وإن قلت أرغب في التأخير لإصلاح العمل، فهذا أيضا ناتج من الغرور، وطول الأمل، وتالله ما تمَّ تأخير في الأجل المقدور { يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنَّما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير }. ليس هذا والله إلا من مصايد إبليس اللعين، لا من مقاصد الأولياء، والصالحين، أليس الصحابة وأخيار التابعين، أولى منك بهذا القصد إن كنت من الصادقين، لو ركنوا إلى تأخير الآجال، لما ارتكبوا في الله عظيم الأهوال، ولما جاهدوا المشركين والكفار، واقتحموا البلاد والأمصار، ألا تصغي بأذنك يا هذا المفتون، إلى قوله تعالى { انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون } ألا تلقي بالك ؟ إن كنت فطينا فهيما، وتفكر في قوله تعالى : { وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما }.

وفي الحديث : "إن قيام الرجل في الصف في سبيل الله أفضل من عبادته في أهله سبعين عاما".

أيها المغرور، وإن نوم المجاهد أفضل من قيام الليل، وصيام الدهور ، وسيأتي لهذا مزيد بيان، وبالله المستعان.

وهب أنك صادق فيما تقول، أليس عملك مترددا بين الرد والقبول ؟ أليس أمامك ما يفزع ويهول، أليس قدامك يوم الحشر المهول ؟ ولا والله تدري هل ينجيك عملك، إن عملت أو يرديك .

{ والله يعلم ما تخفون وما تعلنون }، { وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ }" اه.

العائق السابع والأربعون/الجهل بفضائل الجهاد

من جهل شيئا عاداه

قول الله عز وجل { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ } لَمَّا جهلوا دين الله، وجهلوا شريعة الله، وجهلوا حقيقة هذا الدين العظيم، كذَّبوه لعدم إحاطتهم بالعلم به، وإلا لو علموه لما عادَوه قيل للحسين بن الفضل: هل تجد في القرآن من جهل شيئًا عاداه؟ قال: نعم في موضعين { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ }، وقوله { وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ }.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ما في القرآن من الحضّ على الجهاد والترغيب فيه وذمّ الناكلين عنه والتاركين له: كلّه ذمّ للجبن، ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلاّ بالشجاعة والكرم: بيّن سبحانه أن من تولى عن الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك، فقال {يا أيها الذين آمنوا ! ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟ فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ قليل. إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرّوه شيئاً، والله على كلّ شيء قدير}. وقال تعالى {ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم لفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم}. وبالشجاعة والكرم في سبيل الله فضل السابقين، فقال {لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى}. وقد ذكر الجهاد بالنفس والمال في سبيله، ومدحه في غير آية من كتابه،

وذلك هو الشجاعة والسماحة في طاعته سبحانه، فقال {كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين}، وقال تعالى {يا أيها الذين آمنوا ! إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون. وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين} " ا هـ .

العائق الثامن والثلاثون/البعد عن معالم الدين

الأمة عاجزة بسبب تخاذلها وما أصابها من الوهن والذل والاستكانة بسبب البُعد عن الدين ومعالمه، وعن الجهاد ، فإذا قامت ونفضت عن نفسها غبار الذل، واستجابت لله والرسول، وتشجّعت واشتعلت فيها نار الغيرة والحمية الدينية ، فإنها لن تكون ضعيفة ولا عاجزة بل هي قادرة جداً وعندها من الطاقات شيء عظيم باهر .

قال حذيفة بن اليمان ﷺ قال : « كيف أنتم إذا انفرجتم عن دينكم ، كما تنفرج المرأة عن قُبُلها لا تمنع من يأتيها » ، قالوا : لا ندري ! ، قال : « ولكني والله أدري أنتم يومئذ بين عاجز وفاجر » فقال رجل من القوم : قبح العاجز عن ذاك ، فضرب ظهره حذيفة مراراً ، ثم قال : قبحت أنت ، قبحت أنت (رواه الحاكم وإسناده ضعيف) .

قال ابن حزم الأندلسي في الفصل 173/4: (ولئن قال بعضهم إن في هذا القيام إباحة الحريم وسفك الدماء وأخذ الأموال وهتك الأستار، فيقال لهم لو كان فوق ما ذكروه مانعا من تغيير المنكر ومن الأمر بالمعروف لكان هذا بعينه مانعا من جهاد أهل الحرب وهذا ما لا يقوله مسلم).

صَدق سيد قطب رحمة الله حينما قال: (والنفس التي تستذل تَأْسن وتَتَعفّن وتُصبح مرتعاً لديدان الشهوات الهابطة والغرائز المريضة ومَيداناً للانحرافات مع انطماس البصيرة والإدراك وفُقدان الهمة والتطلع والارتفاع، وهو فساد أي فساد) (الظلال تفسير سورة الفجر).

وقال ابن القيم: (أيّ دين وأيّ خير فيمن يرى محارم الله تُنتَهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول الله ﷺ يُرغب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان شيطان أخرس كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق؟ وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياستهم فلا مبالاة بما جرى على الدِّين، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذّل وجدّ واجتهد واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه)؟!!!. (أعلام الموقعين لابن القيم).

العائق التاسع والثلاثون/التباس الحق بالباطل

إلباس الحق بالباطل من فعلِ اليهود الذين قال الله فيهم {وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }، وقال عز وجل فيهم أيضاً {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }، وكما قال شيخ الإسلام رحمه الله كما مجموع الفتاوى: " ولا يشتبه على الناس الباطل المحض ؛ بل لا بد أن يشاب بشيء من الحق" ا ه

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى:" ثم قال (وَلا تَلْبِسُوا) أي: تخلطوا (الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ) فنهاهم عن شيئين، عن خلط الحق بالباطل، وكتمان الحق. لأن المقصود من أهل الكتب والعلم ، تمييز الحق، وإظهار الحق، ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين. لأن الله فصل آياته، وأوضح بيناته، ليميز الحق من الباطل، ولتستبين سبيل المجرمين. فمن عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم. ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا، مع علمه بذلك، وكتم الحق الذي يعلمه، وأمر بإظهاره، فهو من دعاة جهنم، لأن الناس لايقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين ". ا ه

قال سيد قطب في الظلال: " أشق ما تعانيه هذه الحركات هو الغبش والغموض واللبس الذي أحاط بمدلول لا إله إلا الله، ومدلول الإسلام في جانب وبمدلول الشرك وبمدلول الجاهلية في الجانب الآخر ..

أشق ما تعانيه هذه الحركات هو عدم استبانة طريق المسلمين الصالحين، وطريق المشركين المجرمين واختلاط الشارات والعناوين والتباس الأسماء والصفات والتيه الذي لا تتحدد فيه مفارق الطريق! ويعرف أعداء الحركات الإسلامية هذه الثغرة. فيعكفون عليها توسيعا وتمييعا وتلبيسا وتخليطا. حتى يصبح الجهر بكلمة الفصل تهمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام! .. تهمة تكفير «المسلمين»!!! ويصبح الحكم في أمر الإسلام والكفر مسألة المرجع فيها لعرف الناس واصطلاحهم، لا إلى قول الله ولا إلى قول رسول الله! هذه هي المشقة الكبرى " ا هـ .

العلاج في هذا البحث عن الحق والتبين فيه من أجل إتباعه قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (فإذا وقع الإستفصال والاستفسار ، انكشفت الأسرار وتبيّن الليل والنهار، وتميّز أهل الإيمان واليقين، من أهل النفاق المدلسين، الذين لبسوا الحق بالباطل وكتموا الحق وهم يعلمون) اهـ .

العائق الأربعون/الفراغ

الفـراغ داء خطـير ومـرض عضـال يُلجـئ صـاحبه إلى وسـاوس شـيطانية وأمـراض قلبيـة دواؤه أن يُملأ بما ينفع فالشباب عطاء مستمر لا يوقفه بل لا يقتله . إلا الفراغ ..!

فالمسـلم النـاجح هـو الـذي لا يستسـلم للفـراغ، ويعمـل دائمـاً علـى مـلء وقتـه بمـا ينفـع نفسه وأمته.

إن كـل سـاعة أو دقيقـة تـذهب منـك إنمـا يـذهب جـزءً منـك إلى أن ينتهـي منـك جميـع أجزائك ويُدركّ الموت فتندم على ما فرطت بحق نفسك وعمرك ولات حين مندم!

والفـراغ داء قتـال للفكـر والعقـل والطاقـات الجسـمية، إذ الـنفس لابـد لهـا مـن حركـة وعمـل، فـإذا كانـت فارغـة مـن ذلـك تبلـد الفكـر وثخـن العقـل وضـعفت حركـة الـنفس واسـتولت الوسـاوس والأفكـار الرديئـة علـى القلـب، وربمـا حـدث لـه إرادات سـيئة شـريرة ينفس بها عن هذا الكبت الذي أصابه من الفراغ .

" الفــراغ داء يقــود إلى أدواء .. وبخاصــة إذا اجتمــع مــع الصــحة، والغــنى، وضــعف الإيمان .. فحينئذٍ لا تسأل عن الهلكة والأمراض التي ستلحق بصاحبه!

الفــراغ يعــني الجمــود والتوقــف عــن العطــاء .. فالإنســان المــؤمن معطــاء .. لا يوقــف عطاءه إلا الفراغ ..!

الفراغ يعني توقف عجلة الحياة عن البناء، والتقدم، والازدهار ..!

الفراغ يعني مضي العمر والوقت من غير ثمن .. ولا فائدة!

الفـراغ يعـني التخلـف عـن السـباق .. وعـن ركـب السـابقين إلى الخـيرات .. والقعـود مـع الخوالف من العصاة وأهل التقصير ..!

الفراغ . وبخاصة إن طال . يعني تعطيل الغاية التي لأجلها خُلقت يا عبد الله ..!

أعجـب لمسـلم يشـكو الفـراغ، وهـو يقـرأ قولـه تعـالى { يَا أَيُّهَـا الْإِنْسَـانُ إِنَّـكَ كَـادِحٌ إِلَى رَبِّـكَ كَـدْحاً فَمُلاقِيـهِ } [الانشـقاق:6]. وقولـه تعـالى { اقْتَـرَبَ لِلنَّـاسِ حِسَـابُهُمْ وَهُـمْ فِي غَفْلَـةٍ مُعْرِضُـونَ } [الأنبيـاء:1] وقولـه تعـالى { فَمَـنْ يَعْمَـلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ خَـيْراً يَـرَهُ . وَمَـنْ يَعْمَـلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَـرّاً يَـرَهُ } [الزلزلـة:7-8] وقولـه تعـالى { وَمَـا خَلَقْـتُ الْجِـنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }" (بصير).

يقـول بعـض الكتـاب: "في الوقـتِ الـذي يحـرص أعـداؤنا علـى اسـتثمار أوقـاتهم، يخططـون لإفسـادِ أوقاتنـا وتضـييعها، وإشـغالنا بسفاسـفِ أمـورٍ ننصـرفُ بهـا عـن المهِـمّ النـافع لنـا، كمـا جـاء ذلـك في بروتوكـولات حكمـاء صـهيون ومـن بينهـا قـولهم " لكـي نُبعـد النـاس عـن أن تكتشـف بأنفسـها أيَّ خـطِ عمـلٍ جديـد سـنلهيها أيضـا بأنـواع شـتّى مـن الملاهـي والألعـاب ومُزجيـات الفـراغ والمجـامع العامـة وهلـمّ مـن مجـرّى، وسُـرعان مـا نبـدأ الإعـلانَ في الصـحف داعـين النـاس إلى الـدخول في مبـارياتٍ شـتى في كـل أنـواعِ المشـروعات كـالفنِ والرياضـة ومـا يليهـا، وبهـذه وتلـك سيفسـد الشـعب تـدريجيا نعمـةَ التفكـير للمسـتقبل بنفسـه وسـيهتفُ بنـا " وهـذا لعمـر الله واقـع، فالنـاس حينمـا يشـتغلون بسفاسـف الأمـور ينسـون أحيـانا أن اشـتغالهم بهـذه الأشـياء إنمـا هـو كيـدٌ مخطـط لهـم في الوقـتِ الـذي يسـتثمرُ فيـه الأعـداء أوقـاتَهم ويحرصـون كـلَ الحـرص علـى اسـتغلال كـلِ لحظـة مـن لحظاتـه، مـع أن المسـلمين هـم أولى وأجـدر باسـتغلال واسـتثمار هذه الأوقات " .

قال سيد قطب في الظلال: " إنها صورة للنفوس الفارغة التي لا تعرف الجد، فتلهو في أخطر المواقف، وتهزل في مواطن الجد وتستهتر في مواقف القداسة. فالذكر الذي يأتيهم يأتيهم «مِنْ رَبِّهِمْ» فيستقبلونه لاعبين، بلا وقار ولا تقديس.

والنفس التي تفرغ من الجد والاحتفال والقداسة تنتهي إلى حالة من التفاهة والجدب والانحلال فلا تصلح للنهوض بعبء، ولا الاضطلاع بواجب، ولا القيام بتكليف. وتغدو الحياة فيها عاطلة هينة رخيصة! إن روح الاستهتار التي تلهو بالمقدسات روح مريضة. والاستهتار غير الاحتمال. فالاحتمال قوة جادة شاعرة. والاستهتار فقدان للشعور واسترخاء " ا هـ .

قال عبد القادر عودة رحمه الله : " إن الكثير من شباب اليوم فارغو النفوس والقلوب والرؤوس، فلا علم ولا عمل، ولا دين، ولا إيمان، وهم لا يجيدون إلا تزجيج الحواجب وتصفيف الشعر، واختيار الملابس والتشبه بالممثلين والممثلات، ولا عمل لهؤلاء الشباب إلا ارتياد المحلات العامة ، والاندفاع وراء الشهوات " ا هـ .

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله في الأضواء : "وفي قوله: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ} حل لمشكلة الفراغ التي شغلت العالم حيث لم تترك للمسلم فراغًا في وقته، لأنه إما في عمل للدنيا، وإما في عمل للآخرة" ا هـ

قال الأستاذ مُحَمَّد قطب–مبينا خطر الفراغ على الإنسان–:"إن الفراغ مفسد للنفس، إفساد الطاقة المختزنة بلا ضرورة، وأول مفاسد الفراغ، هو تبديد الطاقة الحيوية لملء الفراغ، ثم التعود على العادات الضارة التي يقوم بها الإنسان لملء هذا الفراغ، والإسلام حريص على شغل الإنسان شغلا كاملا، منذ يقظته إلى منامه، بحيث لا

يجد الفراغ الذي يشكو منه، ويحتاج إلى ملئه إلى تبديد الطاقة أو الانحراف بها عن نهجها الأصيل." [منهج التربية الإسلامية].

يروى عن عمر بن الخطاب أنه قال : إني لأرى الرجل فيعجبني ، فإذا سألت عنه فقيل لا حرفة له، سقط من عيني .

وقال أيضاً : إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللاً (أي فارغاً) لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة ..

وقال حكيم: من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه، وظلم نفسه !

قال عمر بن عبد العزيز ﷺ: إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما". نعم أنت خلقت للعبادة والعبادة عمل تستلزم منك عدم إهدار أوقاتها بين الغفلة والكسل .. ويقول الحسن البصري : "يا ابن آدم. إنما أنت أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضك "، فالإنسان مأمور باغتنام أوقات فراغه. حتى ولو لم تكن مناسبة للاغتنام ، لأن الأماني والأحلام لا تصنع حاضراً ولا تبنى مستقبلاً ، وهذا ما عناه أحمد بن فارس الرازي بقوله :

إذا كان يؤذيك حر المصيف ... ويبس الخريف وبرد الشتا

ويُلهيك حسن زمان الربيع ... فأخذك للعلم قل لي: متى ؟

جاء في كتاب "غزو العالم الإسلامي" للمستشرق شاتلي، ما يلي :

"....وإذا أردتم أن تغزوا الإسلام، وتخضدوا شوكته، وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها، والتي كانت السبب الأول والرئيس

لاعتـزاز المسـلمين وشمـوخهم، وسـبب سـيادتهم وغـزوهم للعـالم.... علـيكم أن توجهـوا جهـود هـدمكم إلى نفـوس الشـباب المسـلم والأمـة الإسـلامية، بإماتـة روح الاعتـزاز بماضـيهم وتاريخهـم، وكتـابهم القـرآن، وتحـويلهم عـن كـل ذلـك بوسـاطة نشـر ثقـافتكم وتاريخكـم ونشـر روح الإباحيـة، وتـوفير عوامـل الهـدم المعنـوي، وحـتى لـو لم نجـد إلا المغفلـين مـنهم، والسـذج البسـطاء لكفـانا ذلـك، لأن الشـجرة يجـب أن يتسـبب لهـا في القطع أحد أغصانها....".

قال الإمام الشافعي – رحمه الله – :

صحبت الصوفية فلم أستفد منهم سوى حرفين :

أحدهما : قولهم : الوقت سيف ، فإن لم تقطعه قطعك .

والثاني : قولهم : نفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل .

العائق الحادي والأربعون/تشويه صورة المجاهدين

قال الشيخ عبدالله عزام رحمه الله : " فالأمريكان الأن يريدون أن يشوهوا هذا الجهاد، الإنجليز كذلك يعرض على التلفزيون البريطاني فيلم عن الجهاد الأفغاني، فلان من قندهار يجمع حوله مجموعة ويشربون الحشيش، وبعدما يشربون الحشيش يرقصون وبعد أن يرقصوا يهجموا على القاعدة التي تقابلهم، كأن الجهاد الافغاني مجموعة حشاشين، يعرض على التلفزيون البريطاني.

هذا فرنسي اسمه لويس كذا يكتب عن شعب أفغانستان، وصور الشعب الافغاني التي على الغلاف لا تدري هم آدميون أو قرود، ناس مثل قرون العنزه شعرهم – هكذا– واقف قصير مجد ل واقف مثل القرون، ما تدري هؤلاء عفاريت أو أنس أو جن، هذه أحسن صورة للشعب الافغاني، ما رسم العمامة التي ترمز إلى وقار الأفغان... لا، وآلات اللهوللهو والموسيقى على جلد الكتاب، ناقمون هم منذ زمن ناقمون على الشعب!!.

قالوا: أخضعنا العالم كله لثقافتنا، ودخلوا تحت سيطرتنا إلا التيس الجبلي في جبال الهندوكوش –يعني الافغاني– الافغان يسموهم تيس جبلي، وإلا الأعرابي في صحراء الجزيرة، هؤلاء ما استطعنا أن نخضعهم " ا هـ .

وقال الشيخ عبدالعزيز المقرن : " حملات شرسة محمومة متواصلة لتشويه صورة رجال العصابات أو المجاهدين ، وتضليل العوام ، وإطلاق الدعايات الكاذبة بشأنهم، وعلى سبيل المثال قولهم أن المجاهدين قتلةٌ مجرمون فاشلون في حياتهم يائسون منها ، وذلك بواسطة الآلة الإعلامية التي يمتلكها العدو ، ولذا يستطيع أي

قارئ أو متابع لحال المنطقة اليوم أن يشاهد هذه الحملات المسعورة على المجاهدين في البلاد الإسلامية وفي بلاد الحرمين ، وهذا التوظيف الرخيص للدين في مواجهة المجاهدين ، حتى أن الحكومة السعودية استخدمت في هذه الأيام في سبيل تشويه صورة المجاهدين أقطاب بعض الحركات الإسلامية ، الذين كانوا في يوم من الأيام يتغنّون بمواجهة الظالمين .

والهدف من هذا التشويه والتضليل هو عزل المجاهدين عن طبقات المجتمع وقطع الدعم اللوجستي والمادي الذي يقدمه الشعب للمجاهدين ، ولكن هيهات هيهات { يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يُتمَّ نوره ولو كره الكافرون }اه.

العائق الثاني والأربعون/الوطنية والقومية

كان لورانس الضابط الإنجليزي الذي كان يقال له لورانس العرب، هو أول من وضع الشرارة الأولى للقومية (الوطنية) العربية التي ما لبث أن حمل لواءها نصارى الشام ، وأسسوا كثيراً من الجمعيات الأدبية والعلمية في دمشق و بيروت والقاهرة .

ثم بعد أن قُضى على الخلافة العثمانية، جاءت اتفاقية (سايكس - بيكو) التي قطعت فيها الأمة العربية إلى دويلات، وشتت شمل المسلمين من خلال تلك المؤامرات.

بعدها ظهرت الدعوة إلى الوطنية، واتخاذ الوطن إلهًا يعبد من دون الله، وارتفع صوت الوطنيين في كثير من الدول الإسلامية يدعون إلى مبادئ تخالف دعوة الإسلام .

فأهم شيء وطنه ولا يبالي ببلاد المسلمين ما يقع فيها .

قال سيد قطب في المعالم : " منذ ذلك اليوم لم يعد وطن المسلم هو الأرض ، إنما عاد وطنه هو " دار الإسلام " الدار التي تسيطر عليها عقيدته وتحكم فيها شريعة الله وحدها ، الدار التي يأوي إليها ويدافع عنها ، ويستشهد لحمايتها ومد رقعتها . وهي " دار الإسلام " لكل من يدين بالإسلام عقيدة ويرتضي شريعته شريعة ، وكذلك لكل من يرتضي شريعة الإسلام نظاما – ولو لم يكن مسلما – كاصحاب الديانات الكتابية الذين يعيشون في " دار الإسلام " . والأرض التي لا يهيمن فيها الإسلام ولا تحكم فيها شريعته هي " دار الحرب " بالقياس إلى المسلم، وإلى

الـذمي المعاهـد كـذلك . . يحاربهـا المسـلم ولـو كـان فيهـا مولـده ، وفيهـا قرابتـه مـن النسب وصهره ، وفيها أمواله ومنافعه .

وكـذلك حـارب مُحَّد ﷺ مكـة وهـي مسـقط رأسـه، وفيهـا عشـيرته وأهلـه، وفيهـا داره ودور صـحابته وأمـوالهم الـتي تركوهـا، فلـم تصـبح دار إسـلام لـه ولأمتـه إلا حـين دانـت للإسلام وطبقت فيها شريعته ...

لقـد أطلـق الإسـلام البشـر مـن اللصـوق بالطـين لبيتطلعـوا إلى السـماء، وأطلقهـم مـن قيد الدم . . قيد البهيمة . . ليرتفعوا في عليين.

وطـن المسلم الـذي يحـن إليـه ويـدافع عنـه لـيس قطعـة أرض، وجنسـية المسـلم الـتي يعـرف بهـا ليسـت جنسـية حكـم، وعشـيرة المسـلم الـتي يأوي إليهـا ويـدفع عنهـا ليسـت قرابـة دم، وراية المسلم التي يعتز بها ويستشهد تحتها ليست راية قوم ...

وكـل ارض تحـارب المسـلم في عقيدتـه، وتصـده عـن دينـه، وتعطـل عمـل شـريعته، فهـي " دار حـرب " ولـو كـان فيهـا أهلـه وعشـيرته وقومـه ومالـه وتجارتـه . . وكـل أرض تقـوم فيهـا عقيدتـه وتعمـل فيهـا شـريعته، فهـي " دار إسـلام " ولـو لم يكـن فيهـا أهـل ولا عشيرة ولا قوم ولا تجارة .

الـوطن : دار تحكمهـا عقيـدة ومنهـاج حيـاة وشـريعة مـن الله . . هـذا هـو معـنى الـوطن اللائـق بــ " الإنسـان ". والجنسـية: عقيـدة ومنهـاج حيـاة، وهـذه هـي الآصـرة اللائقـة بالآدميين .

إن عصـبية العشـيرة والقبيلـة والقـوم والجـنس واللـون والارض، عصـبية صـغيرة متخلفـة. . عصـبية جاهليـة عرفتهـا البشـرية في فـترات انحطاطهـا الروحـي، وسماهـا رسـول الله صـلى الله عليه وسلم " منتنة " بهاذ الوصف الذي يفوح منه التقزز والاشمئزاز ...

الأمة التي يكون فيها أبو بكر العربي وبلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وإخوانهم الكرام، والتي تتوالي أجيالها على هذا النسق الرائع . . الجنسية فيها العقيدة، والوطن فيها هو دار الإسلام، والحاكم فيها هو الله، والدستور فيها هو القرآن " .(بتصرف)

انظر إلى أين وصل بعباد الوطنية حتى قال أحد عباد الوطن: (ليس أغلى على الإنسان من الوطن... ليس ثَمَّة ما هو أرقى من العلاقة بين المخلوق وتربته وأرضه ووطنه)!

ولم يكتف بذلك بل جاءت القاصمة التي لا تقصم الظهر ولكن تقصم الدين، حيث تابع افتراءه فقال: (إن كل شيء يذهب ويتلاشى، إلا حب الوطن، حب الوطن هو الذي يستمر مشتعلاً في الذات دائماً أبداً)!

ويقولُ شاعرهم من عباد الوطن :

وطني لو شُغلتُ بالخُلدِ عنهُ　　نازعتني إليهِ في الخلدِ نفسي

ويقول آخر:

وطني لو صوّروهُ لي وثنًا　　لهممتُ ألثم ذلك الوثنا

من مقولاتهم الشركية مقولة سعد زغلول " الدين لله والوطن للجميع!"

ويستدلون بحديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ أنه قال: (حب الوطن من الإيمان)

ماذا يقول أحمد محرم المصري في وطنه مصر:

فإن يسألوا ما حُبَّ مصرَ فإنه

دمي وفؤادي والجوانح والصدرُ

أخافُ وأرجو، وهي جَهدُ مخافتي

ومرمى رجائي، لا خفاءُ ولا نُكرُ

هي العيشُ والموتُ المبغَّضُ والغنى

لأبنائها والفقرُ والأمن والذُعرُ

هي القدرُ الجاري هي السخطُ والرضى

هي الدينُ والدنيا هي الناس والدهرُ

بذلك آمنا، فيا من يلومنا

لنا في الهوى إيماننا ولك الكفرُ !!

ويقول شوقي كذلك:

ويا وطني لقيتُكَ بعد يأسٍ　　كأني لقيتُ بك الشبابا

وكلُّ مسافرٍ سيئوبُ يوماً　　إذا رُزقَ السلامة والإيابا

ولو أني دُعيتُ لكنتَ ديني　　عليه أُقابلُ الحتمَ المجابا

أدير إليك وجهي قبل البيتِ　　إذا فُهتُ الشهادة والمتابا

وقال حافظ إبراهيم:

هكذا الميكادُ قد علَّمنا

أن نرى الأوطانَ أمًّا وأبَا

مَلِكٌ يكفيك منه أنه

أنهض الشرقَ فهزَّ المغربَا

العائق الثالث والأربعون/الوظيفة

خشيَ على وظيفتِه أو جاهِه ومركزِه، ففضلَ البعدَ عن النفير، وسوَّل له الشيطان أن أن ترك الوظيفة قطع لأرازق أهله وأولاده ، روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلَا لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ، فَإِنَّهُ لا يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ وَلا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ".

قال الشيخ عبدالله عزام معلقاً على حديث: (إذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة ، وتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد في سبيل الله ، أدخل الله عليهم ذلا لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم) رواه أحمد والطبراني عن ابن عمر ، وهو في صحيح الجامع.

ضن : بخل؟

وترك الجهاد : إما ضنا (بخلا) بالمال أو من أجل التجارة التي يشوبها ربا أو لا يشوبها أو من أجل الزراعة والمواشي .

وكلمة ضن الناس بالدرهم والدينار : يفهم منها البخل بترك الوظيفة التي تعتبر مصدرا من مصادر المال " ا هـ

وقال أيضاُ : "لقد قلت للشيخ تميم العدناني ذات مرة: يا شيخ تميم لو رجعت إلى وظيفتك التي يبلغ راتبها خمسة وعشرون ألف ريال في الشهر فماذا عليك؟ ففيه خير الدنيا والآخرة [سأله الشيخ هذا السؤال مازحا]. قال لي: والله لو أعطوني مليون ريال شهريا ما رجعت إلى الدنيا. ما رجعت إلى الوظيفة. وهل فقدت عقلي

حتى أستبدل مليون ريال، بالدنيا وما عليها؟، (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)" اه

قال ابن الناس في مشارع الأشواق : " وإن قلت : يقعدني منصبي وجاهي الرفيع، وعزي وحجابي المنيع، فليت شعري كم فارق منصبك، محبا له إلى أن وصل إليك، وكم زال ظله من مغبط نفسه به إلى أن ظلل عليك، وسيبين عنك كما عنهم بان، وكأنك بذلك وقد كان، فإذا أنت لفراقه ثكلان، وقلبك مغمور بالحسد، وصدرك معمور بالأحزان، فلم يدم لك ما أنت فيه من المنصب والجاه، ولم تفز بما أنت طالبه من أسباب النجاة، وإنِ لآخِرَ من يخرج من النار، ويدخل بعد الداخلين، مثل ملك أعظم من ملوك الدنيا، وعشرة أمثاله معه أجمعين".

فما ظنك بمن يكون مع السابقين الأولين، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، مع ما لا يخفى عليك مما في المنصب، من النصب والتعب وشر العاقبة وسوء المنقلب، وما تكسب به من كثرة الأعداء والحساد، وما اشتملت عليه بواطنهم من الضغائن والأحقاد، وشماتتهم بك عند زواله، وتلهفك حزنا على ما فات من إقباله، وزوال أكثر حشمك وخدمك، وإعراض من كان يسر بتقبيل قدمك" ا هـ .

العائق الرابع والأربعون/الحسد

قد يقول قائل ما دخل الحسد في معوق النفير ؟

أقول : نعم من أول وهلة يظن الواحد أن الحسد لا دخل له في الابتعاد عن النفير ، لكنه لو دقق لوجد أن من الناس من لا ينفر بسبب الحسد ، لأن أمير الجماعة المجاهدة الموجودة ممن هو من أقرانه ، فيرى أنه أهلاً للإمارة منه ، أو أنه أقل منه خبرة ، أو أقل منه سناً ، فيترك النفير بسبب هذا .

قال سيد قطب رحمه الله : في قوله تعالى:"

«أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا؟» ..

وما كان في هذا من غرابة. ولكنه كان الحسد. الحسد الذي يدعو إلى العناد والمكابرة والشقاق.

قال ابن إسحاق: وحدثني مُحَمَّد بن مسلم بن شهاب الزهري، أنه حُدِّث، أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- وهو يصلي من الليل في بيته. فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبة فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً. ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال

بعضهم لبعض مثل ما قالوه أول مرة. ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض. لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود فتعاهدوا على ذلك. ثم تفرقوا.. فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من مُحَمَّد. فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها. قال الأخنس:

وأنا والذي حلفت به كذلك! قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه في بيته، فقال:

يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من مُحَمَّد؟ فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف:

أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه! فقام عنه الأخنس وتركه..

فهو الحسد كما نرى. يقعد بأبي جهل عن الاعتراف بالحق الذي غالب نفسه عليه فغلبته ثلاث ليال! هو الحسد أن يكون مُحَمَّد قد بلغ إلى ما لا مطمع فيه لطامع. وهو السر في قولة من كانوا يقولون:

«أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا؟» ..

وهم الذين كانوا يقولون: «لَوْلا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» .. يقصدون بالقريتين مكة والطائف، وفيهما كان كبراء المشركين وعظماؤهم الحاكمون

المسودون الذين كانوا يتطلعون إلى السيادة عن طريق الدين، كلما سمعوا أن نبيا جديدا قد أطل زمانه. والذين صدموا صدمة الحسد والكبر حينما اختار الله- على علم- نبيه مُحَمَّدا- صلّى الله عليه وسلّم- وفتح له من أبواب رحمته وأفاض عليه من خزائنها ما علم أنه يستحقه دون العالمين " ا هـ .

العائق الخامس والأربعون/الخلاف

قال الشيخ عبدالعزيز الطويلعي: "ولو تأمَّل الناظر التاريخ الإسلامي، لما وجد موطنًا يخلو من الخلاف بدرجاته، ولوجد أيضًا أنَّ الخلاف مهما عظم لم يؤثر على العمل إلى درجة الإعاقة والإنهاء التام له.

فوقع الخلاف في غزوة بدر فيما يفعل بالأسرى، وفي غزوة أحد في الخروج للمشركين قبل المدينة أو انتظارهم ومقاتلتهم في المدينة وهي درع حصينة، ووقع بعد النبي ﷺ في مقاتلة المرتدين، وفي إنفاذ بعث أسامة، ووقع الخلاف والاقتتال بين علي بن أبي طالب ومن خالفه من الصحابة ﭫ، وكل هذا الخلاف لم يكن ليعطل الجهاد لا في وقته بعد أن وقع، ولا فيما بعده خوفًا من أن يقع، وهذا في الخلاف في القتال والجهاد، فضلاً عن الخلاف في غيره من الأمور.

والمطالب بترك الجهاد خوف الاختلافات يلزمه أن يُطالب الأمة جميعًا بترك الجهاد بالكلية والإعراض عنه، والاستسلام للعدو دون مقاومة، فإنَّ كل موطنٍ من المواطن، وميدان من ميادين الجهاد إمَّا أنَّ الخلاف فيه ظاهرٌ عَلنيٌّ، وإمَّا أنَّه محتملٌ كما يدّعي من يدّعي في بلاد الحرمين، ولا يُطالب بتعطيل الجهاد في جميع مواطنه اليوم إلاَّ من لا يريد الخير لأمَّة مُحَمَّد ﷺ، أو مغفل استقى علومه وأفكاره من كلام أعدائه وقدمها على كلام الله جل وعلا.

وكثير من الجبهات الجهادية لم يقع فيها بين المجاهدين عربهم وعجمهم خلافاتٌ ظاهرةٌ إلى الحد الذي يتمكن المرجفون والمخذلون من التعلق به، وحتى ما وقع فيه اختلاف فإنَّه نجح نجاحًا عظيمًا، وفتح الله فيه على الموحّدين فتحًا مبينًا.

فلم يقع شيء من الاختلاف في الجهاد أكثر مما وقع في الجهاد الأفغاني ضد روسيا وعملائها مع الاتفاق على مشروعية ذلك الجهاد ولكنه أسفر عن تحطيم أقوى جيشٍ بري في العالم باتفاق المحللين، وتفكيك أكبر دولة في العالم وسقوطها سقوطًا مريعًا " ا هـ

قال الأستاذ سعيد حوى: (إن عملية التمزيق والتشتيت التي ورثها العالم الإسلامي من مرحلة التجزئة والضعف وزادها الكافرون في مرحلة الاستعمار عمقا وبعدا قد بلغت الآن ذروتها.

والأفظع من هذا أن الكافرين المستعمرين راعوا خلال مرحلة الاستعمار وقبل الجلاء، أن يجعلوا في كل قطر جيوب مشاكل سياسية تستنفذ طاقة القطر من ناحية ومن ناحية أخرى تؤثر على سير الإسلام سياسيا بمشاكل حدود جوار، مناطق وضعها الطبيعي أن تكون لأقطار وضعت بيد أقطار أخرى، أقليات يوضع في يدها الحكم، إقامة دول غير عادية، تقوية الاتجاهات الممزقة لوحدة المسلمين... كما روعي في عملية التمزيق وإقامة الحكومات أن يعمق في العالم الإسلامي الصراع بين الأقطار المتجاورة والتفكير العازل بين هذه الأقطار مع ملاحظة عدم إعطاء الآمال الشعبية محتوياتها وآمادها.

صنعوا دولاً ليست لها مقومات الحياة المستقلة، وجعلوا بين الكيانات عقدا وأطلقوا قضية المصلحة من عقالها، وعملوا على إيجاد الأنظمة المختلفة المتجاورة: نظام رأسمالي يجانبه نظام اشتراكي، نظام ملكي يجانبه نظام جمهوري، يجانبه نظام ديكتاتوري [جند الله ثقافة وأخلاقاً لسعيد حوا ص18.17]. الخ....

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: 253].

قال الشيخ محمد رشيد رضا في المنار: " وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَحْذَرَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ هَذَا الِاخْتِلَافِ أَشَدَّ الْحَذَرِ لِكَثْرَةِ مَا نَهَاهُمُ اللهُ عَنِ الِاخْتِلَافِ وَأَنْذَرَهُمُ الْعَذَابَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَقَدِ امْتَثَلُوا أَمْرَهُ - تَعَالَى - بِالِاتِّحَادِ وَالِاعْتِصَامِ ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ فِي عَصْرِ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الزَّمَنِ بَعْدَهُ ، فَكَانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ ذَهَبُوا فِي الدِّينِ مَذَاهِبَ ، وَفَرَّقُوا دِينَهُمْ فَكَانُوا فِي شَرِيعَتِهِ مَشَارِبَ ، فَاقْتَتَلُوا فِي الدِّينِ قَلِيلًا وَفِي السِّيَاسَةِ الَّتِي صَبَغُوهَا بِصِبْغَةِ الدِّينِ كَثِيرًا ، وَقَدْ تَمَادَوْا فِي هَذَا الشِّقَاقِ وَالِاخْتِلَافِ فَانْتَهَوْا إِلَى زَمَنٍ صَارُوا فِيهِ أَبْعَدَ الْأُمَمِ عَنِ الِاتِّفَاقِ وَالِائْتِلَافِ " ا هـ .

يقول "لورانس براون" وهو أحد زعماء المبشرين ، في كتابه "الإسلام والإرساليات": "إذ اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير" ا هـ .

العائق السادس والأربعون/ضعف الإيمان

قال سيد قطب رحمه الله في الظلال: " يجب أن نفرق دائما بين حقيقة الإيمان ومظهر الإيمان .. إن حقيقة الإيمان قوة حقيقية ثابتة ثبوت النواميس الكونية. ذات أثر في النفس وفيما يصدر عنها من الحركة والعمل. وهي حقيقة ضخمة هائلة كفيلة حين تواجه حقيقة الكفر المنعزلة المبتوتة المحدودة أن تقهرها .. ولكن حين يتحول الإيمان إلى مظهر فإن «حقيقة» الكفر تغلبه، إذا هي صدقت مع طبيعتها وعملت في مجالها .. لأن حقيقة أي شيء أقوى من «مظهر» أي شيء.

ولو كانت هي حقيقة الكفر وكان هو مظهر الإيمان! إن قاعدة المعركة لقهر الباطل هي إنشاء الحق. وحين يوجد الحق بكل حقيقته وبكل قوته يتقرر مصير المعركة بينه وبين الباطل. مهما يكن هذا الباطل من الضخامة الظاهرية الخادعة للعيون .. «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ» " ا هـ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وحيث ظهر الكفار، فإنما ذاك لذنوب المسلمين التي أوجبت نقص إيمانهم، ثم إذا تابوا بتكميل إيمانهم نصرهم الله، كما قال تعالى {وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} وقال{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} ا. هـ

خاتمة

يقول الله تعالى {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ}[الصافات: 171 -173].

قال سيد قطب في الظلال : " والوعد واقع وكلمة الله قائمة. ولقد استقرت جذور العقيدة في الأرض وقام بناء الإيمان ، على الرغم من جميع العوائق ، وعلى الرغم من تكذيب المكذبين ، وعلى الرغم من التنكيل بالدعاة والمتبعين. ولقد ذهبت عقائد المشركين والكفار. وذهبت سطوتهم ودولتهم وبقيت العقائد التي جاء بها الرسل. تسيطر على قلوب الناس وعقولهم ، وتكيف تصوراتهم وأفهامهم. وما تزال على الرغم من كل شيء هي أظهر وأبقى ما يسيطر في ظلال القرآن، ج 5، ص: 3002.

على البشر في أنحاء الأرض. وكل المحاولات التي بذلت لمحو العقائد الإلهية التي جاء بها الرسل ، وتغليب أية فكرة أو فلسفة أخرى قد باءت بالفشل. باءت بالفشل حتى في الأرض التي نبعث منها. وحقت كلمة الله لعباده المرسلين. إنهم لهم المنصورون وإن جنده لهم الغالبون.

هذه بصفة عامة. وهي ظاهرة ملحوظة. في جميع بقاع الأرض. في جميع العصور.

وهي كذلك متحققة في كل دعوة لله ، يخلص فيها الجند ، ويتجرد لها الدعاة. إنها غالبة منصورة مهما وضعت في سبيلها العوائق ، وقامت في طريقها العراقيل. ومهما رصد لها الباطل من قوى الحديد والنار ، وقوى الدعاية والافتراء ، وقوى الحرب والمقاومة ، وإن هي إلا معارك تختلف نتائجها. ثم تنتهي إلى الوعد الذي وعده الله

لرسله. والذي لا يخلف ولو قامت قوى الأرض كلها في طريقه. الوعد بالنصر والغلبة والتمكين.

هذا الوعد سنة من سنن الله الكونية. سنة ماضية كما تمضي هذه الكواكب والنجوم في دوراتها المنتظمة وكما يتعاقب الليل والنهار في الأرض على مدار الزمان وكما تنبثق الحياة في الأرض الميتة ينزل عليها الماء ..

ولكنها مرهونة بتقدير الله ، يحققها حين يشاء. ولقد تبطئ آثارها الظاهرة بالقياس إلى أعمار البشر المحدودة.

ولكنها لا تخلف أبدا ولا تتخلف وقد تتحقق في صورة لا يدركها البشر لأنهم يطلبون المألوف من صور النصر والغلبة ، ولا يدركون تحقق السنة في صورة جديدة إلا بعد حين! ولقد يريد البشر صورة معينة من صور النصر والغلبة لجند الله وأتباع رسله. ويريد الله صورة أخرى أكمل وأبقى. فيكون ما يريده الله. ولو تكلف الجند من المشقة وطول الأمد أكثر مما كانوا ينتظرون .. ولقد أراد المسلمون قبيل غزوة بدر أن تكون لهم عير قريش وأراد الله أن تفوتهم القافلة الرابحة الهينة وأن يقابلوا النفير وأن يقاتلوا الطائفة ذات الشوكة. وكان ما أراده الله هو الخير لهم وللإسلام. وكان هو النصر الذي أراده الله لرسوله وجنده ودعوته على مدى الأيام.

ولقد يهزم جنود الله في معركة من المعارك ، وتدور عليهم الدائرة ، ويقسو عليهم الابتلاء لأن الله يعدهم للنصر في معركة أكبر. ولأن الله يهيئ الظروف من حولهم ليؤتي النصر يومئذ ثماره في مجال أوسع ، وفي خط أطول ، وفي أثر أدوم.

لقد سبقت كلمة الله، ومضت إرادته بوعده، وثبتت سنته لا تتخلف ولا تحيد :

«وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ».

وعند إعلان هذا الوعد القاطع ، وهذه الكلمة السابقة ، يأمر الله رسوله – صلّى الله عليه وسلّم – أن يتولى عنهم ، ويدعهم لوعد الله وكلمته ، ويترقب ليبصرهم وقد حقت عليهم الكلمة ، ويدعهم ليبصروا ويروا رأى العين كيف تكون :

«فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ. وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ. أَفَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ؟ فَإِذا نَزَلَ بِساحَتِهِمْ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ. وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ. وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ»..

فتول عنهم ، وأعرض ولا تحفلهم ودعهم لليوم الذي تراهم فيه ويرون هم ما ينتهي إليه وعد الله فيك وفيهم وإذا كانوا يستعجلون بعذابنا ، فياويلهم يوم ينزل بهم. فإنه إذا نزل بساحة قوم صبحهم بما يسوء ، وقد قدم له النذير.

ويكرر الأمر بالإعراض عنهم والإهمال لشأنهم والتهديد الملفوف في ذلك الأمر المخيف : «وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ» .. كما يكرر الإشارة إلى هول ما سيكون : «وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ» .. ويدعه مجملا يوحي بالهول المرهوب " ا هـ .

بيت المقدس